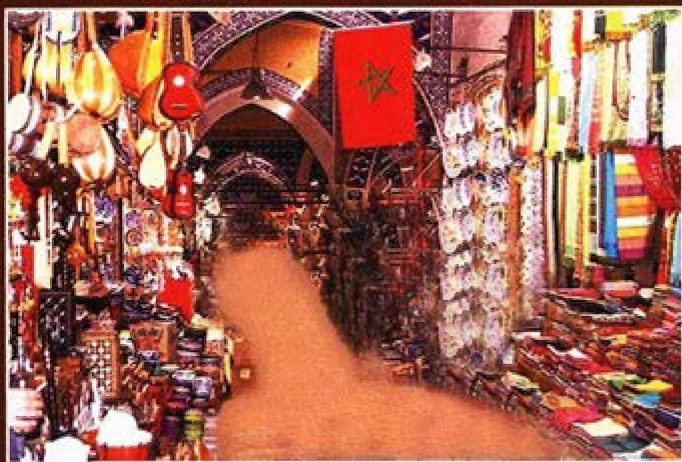


أسواق بلاد المغرب

مِنَ الْقُرُونِ السَّابِقَةِ إِلَى الْيَوْمِ
حَتَّى نَيْطَاةِ الْقُرُونِ الثَّامِنَةِ إِلَى الْيَوْمِ



د. كريم عاتي الخزاعي

الدار المغربية للموسوعات



بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدمة ونقد وتحليل المصادر والمراجع)

ما نزال نرى عدم فهم تاريخ الامة العربية والاسلامية، دون فهم النواحي الحضارية المتمثلة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي تضعنا امام خبرة وتجربة التنظيمات التي عرفتها تلك الامة على مر العصور الاسلامية وقد لا نغالي اذا ذهبنا الى القول، بان الدراسات المتعلقة بالتاريخ الاقتصادي المغربي في عصور الازدهار الاسلامي، قليلة؛ وقد صبت معظم الدراسات حول الظاهرة السياسية، والتي سعت بشكل مباشر وغير مباشر الى اظهار تاريخ المغرب الاسلامي: عبارة عن سلسلة من الصراعات وعدم التجانس.

وبالرغم من وجود عدد من الدراسات العربية الحديثة⁽¹⁾ التي اهتمت بالحياة الاقتصادية في بلاد المغرب في عصور الازدهار الاسلامي. ولكن لا نجد بينها دراسة مفردة عن الاسواق المغربية. وأما هذا النقص، وقع اختياري على دراسة موضوع الاسواق في بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري.

لقد تم اختياري لهذه الفترة الطويلة لدراسة الاسواق، بسبب التبلور الحاصل في التنظيم العام للهيكل الاقتصادي في جوانب عديدة

(1) نشير الى بعض هذه الدراسات في نقد وتحليل المراجع الحديثة، ومن الجدير بالذكر ان عدد من المستشرقين كتبوا العديد من الكتب والمقالات عن الاقتصاد الاسلامي المغربي في العصر الوسيط، قدم بعضهم لنا معلومات مهمة من خلال اطلاعهم على وثائق من الصعوبة الحصول عليها، فضلا عن اكتشافهم لبعض الآثار المهمة والتي تخص الجوانب الحضارية لبلاد الغرب الاسلامي؛ وسنشير الى بعض هؤلاء في نقد وتحليل المراجع ايضا.

أشار إليها العديد من مؤرخينا وجغرافينا، بينما اقتصرت معلوماتهم الاقتصادية خلال القرون الأربعة الأولى على وصف غير تفصيلي، وخلصه عن موضوع الأسواق^(١).

لقد كان اختيارنا لموضوع الأسواق باعتبارها المركز الحيوي الأول والأهم لممارسة الأنشطة الاقتصادية في المدن الغربية، وإذا ما توفرت لنا المادة المصدريّة عن الأسواق وأنواعها وأماكنها وتنظيمها وتخطيطها والسلع المتداولة فيها ووضعها أسعارها، والعملية المتداولة فيها، وإشراف الدولة عليها. وغيرها من الموضوعات، نكون لا محالة قد وفّرنا الاسكنايات المطلوبة لتتأنيب التاريخ الاقتصادي لبلاد المغرب انطلاقا من أهم جوانب النشاط الحرفي والمهني، ألا وهي الأسواق.

ومما يجنب الإشارة إليه في مقدمة هذه الدراسة، هو التركيز الذي أثاره المؤرخون بكل أصنافهم. كان جلّه حول إقليم المغرب الاقتصادي. ظهر اعتقاد أن هذا الإقليم كان مركزا مهما للنظمية الحاكمة في البلاد ومدنه اتخذت عواصم لحكوماتهم، وخاصة مدينتا فاس ومراكش. لذلك كان التركيز في الجانب الاقتصادي على المرافق التجارية في المدن الكبرى داخل هذا الإقليم، وأهملت المناطق البعيدة عن مركز الحكم. وهذا يجعلنا في حيرة من ندرة المعلومات الاقتصادية عنها، وخاصة مناطق المغربين الأدنى، والوسط، علما أن هذين الإقليمين كانت بهذا أسر حاكمة. كني حفص في المغرب الأدنى، وبني زيان في المغرب الأوسط، ومن مدنه المشهورة تونس وتلمسان.

(١) لقد اشرت إلى ذلك في رسالتي للماجستير عن النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة.

ان هذا التركيز، لا يعني في شكل من الاشكال، اهمال المدن المغربية الأخرى، بل حاولنا جاهدين مراجعة اغلب المصادر المتوفرة، واستنقنا على قدر المعلومات المتوفرة من معرفة بعض اسواقها، والامور المتعلقة بها.

ولن استعرض المشاكل التي اعترضني في اتجاز هذا العمل، من قلة المادة وندرتها، وفقدان المصادر وغيرها من المشاكل التي تواجه أي باحث في التاريخ الاقتصادي حيث ان هذه المشاكل والمصاعب، ظاهرة عملية طبيعية مألوفة وصحيحة في مسار البحث العلمي الأكاديمي.

وفي ضوء المعلومات المصدريّة المتوفرة، فقد قسمت موضوع دراستي الى اربعة فصول وخاتمة تسبقهما مقدمة وتحليل للمصادر والمراجع.

كريمة الفصل الأول للأسواق وانواعها واماكنها وتنظيمها وطرز بنائها، حيث تطرقت في هذا الفصل عن نشأة الاسواق العربية الإسلامية المبكرة في بلاد المغرب ثم حاولت معرفة انواع الاسواق في فترة هذه الدراسة، وقد وجدت انهم تنقسم الى ثلاثة انواع، الاسواق الدائمة، والتي لا تكاد تخلوا أي مدينة مغربية منها، والاسواق المؤقتة والتي كان بعضها مقصدا لتجارة الاقالق، والنوع الثالث، فهي الاسواق المتنقلة التي كانت ترافق في الكثير من الاحيان الحملات العسكرية، والبعض الآخر منها كانت ترافق حجاج بيت الله الحرام.

كما تعرفنا في هذا الفصل عن ملحقات الاسواق، وخاصة الفنادق التي كانت تعج بها بعض المدن المغربية، واصبحت مكانا مهما لترويج البضائع الاجنبية وخرزنها فضلا عن اتخاذها مكانا لاقامة التجار الاجانب، وعقد الاتفاقيات التجارية بينهم وبين تجار المغاربة، كما كان للقيصرات

أثرا واضحا في ازدياد عملية البيع والشراء، حيث كانت تحتوي بعضها على منات من الحوائث المعدة للتجارة والصناعة والمخازن.

أما تنظيم الاسواق وتخطيطها واماكنها وطرز بنائها، فقد اشرت لها ايضا ووجدت ان الاسواق المغربية تكاد تكون متشابهة في تخطيطها واماكنها، حيث غالبا ما تكون حول المسجد الجامع ودخل رياض المدن، والبعض الآخر خارج الارياض وخاصة الاسواق الحرفية والصناعية التي تبث الرواح الكريهة.

أما الفصل الثاني، فقد خصصته للنشاط الاقتصادي داخل الاسواق. وعرفنا من خلاله طبيعة النشاط الاقتصادي، والعوامل المؤثرة في هذا النشاط ووجدنا ان لهذه العوامل اثار سلبية وإيجابية على رواج السلع والبضائع داخل الاسواق. وخاصة الظروف الطبيعية، والاستقرار السياسي الاجراءات التي اتخذها العديد من المسؤولين في حفظ الامن وتشجيع الصليات الاقتصادية في انحاء البلاد. ثم تعرفنا على انواع السلع والبضائع الصادرة والواردة الى الاسواق المغربية. ووجدنا ان التبادل التجاري الداخلي بين اقاليم ومدن بلاد المغرب يفوق التبادل التجاري الخارجي لها، وخاصة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي بينما تفتحت سياسة الحكومات المغربية منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي نحو التجارة الخارجية، بكل يفوق ما آلت اليه تجارة القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وتوسعت العلاقات التجارية مع بلدان المشرق الاسلامي، كما زادت العلاقات التجارية المغربية مع البلدان الاوربية، وخاصة مع المدن الايطالية، وعقد بعض الحكام المغربية العديد من الاتفاقيات التجارية، والتي سهلت عملية خروج البضائع ودخولها من وإلى الاسواق المغربية.

كما تناولنا في هذا الفصل العاملين في الاسواق، منهم، اهل الحرف والمهن الذين امتهنوا انواع مختلفة من الحرف داخل الاسواق، وكذلك العاملين في القطاع التجاري داخل الاسواق من التجار المغاربة الذين تعددت اصنافهم في العمل وحسب وظائفهم، كالدلالين والسماسرة والجالسين وغيرهم من الاصناف الذين لعبوا دورا مهما في عملية انتقال ورواج السلع والبضائع داخل الاسواق المغربية.

وفي الفصل الثالث حاولنا معرفة طرق التعامل التي اتبعت داخل الاسواق، كالنظام النقدي الذي يشمل العملة المستخدمة في عملية البيع والشراء، وكذلك نوع المكاييل والموازين وبعض المقاييس، ولاحظنا ان الاختلاف في العملة المغربية بين مدينة واخرى، وكذلك الاختلاف بالمكاييل والموازين كانت من المشاكل الاساسية في عرقلة العملية التجارية. بسبب تدخل العديد من العناصر التي كانت تعمل في هذا الجانب الحيوي وفيها بتزييف العديد من العملات، التي كانت تضر كثيرا بالاقتصاد المغربي.

ولكي تكتمل الصورة التجارية داخل الاسواق، لابد لنا ان نتعرف على عملية البيع والشراء، وكيفية عرض هذه البضائع داخل الاسواق، كما عرفنا ان هناك طرق عديدة في التعامل التجاري، الداخلي والحارجي، كالبيع بالنقد او بالمقايضة او السلف او بالحوالة على انصرافين، كما تتبعنا في هذا الفصل الاسعار السائدة داخل الاسواق المغربية، على الرغم من الصعوبة البالغة في معرفة اسعار العديد من السلع والبضائع داخل هذه الاسواق، حيث اقتصرت المعلومات انمصدريّة المتوفرة على ذكر بعض اسعار المواد الغذائية في كثير من الاحيان في وقت الازمات الاقتصادية والسياسية، ولم تعطينا هذه المصادر الفكرة الكاملة عن الاسعار في الاوقات الاعتيادية الا ما ندر، وتعرفنا من خلال

هذه الاسعار، على العوامل المؤثرة في ارتفاعها وانخفاضها، وخاصة العوامل السياسية والطبيعية.

وخصصت الفصل الرابع لاشراف الدولة على الاسواق، حيث اشترت الى البدايات الاولى لاشراف الدولة والمسؤولين على الاسواق منذ القرن الاول الهجري / السادس الميلادي، وعرفنا كيفية ظهور وظيفة الحسبة في بلاد المغرب وواجبات المحتسب واعوانه ومساعديه، والتبلور الذي حصل في التطور التاريخي لهذه الوظيفة، والاجراءات التي اتخذها بعض الحكام في سبيل السيطرة على الاستقرار الاقتصادي داخل الاسواق. ثم ختمنا هذا الفصل في معرفة انواع الضرائب التجارية السائدة آنذاك في الاسواق المغربية، ومدى اهمية وتأثير هذه الضرائب على حركة السلع والبضائع المتداولة داخل الاسواق.

وفي الخاتمة عرضنا ابرز ما توصلنا اليه من نتائج عن هذه الدراسة مع بعض التحليلات والاستنتاجات المتعلقة بالقضايا الاقتصادية. وختاماً لابد لي من القول، انه مع صعوبة دراسة الحياة الاقتصادية في بلاد المغرب، فقد حاولت على قدر امكانياتي العلمية والمصدرية من الاقتراب ودراسة هذا الموضوع الذي لم يتطرق اليه أي باحث بصورته المرسومة، ولا ابالغ اذا قلت انني ما ادرت من جهدي شينا لاجراء دراستي بشكلها الحالي، عسى ان تنفع الباحثين من بعدي في هذا المجال الحيوي.

"ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا " صدق الله العظيم

ومن الله التوفيق.

الباحث

كريم الخراسي

(نقد وتحليل اهم المصادر والمراجع)

يجد الدارس نفسه وامام النقص الحاصل في قلة المعلومات المتعلقة بدراسة الموضوع الاقتصادي مضطر الى مراجعة المصادر على تنوعها، سواء كانت تاريخية ام كتب جغرافية ورحلات وفقهية وغيرها، وذلك تبعاً لما تملبه عليه طبيعة الموضوع المدروس، فضلاً عن الفترة التاريخية التي يغطيها ذلك الموضوع وعليه فمن المستبعد ان يجد الدارس غايته في نوع معين من المصادر، على ان مصادرنا التراثية مجتمعة يمكن ان تفي بالغرض المطلوب، كما يتطلب من الباحث ايضاً الاطلاع الواسع على مختلف انواع الدراسات الاكاديمية الحديثة.

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على عدد كبير من المصادر والمراجع، وسوف نتناول اهمها في ضوء اهمها لموضوع الدراسة.

(كتب الجغرافية والرحلات)

كانت هذه الكتب بكل انواعها واختلاف ازماتها ذات اهمية كبيرة في اغناء هذه الدراسة، لقد كانت كتب الجغرافية والرحلات المعاصرة لدراستي مرتكز بحثي هذا، فمعلومات تلك الكتب متنوعة في الجوانب الاقتصادية، فمنها ما يتطرق الى الطرق التجارية والى السلع الصادرة واثواردة الى الاسواق، ومنها ما يتناول انواع الاسواق واهميتها في القطاع الصناعي ومنها ما يتطرق الى مراقبة الدولة وعملية اشرافها على الاسواق ومنها ما يتناول العملة والمكاييل والموازين وغيرها من الموضوعات الاقتصادية، وسنشير في هذا المجال الى هذه المصنفات في ضوء التطور التاريخي للنظام الحاكم في بلاد المغرب.

ففي عهدي المرابطين والموحدين ، أي في القرن السادس الهجري / اثنتاني عشر الميلادي استفدت كثيراً من كتاب الادريسي، ابي

عبد الله محمد الملقب بالشريف (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م) " نزهة المشتاق في اختراق الافاق " حيث افادنا كثيرا في التعرف على المتغيرات الاقتصادية التي احدثها الغزو الهلالي لبلاد المغرب، وخاصة اقليم افريقية (المغرب الادنى) في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وقدم لنا الادريسي معلومات هامة اخرى عن الطرق التي كانت تنقل عبرها السلع والبضائع بين المدن والاقليم المغرب المختلفة.

وكان صاحب " كتاب الاستبصار في عجائب الامصار "، لمؤلف مغربي مجهول عاش سنة (٥٨٧هـ / ١١٩١م)، وعمل في دواوين الموحدين، قد ذكر لنا معلومات كثيرة عن الاسواق، وعن السلع المنتشرة والواردة اليها.

اما كتاب الجغرافية لابن سعيد المغربي، ابي الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، فقد كانت معلوماته مهمة في موضوع الدراسة وخاصة عن المدن المهمة كمدينة مراكش وفاس وسجلماسة وتلمسان وتونس، وخاصة عن السلع المتداولة داخل الاسواق المغربية.

اما ابن فضل الله العمري، احمد بن علي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م)، فقد ذكر لنا معلومات كثيرة في كتابه " مسالك الابصار في معالم الامصار "، وخاصة عن الاسواق في عهدي الموحدين وبنو مرين وركز العمري في معلوماته على اقليم المغرب الأقصى، فضلا عن ذكره لبعض المعلومات عن مدن الاقاليم الاخرى كتلمسان وتونس، ووضح لنا بعض الاسعار السائدة اذالك للمواد الغذائية المتداولة داخل الاسواق وخاصة عن مدينة فاس عاصمة بني مرين، كما انه اعطانا فكرة مختصرة عن النظام النقدي السائد في العواصم المغربية الثلاث، فاس وتلمسان وتونس ومقارنتها بعملة الدول المجاورة كمصر والشام.

أما كتب الرحلات، فقد امدتني بمعلومات مهمة تفيد جوانب عديدة من بحثنا منها، الرحلة، المسماة "تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار" لابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابراهيم (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٨م). تحتوي رحلة ابن بطوطة معلومات عن الاسعار، ووفرة المواد الغذائية في بلاد المغرب مع مقارنتها بما موجود في الدول التي زارها كمصر والعراق، ورسم لنا ابن بطوطة الطريق التجاري الذي سلكه اثناء رحلته مع القافلة التجارية منطلقا من فاس مارا بمدن المغرب الاوسط كمدينة تلمسان، ثم الى مدن افريقية وخاصة تونس وطرابلس ثم الى الديار المصرية.

والرحلة الاخرى المعاصرة لفترة دراستي، هي رحلة النميري، ابراهيم بن عبد الله (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) المسماة "فيض الغياب وافاضة فداح الاداب في الحركة السعيدة في قسنطينة والزاب"، والتي حاول ابو عنان المريني ضمها الى السلطة المركزية، واهم ما افادنا به النميري في رحلته، السياسة التي نبناها السلطان المريني ابو عنان على مستوى تشجيعه للحركة التجارية، وقدم لنا صورة صادقة عن النشاط الاقتصادي في العصر المريني، مع وصف مبدع لتلك الرحلة.

ومن ثم تأتي مشاهدات ابن الخطيب. لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م). في عدد من مؤلفاته، مثل "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ومعيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار"، سجل ابن الخطيب معلومات مهمة عن مناطق هنتاته واغامت والمناطق المجاورة لها، خاصة المعلومات التجارية، فقد رأى كثرة الارزاق وكثرة السلع داخل الاسواق، كما انه امدنا بالصورة التي شاهدها في بعض الموانئ، ومنها ميناء كانفا في المغرب الاقصى، ووصف حالة الرخاء التي انعمت به بعض المدن المغربية، كما زودنا

ببعض أسماء محتسبي الأسواق المغربية، وكثرت إشارات ابن الخطيب عن مدينة فاس عاصمة بني مرين وكثرة الأسواق فيها.

وقدم لنا الحسن الوزان، الملقب بليون الأفريقي (ت ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢م) في كتابه "وصف إفريقيا"، وصفا رائعا للمنشآت الاقتصادية في مدينة فاس، حيث عدد أسواقها ومعالمها التجارية بدقة متناهية، مع ذكر المواد المتداولة فيها، وأفادنا في ذكر عدد من العادات التي كانت ترافق انعقاد الأسواق المؤقتة، وعرض لنا بعض المعلومات عن أماكن الأسواق وتخطيطها وخاصة في العصر المريني، مع بعض الإشارات عن عملية البيع بالمزايدة العنيفة في الأسواق المؤقتة. وخلاصة القول عن كتب الجغرافية والرحلات، والتي كانت خير معين لنا. هو أن أغلب هذه الكتب أكدت على التراجع التي حصل بمدينة مراكش من الناحية الاقتصادية، فإن كتب الرحلات التي عاصرت المرينيين تتفق على التراجع التي آلت إليه مدينة مراكش على مختلف المستويات، وخاصة الحسن الوزان وابن الخطيب، بعد أن أخذت مدينة فاس مكانتها الاقتصادية والسياسية.

كتب التاريخ العام :

على الرغم من كثرة كتب التاريخ العام التي تخص فترة بحثنا إلا أن أغلبها يطغى عليها الحدث السياسي، ومع ذلك فإنا نجد فيها معلومات اقتصادية مهمة ومن هذه الكتب، كتاب ابن أبي صاحب الصلاة، أبو مروان عبد الملك (ت بعد ٥٩٤ هـ / ١١٩٨م) "ألمن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين"، والذي عاصر فترة حكم الموحدين، وقدم لنا معلومات تخص الضرائب التي كانت تؤخذ على السلع المتداولة داخل الأسواق، كما ذكر بعض الأسعار السائدة في

عصره معتمدا في ذلك على مشاهداته الشخصية في كثير من الاحيان .
علما بان كتابه لم يصل الينا بكامله سوى سفر من الجزء الثاني وفيه
اخبار سنوات (٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م الى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) .

اما كتاب النظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان " لابن
القطان الكتامي (ت في منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر
الميلادي) وهو من المعاصرين لحكم الموحدين، وكان مطلعاً على رسائل
الموحدين الرسمية وخاصة رسالة العدل التي بعث بها عبد المؤمن بن
علي لسنة (٥٤٣ هـ / ١١٤٧ م) الى جميع الولايات مبينا سياسته
العامة، وتاكيد على حفظ الامن في ربوع دولته فضلا عن تشجيع عبد
المؤمن للتجارة الداخلية والخارجية كما انه ذكر لنا الاجراءات التي
اتخذها عبد المؤمن في تغيير المنكر في جميع البلاد، وهي معلومات
افادتنا في موضوع اشراف الدولة على الاسواق .

ومن الكتب المهمة المعاصرة لفترة دراستنا، " كتاب البيان
المغرب في اخبار الاندلس والمغرب " لابن عذاري، ابي العباس احمد بن
محمد (كان حيا عام ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) ويعد هذا الكتاب بكل اجزائه،
اهم المصادر التاريخية بالنسبة لتاريخ بلاد المغرب وكانت استفادتنا منه
كبيرة في المجال الاقتصادي، وخاصة فيما يتعلق بالعملة المغربية، فضلا
عن كثرة اشاراته عن الاسعار السائدة في تلك الفترة التاريخية وخاصة
في سنوات القحط والازمات .

وقدم لنا ابن ابي زرع، علي بن محمد بن عمر الفاسي
(ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) في كتابه " الانيس المطرب بروض القرطاس
في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " معلومات اقتصادية مهمة،
حيث اشار الى عدد المتاجر والاسواق والمهن الحرفية في مدينة فاس
خلال عصري المرابطين والموحدين، والعصر الاول من فترة حكم

المرينيين، وقدم احصائية عديدة للحوانيت والفنادق والحرف في هذه المدينة.

ثم يأتي كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر " لابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) فهو موسوعة سياسية واقتصادية، ولا بد لاي باحث في تاريخ بلاد المغرب الحضاري ان يطلع على محتويات هذا الكتاب، وفي هذه الموسوعة عثرنا على شذرات مهمة تخص جوانب عديدة من بحثنا.

اما ابن قنفذ القسنطيني، ابو العباس احمد حسين (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م) فقد احتوى كتابه انس الفقير وعز الحفير معلومات عن مدينة فاس والرخاء المفرط فيها، وخاصة في العصر الذهبي، كما اشار الى كثرة الاسواق وتخصصها داخل المدينة، وافادنا ابن قنفذ في معرفة نقطة مهمة ما زلنا نجهلها، وهي الكيفية التي كانت تجري بها عملية البيع والشراء داخل الاسواق، حيث لم تعدنا المؤلفات المتوفرة، بالمعلومات بهذا الجانب، واقتصرت معلوماتهم على كلمة (باع واشترى) في حين نرى ابن قنفذ يأتي باشارة فريدة تتعلق بظاهرة البيع والشراء (بالمزايدة في السوق). اكدت بعض المصادر والمراجع الحديثة على وجودها.

ومن المصادر التاريخية التي اسهبت في الكلام عن بعض القضايا الاقتصادية في العهد المريني هي كتابا " روضة النسرين في اخبار بني مرين " و " وبيوتات فاس الكبرى " لابن الاحمر. ابي تولى - اسماعيل بن يوسف (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م) حيث اشار ابن احمد في هذين الكتابين، الى اجراءات بعض المسؤولين من بني مرين في

عملية سك العملة وتبديلها، وتعيين بعض المحتسبين على الاسواق، وبناتهم لبعض الاسواق الجديدة او تجديدهم لبعض الاسواق القديمة.

وعلى الرغم من كثرة المصنفات التاريخية، كما ذكرنا، والتي تخص فترة بحثنا لكن معظمها صبت اهتمامها على عواصم اقليم المغرب الأقصى، باعتباره مركزا مهما لحكم الانظمة المتعاقبة على حكم البلاد، وترك المدن الاخرى، ولكننا وجدنا ضاللتنا عند بعض المؤرخين الذين اختصوا في كثير من الاحيان بالكتابة عن بعض المدن المغربية المهمة فهذا الانصاري السبتي، محمد بن القاسم (ت ٨٧٥هـ / ١٤٤١م)، في كتابه "اختصار الاخبار عما كان بثغر سبته من الآثار"، حيث قام بجرد مهم للأسواق التجارية والصناعية داخل المدينة، وخاصة في العصر المريني، ومعلوماته في هذا المجال مهمة، لانه اين هذه المدينة ومعاصر تلاحداث. على الرغم من ان اشارته عن الاسواق والحوانيت والتربيعات والمضارب والفنادق لا تخلو من المبالغة.

اما الزركشي، عبد الله بن محمد بن ابراهيم (كان حيا سنة ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م) في كتابه "تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية وكذلك السراج، محمد بن محمد الاندلسي (١١٤٩هـ / ١٧٣٦م) في كتابه "الحلل الهندسية في الاخبار التونسية"، قدما لنا معلومات اقتصادية عن بعض المدن المغربية الاوسط والادنى، وخاصة عن مدينتي تلمسان وتونس، وأشارا الى العديد من الاسواق الحرفية والمهنية وخاصة في التخصصة تونس في العهد الحفصي، والى اجراءات الحفصيين في بناء الاسواق وتشجيعهم للحركة التجارية الداخلية وبالغالبهم العديد من الضرائب التي كانت تفرض على الاسواق في العهود السابقة.

كتب الفقه والحسبة والعملة :-

ان الاعتماد على هذه الكتب ومراجعتها ضرورة ماسة لدراسة الجانب الاقتصادي، وخاصة فيما يتعلق بالامور التي تجري داخل الاسواق، الا ان المؤلفات في فترة هذه الدراسة قليلة نسبيا، ومع ذلك استفدنا من كتاب الثونشريشي، ابي العباس احمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ / ١٥١٢م) " المعيار المغرب والجمع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب "، وكانت فائدتنا من هذا الكتاب كبيرة في مجالات عديدة من الموضوع وخاصة عن اوضاع العاملين في التجارة، وطريقة التعامل في التجارة الداخلية، فضلا عن معلومات اخرى عن العملة السائدة آنذاك، والمعاملات التجارية في البيع والشراء.

اما كتب الحسبة، فلم نجد مصنفا واحد اخص في بلاد المغرب على وجه الدقة في فترة هذه الدراسة، سوى بعض الرسائل التي وصلتنا والتي تخص فترة المرابطين والموحدين، واغلب مؤلفي هذه الرسائل اندلسيون، او على الاقل كتبوا في الاندلس،^(١) وقد استفدنا من هذه

(١) انظر مثلا، ابن عبدون، محمد بن احمد. رسالة في القضاء والحسبة، نشرها ليفي بروفنسال، ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب، المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة، ١٩٥٥) وابن عبد الرؤوف، احمد. رسالة في اداب الحسبة والمحتسب، نشرها ليفي بروفنسال، ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب، المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة، ١٩٥٥) والجريسيقي، عمر بن عثمان رسالة في الحسبة، نشرها ليفي بروفنسال، ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب، المعهد الفرنسي (القاهرة، ١٩٥٥). وانظر السقفي، ابا عبد الله محمد، رسالة في اداب الحسبة، تحقيق وتقديم ح-س لولان، ليفي بروفنسال، (باريس، ١٩٣١).

الرسائل في فترة حكم المرابطين والموحدين في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وخاصة عن الضرائب التجارية وطرق جبايتها، وعن المكاييل والموازين والاسعار.

وبعد القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي الى نهاية النقرة التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، لم تصلنا مؤلفات للحسبة، وان الاشارات عن وجود محتسبين في بلاد المغرب قليلة جدا، ويعتبر كتاب " تحفة الناظر وغذية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر"، للعقباني، ابي عبد الله محمد بن احمد (ت ٨٧١هـ / ١٤٦٧م)، هو الوحيد من نوعه في هذه الفترة التاريخية وقد خصص العقباني في كتابه هذا بابا خاصة عن الاسواق وطرق التعامل وعمنية الاشراف عليها. ويؤكد على اهمية وجود محتسب في السوق وكما انه اشار الى بعض العادات السيئة التي كانت تجري في اسواق تلمسان وتونس وفاس، ولكن الذي يؤخذ على العقباني، هو ان معطوماته عن الاسواق المغربية قليلة جدا، حيث انها معلومات تكاد تكون اشبه بمعلومات كتب الفقه والاصول.

اما بالنسبة لكتب العملة فيعتبر كتاب " الدوحة المشبكة في ضوابط دار السكة " للحكيم، ابي الحسن بن وسف (ت بعد ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، خير معين لنا في معرفة بعض انواع العملات المستخدمة في التعامل التجاري داخل الاسواق.

كتب التراجم -

لقد استفدنا من بعضها فائدة كبيرة وخاصة كتاب "النشوف الى رجال التصوف"، لمؤلفة، ابن الزيت، ابي يعقوب يوسف التادلي (ت ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م)، فهو غالبا ما يذكر مهن من يترجم لهم وكذلك

ثرواتهم، وقد اشار الى بعض اسعار السلع السائدة في عصرهم، كما انه ذكر لنا اسماء بعض المحتسبين في القرنين السادس والسابع للهجرة الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، وهذا بحد ذاته ذو فائدة كبيرة لنا. كما استفدنا من كتاب، " جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام في مدينة فاس " لابن القاضي، احمد بن محمد (ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٠م) وخاصة فيما يتعلق بمعلوماته عن بعض اسواق مدينة فاس، وذكره بعض المحتسبين فيها، وخاصة في العصر المريني.

المراجع الحديثة :

من المؤلف حقاً، وهذا ما اشرت اليه في مقدمة هذه الدراسة، ان اغلب الذين كتبوا عن النشاط الاقتصادي لبلاد المغرب خلال عصور الازدهار الاسلامي لم يدونوا عن الاسواق ما ينبغي، وان كان ما جاء اشارات عابرة عن الاسواق، على الرغم من ان اغلبهم اسهب في الكلام عن موضوع التجارة وطرق التعامل فيها، وعن العملة والمقاييل وتموازين وغيرها من الموضوعات التي استفدنا منها بشكل وبآخر. وقد ذكرنا ان هناك بعض الدراسات العربية الاكاديمية، تناولت النشاط الاقتصادي للمغرب في العصر الوسيط، عبر مراحل وازمنة مختلفة، فهذا الحبيب الجنحاتي، في كتابه " المغرب الاسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة "، قدم لنا معلومات اقتصادية افادنا بها في رسم صورة عن الاقتصاد المغربي قبل فترة دراستنا، وخاصة في مجال العملة والاسعار، وطرق التعامل التجاري، الا انه لم يتطرق الى موضوع الاسواق، واهميتها، الا بمعلومات لم تتعدى بضعة اسطر.

والدراسة الثانية، هي دراسة الاستاذ عز الدين موسى، "النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال السادس الهجري"، وهي بذلك نفع ضمن فترة بحثنا وقد عالج فيها الباحث الارتباط العضوي بين القضايا السياسية والاقتصادية، وان الشيء الذي يجب علينا الاعتراف به عن هذه الدراسة، هي انها افادتنا كثيرا جدا في مجالات عدة، وخاصة فيما يتعلق بالعوامل لمؤثرة في حركة وانتقال السلع والبضائع الداخلية والخارجية، وبعض الاجراءات التي اتخذها المسؤولون من اجل حماية التجار وطرق القوافل التجارية، فضلا عن ذكره للعاملين في القطاع التجاري، وطرق التعامل الجاري، الا انه كان بخيلا علينا بموضوع الاسواق واتواعها وتنظيمها واهميتها والاشراف عليها.

اما الدراسة الثالثة، فهي رسالة الاستاذ، مزاحم علاوي "الاضاع الاقتصادية على عهد بني مرين (٦٦٨هـ - ٧٥٩هـ) / ١٢٦٩-١٣٥٨م)؛ وقد افدنا منها في مجال النشاط التجاري وموضوعاته عن العملة والمكايل وكذلك عن السلع الصادرة والواردة الى اسواق المدن المغربية في العصر المريني الاول، ولكنه كسابقة لم يقدم لنا معلومات وافيه عن الاسواق في فترة دراسته.

ومن الدراسات المغربية التي اطلعنا عليها، هي دراسة نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الأقصى على عهد بن مرين"، جاءت هذه الدراسة مخيبة للامال، فكنت اتوقع منها الشيء الكثير عن الاسواق التي هي مرتكز الحركة التجارية، ويعترف الباحث^(١) بتجنبه الحديث عن

(١) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الأقصى خلال العصر المريني الاول، ٦٦٨هـ - ٧٥٩هـ / ١٢٦٩ - ١٣٥٨م). رسالة ماجستير من جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (فاس)، ١٩٨٦، ص ١٧.

الاسواق بحجة قلة المصادر عن هذا الموضوع، وعدم وجود اشارات تخص الاسواق في المصادر التي استخدمها في رسالته. فاذا كان هذا الباحث يعتذر عن التطرق الى موضوع الاسواق بحجة قلة المعلومات وقلة المصادر، وهو الذي عاش في مدينة فاس، وسافر الى الجزائر وتونس وليبيا وايطاليا، فكيف بنا ونحن نعيش في بلد محاصر منذ اكثر من ست سنوات حصارا اقتصاديا وثقافيا، ونعاني كثيرا من قلة المصادر الخاصة عن بلاد المغرب في المجال الاقتصادي، ومع ذلك فقد اتيت بمعلومات هذه الدراسة من المصادر التي اعتمدها اغلب الذين كتبوا عن الاقتصاد المغربي في عصور الازدهار الاسلامي. وبذلت جهدا كبيرا في الحصول عليها وتوظيفها لصالح هذا الموضوع.

ومن المراجع الحديثة التي افادتنا في مجال اشراف الدولة على الاسواق، هو كتاب: لقيال موسى، "تحسبة المذهبية في بلاد المغرب نشأتها وتطورها" وعبد الرحمن الغنمي، في كتابه: "خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين".

واخيرا يجب الاشارة الى الدراسة القيمة للاستاذ روجيه، تون مدينة فاس في عهد بني مرين، فهي دراسة شاملة، تناول فيها الجانب الاقتصادي للمدينة في كل مرافقها، واعتمد على وثائق من الصعب الحصول عليها، وافادنا في جوانب عديدة منها فيما يخص الهيئات الحرفية والصناعية، وعن السلع الصادرة والواردة، وكذلك عن العاملين القطاع التجاري، اما كلامه عن الاسواق في مدينة فاس، فهو قليلة جدا ولا وجدت فهو يستند في كل الاحوال الى معلومات الحسن الوزان، بكتابه وصف افريقيا.

كما قدم لنا جوليان، في كتابه " إفريقيا الشمالية "، معلومات متفرقة عن الدول التي حكمت بلاد المغرب على مر العصور، وكانت معلوماته مهمة في انجواب الاقتصادية ولكنها مختصرة كثيرا. ومن الدراسات المهمة التي افادتني في رسم الصورة التنظيمية لدراستي هي دراسة الدكتور حمدان عبد المجيد الكبيسي، اسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي. واعتمدت هذه الدراسة على مصادر اخرى كثيرة كذلك على دراسات ودوريات عربية واجنبية، ستجدها مثبتة في هوامشي. وفي قائمة المصادر والمراجع الملحقة بها.

(الفصل الأول)

(أنواع الأسواق في بلاد المغرب وتنظيمها)

أولاً - الأسواق العربية الإسلامية المبكرة في بلاد المغرب :

تشير أغلب المصادر التاريخية إلى أن العرب قبل الإسلام، كانت تغلب على تجارتهم الأسواق الموسمية، وكانت تقام في ملتقى الطرق التجارية الكبرى. فيقد إليها الناس من أطراف الجزيرة العربية، مثل، سوق عكاظ، ودومة الجندل، وقد يأتيها قوم من خارج الجزيرة العربية، مثل سوق عدن وصنعاء، وغيرها من الأسواق الأخرى والتي وصلت لنا أخبار كثيرة عنها وعن أيام قيامها^(١).

أما بعد الإسلام، وبعد انتشار العرب المسلمين في إقطار وبلدان كثيرة غنية بثرواتها، وبعد أن مضوا الأمصار، وسكنوا المدن، صارت لهم في الأسواق الثابتة غنى عن الأسواق الموسمية، ومع ذلك فقد بقيت المناطق الريفية والبدوية تقوم فيها أسواق مؤقتة كثيرة وذلك تبعاً لحاجة سكان تلك المناطق لها.

كما ارتبطت الأسواق بإنشاء المدن العربية الإسلامية وذهب المستشرق الفرنسي ماسنيون إلى أن المدينة العربية الإسلامية قامت على أساس السوق^(٢).

(١) انظر مثلاً: الأفغاني، سعيد / أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (دمشق

١٩٣٧) ص ١٩٣، ص ٢٤٠، ونقولاً زيادة، الحسبة والمحاسب في الإسلام،

المنبعة الكاثوليكية (بيروت، ١٩٦٣)، ص ٢٤-٢٦.

(٢) ماسنيون، لويس: الهبات الحرفية والمدينة الإسلامية، مجلة المورد، المجلد

الثاني، العدد الثالث، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٧٣)، ص ١٩، ترجمة :

أكرم فاضل.

وفي بلاد المغرب، وعندما انشأت أول مدينة عربية إسلامية فيها وهي مدينة القيروان (سنة ٥٠ هـ / ٦٥١م)، قام القائد عقبة بن نافع الفهري إنشاء تخطيطه المدينة بتوزيع قطع ارض للمحاربين وعيالهم لانشاء مساكن لهم، وترك وسط المدينة جاده واسعة تمتد من الجنوب الى الشمال وتبدأ من المسجد الجامع وتنتهي بأخر عمران المدينة فتقسم المدينة الى قسمين، وهي التي اطلق عليها فيما بعد باسم السماط الكبير أي الجادة المصطفة حولها دكاكين التجارات، وقد صارت هذه الجادة وبعد حين قلب العاصمة النابض ومحور حركتها التجارية^(١)، ولكن ترتيب الاسواق وتنظيمها داخل هذه المدينة، لم يتجاوز الا في عهد الوالي يزيد بن حاتم (١٥٥ هـ - ١٧١ هـ / ٧٧٢ - ٧٨٨م) فقد سجل ابن عذاري^(٢) نقلا عن الرقيق القيرواني قوله " قدم يزيد بن حاتم افريقية واصلاحها ورتب اسواق القيروان وجعل لكل صناعة مكانا ويقصد سوقا معيناً.

والظاهر ان الترتيب الذي وضعه يزيد بن حاتم لاسواق مدينة القيروان، كان على قاعدة ما كان متعارفا ومألوفا في المدن التي أحدثها العرب المسلمين في العراق، كمدينة البصرة، والكوفة^(٣).

(١) انظر، حسن، حسني عبد الوهاب، ورقأت من الحضارة العربية في افريقية التونسية، مكتبة المنار، (تونس، ١٩٦٦)، ص ٥٤.

(٢) ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد، البيان لمغرب في اخبار الادلس والمغرب تحقيق، حسن كولان، وليفي بوفنسمال، (لیدن، ١٩٤٨)، ج ١ ص ٧٨، وانظر البكري، ابا عبيد عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب. مطبعة الحكومة (الجزائر، ١٨٥٧)، ص ٢٥.

(٣) فمثلا برزت ظاهرة التخصص في الاسواق في مدينة البصرة، حيث كان اصحاب كل مهنة يجتمعون معا في مكان مكونين سوقا فرعية صغيرة =

ان هذا التنظيم للوالي يزيد بن حاتم سرى دستوره ليشمل بقية المدن الافريقية الاخرى، كمدينة صفاقس وتونس وسوسة، وامتد هذا التقليد الى بقية المدن كسجلماسة وتلمسان ومراكش، وغيرها من المدن المغربية الاخرى، التي اشتهرت بانواع مختلفة من الاسواق، وسنحاول التعرف على اهم هذه الاسواق في المدن المغربية في الفترة السابقة لفترة بحثنا، لكي يتسنى لنا معرفة الجذور التاريخية عن نشأة الاسواق في بلاد المغرب وخاصة في مدينة القيروان وتونس وسوسة وصفاقس وتاهرت وسجلماسة، وفاس وغيرها. فالقيروان كما ذكرنا، اول مدينة عربية اسلامية، انشأت في بلاد المغرب ونظمت اسواقها على عهد يزيد بن حاتم. ولدينا في مصادرنا التراثية اشارات الى اهم الاسواق فيها. فمن اشهر اسواقها هو السوق الكبير الذي يسمى بالسماط الكبير، وكذلك سوق البزازين وجوانيت الصرافين: وسوق التماجر اسماعيل (تاجر الله) وسوق بني هاشم. وسوق اليهود، وجوانيت الزهادنة وغيرها

داخل السوق الكبير وتختلف اهمية الاسواق الفرعية باختلاف عدد من يعمل فيها، لو المهن التي يمتثلونها: انظر، العلي، صلاح احمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، مطبعة المعارف (بغداد، ١٩٥٣)، ص ٢٢٨ - ص ٢٤٠. كما ان خالد القسري كان قد صف الاسواق في الكوفة حسب عروض التجار التي تعرض فيها حيث " جعل لكل باعة دارا وطاقتا". انظر البيهقي: احمد بن ابي يعقوب بن واضح، كتاب البلدان، مطبعة النجف (النجف، ١٩٥٧)، ص ٧١، وانظر، الكبيسي، حمدان، اسواق بغداد حتى باية العصر البيهقي، دار الحرية للطباعة (بغداد ١٩٧٩) ص ١٦٦. كما برزت ظاهرة التخصص في مدينة بغداد، على الرغم من انها انشأت بعد مدينة القيروان بحوالي القرن من الزمن، ولكن كما ذكرنا ان طبيعة ترتيب الاسواق في المدن العربية والاسلامية كان متشابهة نوعا ما. عن اسواق بغداد، انظر الكبيسي، اسواق بغداد، ص ١٦٦ - ص ١٧٨.

من الاسواق الدائمة^(١). ومن الاسواق الدائمة الاخرى في مدن افريقية، هي اسواق مدينة العباسية التي "تحتوي على انواع المتاجر"^(٢)، وكذلك اسواق مدينة اجدايية التي "كان يتمتع بها الرفاق من كل جهة"^(٣) واسواق مدينة المهدية التي اشتهرت بتأواع المتاجر^(٤). وهناك اسواق تجارية اخرى كثيرة في مدة رقادة^(٥)، وسوسة^(٦)، والمنصورية^(٧)، وقابس^(٨)، وصفاقس وطرابلس^(٩).

(١) انظر عن اسواق القيروان. المالكي. ابا عبد الله بن محمد، رباض النفوس في طبقات علماء القيروان ولفريقية زهادهم وعبادهم ونسلكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم. تحقيق حسين مؤنس. مكتبة النهضة المصرية. (القاهرة. ١٩٥١) ج ١، ص ٧٠، ص ١٠٩، ص ١٣٩، ص ١٩٥، ص ٣٥١، ص ٣٨١، ص ٣٩٤. وانظر الدباغ، ابا زيد عبد الرحمن بن محمد، معجم الايمان في معرفة اهل القيروان، اكمله وعلق عليه، ابن ناجي. ابو الفضل بن عيسى التتوخي، تحقيق محمد الاحمدي ومحمد ماضيور، مطابع الرجوي (القاهرة، ١٩٧٢) ج ٢، ص ٣٥، ص ٣٤٣.

(٢) ابن حوقل، ابو القاسم محمد البغدادي، صورة الارض، منشورات مكتبة الحياة، (بيروت، بلا) ص ٨١.

(٣) م، ن، ص ٨١. والرفاق يعني تجار المناطق النائية.

(٤) ادم متر، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده (القاهرة، ١٩٤٧)، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٥) ابن وردان، مجهول الشخصية، مملكة الاغالبية، تحقيق وتقديم محمد زينهم ومحمد غرب مكتبة مديوي (القاهرة، ١٩٨٨)، ص ٤٢.

(٦) البكري، المغرب، ص ٣٤.

(٧) القرماتي، احمد بن يوسف بن احمد، اخبار الدول واثار الاول في التاريخ، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٧٨)، ص ٦٩.

(٨) حسن حسني، ورقات، ج ١، ص ٦٣.

(٩) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٣، ص ٧٦.

أما الأسواق المؤقتة في إقليم المغرب الأدنى (أفريقية)، فهي كثيرة، فقد احتوت مدينة القيروان على سوقين أسبوعيين، هما سوق الأحد وسوق الخميس^(١)، حيث كان يتم البيع في هذين السوقين يومي الأحد والخميس من كل أسبوع وذلك لازدياد حركة البيع والشراء فيهما. وفي ناحية غافق بين قابس والقيروان، كان يقوم سوق كل يوم جمع، يطلق عليه سوق الجمعة^(٢)، ويشير ابن حوقل^(٣)، إلى أن في مدينة باثوا أسواقا تحضر في كل شهر لأيام معلومة. إلا أنه لم يشير إلى هذه الأيام المعلومة.

وعرفت مدن المغرب الأوسط، هي الأخرى أنواعا مختلفة من الأسواق، فالعاصمة تاهرت كانت تحتوي على أسواق كثيرة عامرة بمختلف البضائع^(٤).

كما أننا نجد بعض الأسواق في تاهرت تحولت إلى مدن مهمة نتيجة ازدهارها التجاري، كمدينة سوق كرام، ومدينة سوق إبراهيم^(٥)، واشتهرت سوق أخرى باسم ابن وردة في تاهرت^(٦)، وعرفت مدينة

(١) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،

تحقيق ج. دي. غوية، إربيل، (لندن، ١٩٠٦)، ص ٢٥٥.

(٢) م، ن، ص ٢٢٤.

(٣) صورة الأرض، ص ٧٥.

(٤) البكري، المغرب، ص ٩٨.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص ١٠٤. البكري، المغرب، ص ٦٠.

(٦) ابن الصغير المالكي، اخبار الائمة الرستميين وسيرهم، تحقيق احمد بكير

وقفال إبراهيم، دار الغرب الاسلامي (تونس، ١٩٨٨)، ص ٤٥.

تنس أسواقا حافلة كثيرة^(١). أما الإشارات عن وجود أسواق مؤقتة في المغرب الأوسط، فهي غير متوفرة لدينا، إلا أن أحد الباحثين المحدثين^(٢). يذكر، أن القبائل البدوية غالبا ما كانت تقصد أسواق مدينة تاهرت، وأسواق المدن الشمالية منها في أشهر من السنة لغرض عملية البيع والشراء. وفي المغرب الأقصى، كانت مدينة فاس عاصمة الإدارة، حافلة بعدد كبير من الأسواق^(٣) واستمر نشاط أسواق هذه المدينة مزدهرا خلال حكم المرابطين، والموحدين وبنو مرين كما سنقدم.

وانتشرت الأسواق المؤقتة في مدن المغرب الأقصى، فهناك سوق الجمعة في مدينة درع، حيث تشار البكري^(٤) إلى ذلك - وعلى وادي درعة سوق في كل يوم جمعة في مواقع مختلفة منه معلومة ربما كان غنية في اليوم الواحد سوقان وذلك تبعد مسافة وكثرة الناس عليه نظول تمارته المتعددة سبعة أيام. أما سوق قصر أبي موسى القرينة من مكناسة، فقد كانت تقوم يوم الخميس من كل أسبوع^(٥). وهناك سوق

(١) مجهول. الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق، سعد زغلول عبد

الحميد، (الاسكندرية، ١٩٥٨): ص ١٧٣

(٢) يحاز إبراهيم، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، رسالة ماجستير على الآلة الطباعة، جامعة بغداد، كلية الآداب،

١٩٨٣، ص ١٨٨.

(٣) السلوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب

الأقصى (الدار البيضاء، ١٩٥٤)، ج ١، ص ١٤٧ - ص ١٦٤.

(٤) البكري، المغرب، ص ١٥٢، الاستبصار، ص ٢٠٦.

(٥) حسن علي، تاريخ المغرب في عصر الولاة، مطبعة المختار (القاهرة، ١٩٧٧)

ص ٢٥٨.

بني مغروات، حيث تعقد يوم الثلاثاء من كل اسبوع^(١)، وفي مدينة اصيللا كانت تقوم سوق جامعة ثلاثة مرات في السنة^(٢).

ومن هذا الاستعراض السريع لاهم الاسواق المهنية والحرفية المبكرة لبلاد المغرب، يتضح لنا ان كثيرا من المدن المغربية قد احتوت على نوعين من الاسواق هي الثابتة والمؤقتة، وتعد مدينة القيروان، اكثر المدن المغربية اسواقا، الا ان التنظيمات المهنية والحرفية لم تتبلور بالشكل المعروف عنها في هذه الاسواق، الا في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وما بعده حيث حدث تبلور واضح في مجال التنظيم ومنها التنظيمات الاقتصادية، فقد شهدت بعض المدن المغربية، انتعاشا اقتصاديا كبيرا في ظل الحكومات المتعاقبة على حكم البلاد، كمدينة مراكش، وفاس وسبتة، وتلمسان، وتونس، وغيرها من المدن المهمة، وسنحاول جاهدين التعرف على اسواق هذه المدن، وتنظيماتها والانشطة التي مارسها سكان المغرب في هذه الاسواق. ولا بد من القول ان نشاط الاسواق المغربية في فترة بحثنا، ما هو الا امتداد لما كان عليه في القرون الاولى، مع بروز مدن ومراكز اقتصادية جديدة بفعل التغيرات السياسية في بلاد المغرب، واثار هذه التغيرات في الحياة الاقتصادية عامة، والاسواق خاصة والتي تمثل مركز النشاط الاقتصادي في حياة المدينة.

وسنكون دراستنا للأسواق في اقاليم بلاد المغرب المختلفة في فترة بحثنا ليس على اساس العهود والانظمة السياسية، بقدر ما هي عليه داخل كل اقليم من اقاليم بلاد المغرب الثلاث (المغرب الأدنى،

(١) البكري. المغرب، ص ١٥٧.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج ١، ص ٢٣٢.

المغرب الاوسط، المغرب الأقصى)، والسبب في ذلك يعود الى طبيعة المطومات المتوفرة في مصادرنا التراثية عن الاسواق.

انواع الاسواق:

١- الاسواق الدائمة

وهي الاسواق الثابتة داخل المدينة، والتي لا تكاد تخلو أي مدينة منها. كان توزيع الاسواق الدائمة على نطاق واسع في مدن بلاد المغرب خلال فترة بحثنا، بالرغم من ان الكتاب العرب في العصر الوسيط، قد وجهوا اهتمامهم الى اسواق المدن الكبرى والمراكز السياسية فيه، فمثلا نالت اسواق مدينة فاس الاهتمام الكبير، لانها كانت مركزا لحكم لاكثر من نظام سياسي نشأ في بلاد المغرب (الادارسة - والمرابطين لفترة معينة، والمرينيين). اما مدينة مراكش عاصمة المرابطين والموحدين في المغرب الأقصى، فقد شهدت اسواقها ازدهارا اقتصاديا كبيرا، ولكن سرعان ما قل بريق هذا الازدهار في عهد بني مرين.

وفي المقابل لابد من القول، ان بعض مدن وحواضر الاقاليم المغربية المختلفة، لم تحظ باهتمام الكتاب في فترة بحثنا، لانها كانت بعيدة عن مراكز الحكم والادارة، ففي فترة حكم المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، لا نجد مطومات واضحة عن اسواق مدن اقليم المغرب الادنى (افريقية)، كلقيروان والمهدية وتونس، لانها كانت خارج نطاق حكم المرابطين من جهة، ولسيطرة للقبائل الهلالية على هذه المدن واشاعة الفوضى فيها مما اضعف نشاط الحياة الاقتصادية من جهة اخرى. لذلك نفسه كان في فترة حكم الموحدين في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، حيث ظلت اسواق مدن المغربيين الادنى والاطوسط في فوضى سياسية،

وبتدنى اقتصادية مما جعلها بعيدة عن اهتمام الكثير من كتابنا العرب المسلمين.

وبعد نهاية الموحدين، وانقسام بلاد المغرب الى كيانات سياسية (كبنى مرين في المغرب الأقصى، وبنى زيان في المغرب الأوسط، وبنى حفص في المغرب الأدنى)، نجد ان وضع الاسواق قد تغير، فقد انتعشت مدينة تونس في المغرب الأدنى وأصبحت في عهد الحفصيين مقصدا للتجار، وذلك بسبب السياسة الاقتصادية التي تبناها الحكام الحفصيون، حيث عملوا بكل جهودهم على عقد العديد من الاتفاقيات التجارية مع الدول الاوربية، وخاصة مع الجمهوريات الإيطالية^(١)، ذلك امتأت تونس بتنوع الاسواق المختلفة، وكثرت البضائع والسلع المتداولة في اسواقها، وغدت تنافس مدينة فاس عاصمة بني مرين.

اما مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية، فقد احتلت اسواقها مكانة اقتصادية كبيرة باعتبارها نقطة التقاء القوافل التجارية الذاهبة الى بلاد السودان الغربي، بالرغم من انشغالها بين تطبي رحى، حيث غالبا ما تهدد من قبل المرينيين والحفصيين.

وعلى أية حال، ان اهتمام الكتاب العرب بالمدن الكبرى، لم يمتنع من البحث عن المدن المغربية الاخرى، التي وجدنا بعضها قد احتل مكانة اقتصادية مهمة، خاصة، مدينة صفاقس في المغرب الأدنى، ومدينة سبتة في المغرب الأقصى، حيث احتوت هذه المدن على اسواق وفنادق عديدة تشابهها العديد من المؤرخين، كما سنوضح لاحقا.

(١) سنبحث هذه الاتفاقيات في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

ويبدو لنا ان تقدير عدد الاسواق داخل المدن المغربية، شينا لم يكن دقيقا من قبل الكتاب، حيث غالبا ما يصف الكتاب المدينة بأنها ذات اسواق كثيرة او تحتوي على اسواق واسعة، ولكنه لم يوضح عدد هذه الاسواق، الا في اشارات عرضية وردت لنا عن اسواق مدينة فاس وسبته وتونس، من مؤرخين عاشوا في هذه المدن.

وفي ضوء المعطومات المتوفرة في مصادرنا عن اسواق المدن المغربية، سنقدم وصفا شاملا ودقيقا لاهم الاسواق الثابتة، المتخصصة منها والجامعة.

ففي المغرب الأدنى، كانت مدينة تونس في فترة دراستنا اهم مدن هذا الاقليم، بعد ان فقدت المدن الكبرى داخل هذا الاقليم اهميتها الاقتصادية على يد الغزاة الهلاليين، بمدينة القيروان، والسهنية ومروسة وطرابلس ورقادة وصبرة وغيرها من المدن التي كانت مزدهرة على أيام الأغالية والفاطحيين ونستهل كلامنا عن مدينة تونس بما قاله البكري^(١)، فهو يصف اسواقها بقوله ' وفي مدينة تونس اسواق كثيرة ومتاجر عجيبة.

ويشير الكعاك^(٢) استنادا على بعض الوثائق والآثار الى بعض الاسواق الثابتة في تونس في العصر الموحد، منها سوق القسطنطين (والذي يطلق عليه بسوق العصر)، وهي سوق اكثر حركتها التجارية

(١) البكري، المغرب، ص ٢٠، ويبدو ان وصف البكري هذا لاسواق تونس كان في ظل سيطرة العرب الهلاليين على هذه المدينة في فترة حكم المرابطين لبلاد المغرب، مما يدل على ان اثار الخراب الاقتصادي بدأ يتلاشى مع مرور الزمن لمدن هذا الاقليم.

(٢) الكعاك، عثمان، العلاقات بين تونس وايران عبر التاريخ، للشرعة الوطنية للنشر والتوزيع، (تونس، ١٩٧٢)، ص ١٣٨.

عصرا تباع فيه الخردة، وهناك سوق النحاس التي تباع فيه الاباريق والطشوت والاطباق والصواني والقذور^(١).

ومن اسواقها الاخرى، سوق الصوف قرب جامع اثريونسة، وسوق الملافين (وهو سوق الاقمشة الصوفية الرقيقة والناعمة)؛ وسوق القطانين باعة القطن، وسوق الندافين، وسوق السراجين، وسوق البرادعة، وسوق الشكازين (والشكاز، هو الذي يلبس الجلد للهيكل الخشبي الذي يصنعه) وكذلك سوق الخراطين لغرض صناعة العاج^(٢).

وفي العهد الحفصي، اهتم الحكام الحفصيون اهتماما واسعا بالاسواق فقد شيدوا عددا كبيرا منها في العاصمة تونس، وجدد بعض الحكام الاسواق القديمة ففي عهد ابي زكريا يحيى الحفصي (٦٣٤هـ - ٦٤٧هـ / ١٢٢٧م - ١٢٤٩م)، شيد سوق العطارين بتونس سنة (٦٣٤هـ / ١٢٣٧م)^(٣).

وفي عهد محمد المستنصر بالله (٦٤٧هـ - ٦٧٥هـ / ١٢٤٩م - ١٢٧٧م)، كان هناك في العاصمة تونس سوق يسمى بسوق

(١) الوزان، وصف أفريقيا، ص ١٤٩.

(٢) الجزائري، ابو الحسن عني، جني زهرة الاسن في بناء مدينة فاس، اعتناء الفرد بل، مطبعة باستيد (الجزائر، ١٩٢٢)، ص ٦٦، ص ٧٠، وانظر الكعك، عثمان، الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، مطبعة نجدة البيان العربي (القاهرة، ١٩٦٥)، ص ٧٣-٨٣.

(٣) السراج، محمد بن عمر الادنسي، تحليل السندسية في الاخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر (تونس، ١٩٧٠)، ص ١٠٣٥، ابن ابي دينار، ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم، المؤمن في اخبار اثريونية وتونس، تحقيق محمد شمام (تونس، ١٣٨٧هـ)، ص ١٢٤.

للقلقة^(١)، ولا نعرف على وجه الدقة ماهية هذا السوق^(٢)، وفي إشارة للسراج^(٣)، يذكر فيها بان هناك سوق في تونس يسمى سوق الكتبيين، وذلك على عهد أبي زكريا الثاني الملقب بالوائق (٦٧٥هـ - ٦٧٨هـ / ١٢٧٧م - ١٢٧٩م).

وكان في أيام أبي بكر بن أبي زكريا (٧١٨هـ - ٧٤٧هـ / ١٣١٨م - ١٣٤٦م) في تونس أكثر من سبعمائة حاتوت عطار، وكان يصنع في أيامه كل يوم أربعة آلاف قفيز قمح^(٤). وأشار ابن أبي دينار^(٥) الى سوق الشماعين بتونس، وكانت تباع فيه السبليط (أي الواح الشموع).

ويعدد الزركشي^(٦) عددا آخر من أسواق العاصمة، مثل سوق القزائين، والصفارين والقشاشين، وسوق الفحم، وسوق الرهاونة، وسوق العطارين والفخارين والعزافين.

- (١) السراج، التحلل السندسية، ص ١٠٨١: ابن أبي دينار، ص ١٤٤.
- (٢) لعل هذا للسوق، هو سوق النحاس كما اشار بذلك الزركشي، محمد بن ابراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماخلور (تونس، ١٩٦٦). ص ١٣١، ص ١٣٦، ص ١٤٢.
- (٣) التحلل السندسية، ص ١٠٣٥، وفي إشارة من العلوي، ان هذا السوق كان يطلق عليه سوق الوراقين، انظر العامري، محمد الهادي، تاريخ المغرب في سبعة قرون بين الازدهار والذبول من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، الشركة التونسية للنشر، (تونس، ١٩٧٤)، ص ١٦٦.
- (٤) السراج، التحلل السندسية، ص ١٠٥١، ابن أبي دينار، المؤنس، ص ١٤٤.
- (٥) المؤنس، ص ١٣٤.
- (٦) تاريخ الدولتين، ص ١١٦، ص ١١٧.

أما حسن الوزان^(١)، فيشير إلى بعض أسواق تونس المهمة في بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، نظم عددا كبيرا من تجار القماش، والصناع العطارين وبائعي الأشربة والعقاقير، وتجار الحرير والعلطور والغرائين والخياطين والسراجين والفاكهيين والخبازين والقصابين.

وبذلك اعتبرت مدينة تونس في فترة دراستنا أكثر مدن إفريقية (المغرب الأدنى) أسواقا حيث بلغ عدد أسواقها الدائمة أكثر من عشرين سوقا، وأكبر أسواقها هو سوق للعطارين الذي بلغ أكثر من سبعمائة دكان وهذا ما أشرنا إليه سابقا.

ومن مدن المغرب الأدنى المهمة مدينة صفاقس، والتي احتوت على عدد من الأسواق الدائمة كسوق الربع^(٢)، وهو يشبه سوق اليهود في القيروان في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي^(٣)، ومن أسواقها أيضا سوق الفاكهيين، لبيع وشراء الفاكهة، وهو من أملاك آل

(١) الوزان، الحسن بن محمد الزياني، وصف إفريقية، ترجمة محمد الحجي ومحمد الأخضر (الرباط، ١٩٨٢)، ج ٢، ص ٧٥.

(٢) ويطلق عليه أيضا بسوق الرهانة. وسوق الربع في صفاقس سمي بهذا الاسم هو لجلوس الناس في هذا المكان متربعين، حيث أن هذا السوق كل دكاكينه كانت ترتفع عن الأرض بنحو المتر، وتجارد يجلسون متربعين. لذلك سمي بسوق الربع، ولربما سمي بسوق الربع، لأن البضاعة التي كانت تباع فيه، يدفع عنها ربع الثمن الذي يبيع فيه كلوازم ضريبية، لذلك سمي بسوق الربع. انظر في هذا الصدد، الكافي، أبو بكر، صفاقس، منشورات التعاضدية العمالية (صفاقس، ١٩٦٦)، ج ١، ص ٨٠، ص ٨١.

(٣) الكافي، صفاقس، ج ١، ص ٨١، هناك حجج عديدة لبيع وشراء بعض الأسواق في صفاقس ترجع معظمها إلى نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، انظر / صفاقس، ج ١، ص ٨٤.

الحضائري^(١)، وسوق الكمادين، وهو خاص بكمد الثياب وتقصيرها، وسوق الحدادين والتجارين، وسوق الصباغين الذي كان يعرف فيه كل شيء، حيث معامل الصناعة ولوازمها التي يحتاجها العاملون، مما جعله كثير الرواج يقصده الفلاح والنساج والجزار والصناع^(٢).

وفي مدينة سوسة، أسواق كثيرة المتاجر كما أشار بذلك القلقشندي^(٣)، وفي مدينة قابس أسواق واسعة، وأهمها سوق الحرير المخصص لبيع الأقمشة الحريرية^(٤)، ويوجد على خليج قابس سوق كبيرة يطلق عليها محمد المرزوقي^(٥)، باسم (تاكاب او تاكلبس)، وتُعرف سوق قابس، وذلك استنادا إلى بعض المخطوطات التي أطلع عليها، ويرى المشرفي^(٦) أنها ترجع إلى نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. أما مدينة توزرو، ففيها أسواق دائمية كثيرة، حتى أطلق

(١) الكافي، صفاقس، ج ١، ص ٨١، هناك حجج عديدة لبيع وشراء بعض الأسواق في صفاقس ترجع معظمها إلى نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، انظر / صفاقس، ج ١، ص ٨٤.

(٢) م. ن. ج ١، ص ٨٨، ص ٩٠.

(٣) القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، دار الكتب، (بيروت، ١٩٨٧)، ج ٥، ص ١٠٥.

(٤) الاريسي، أبو عبد الله المعروف بالشريف، وصف افريقية الشمالية الصحراوية، تصحيح هنري بيرس، (الجزائر، ١٩٥٧)، ص ٧١.

(٥) المرزوقي، محمد، قابس جنة الدنيا، مكتبة الختاجي، ومكتبة المتنبي، (بغداد، ١٩٦٢)، ص ٧٠.

(٦) المشرفي، محمد محي الدين، تاريخ افريقية الشمالية (المغرب، بلا)، ج ٤، ص ٢٤٧.

عليها التجاني^(١) بأنها مدينة للقصارين، حيث يوجد في داخلها سوق كبيرة للقصارين " ينشرون فيه الثياب الملونة والقمشة الوشية مما يعمه على كبره "وشهدت مدينة طرابلس هي الاخرى اسواق متخصصة كثرة بحب الحرف والمهن^(٢).

وفي مدينة الغديد يشير الانصاري الدمشقي^(٣)، الى وجود سوق يسمى بسوق حمزة، وهو من اشهر اسواقها. واشتهرت مدينة المنستير في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بكثرة الاسواق، ومن اسواقها المشهورة سوقالربع^(٤). وفي مدن المغرب الاوسط، كان هناك اسواقا دائمة كثيرة ايضا، وخاصة في مدنه الكبرى، كمدينة تلمسان، ووهران وتنس وبجاية، وغيرها من المدن التي بقيت محافظة على نموها وازدهارها الاقتصادي. فمدينة تلمسان. ذات اسواق ومتاجر عديدة . وكانت مقصدا للتجار^(٥) ومن اسواقها المعروف " سوق الاسكافيين"^(٦).

(١) التجاني. ابو محمد عبد الله بن محمد، رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة التونسية(تونس، ١٩٥٨، ص١٥٧، ص١٥٨.

(٢) الوزان، وصف افريقيا، ج٢، ص٩٧.

(٣) الانصاري. شمس الدين ابو عبد الله محمد الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (لايبزك، ١٩٢٣)، ص٢٣٧.

(٤) سليمان مصطفى، المنستير ماضيها ومعالمها الاثرية، الدار التونسية للنشر (تونس، بلا)، ص٦.

(٥) البكري، المغرب، ص ١٠٧، الادريسي، وصف افريقية، ص٦٧، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص١٠٥.

(٦) ابن الاحمر، اسماعيل بن يوسف، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق جيهوتمل باول، وجورج مركاس، (پاریس، ١٩١٧)، ص٤٦.

وسوق الكتب^(١)، وقد رآه الباحثين متاجرها في عهد بني زيان بالف وخمسمائة متجر^(٢)، وذلك استنادا الى بعض الوثائق القديمة. وشهدت مدن وهران وتونس اسواقا حافلة مخصصة لبيع الخبز الرقيق^(٣). ومن اسواق مدينة بجاية في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، سوق الصوافين والذي كان للفقيه ابي محمد عبد الله الشريف حاتوتا للخياطة فيه^(٤). وفي اقليم المغرب الأقصى، كثرت الاسواق الدائمة في مدنه الرئيسية، واهتم كتابنا بالاسواق المهمة في هذا الاقليم، خصوصا وانه شهد قيام دول متعاقبة في فترة بحثنا (المرابطين : الموحيدين ، بني مرين). فمدينة مراكش في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، عرفت اسواقها اتساعا كبيرا في جميع الانشطة الاقتصادية ولم تقتصر اسواقها على السلع المدأولة محليا، بل جلبت اليها العديد من البضائع والسلع من مناطق بعيدة واشتهرت بعدد من الاسواق الدائمة، كسوق الدخان ، الصابون ، المغازل والصفر^(٥)، وبشير

(١) التنسي، محمد بن عبد الله، نظم الدرر والعيقان في شرف بني زيان. تحقيق محمد بوعيداد، المكتبة الوطنية (الجزائر، ١٩٧٥)، ص ٤٦.

(٢) الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية (الجزائر، ١٩٥٣، ج ٢، ص ٢٦٢.

(٣) المراكشي، عبد الله بن علي بن عبد الواحد، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، (القاهرة، ١٩٤٩)، ص ١١٢.

(٤) الغبريني، ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. تحقيق وتطبيق عادل نويهض، منشورات لجنة التاليف والنشر والترجمة، (بيروت، ١٩٦٩)، ص ١٩٥.

(٥) الادريسي، وصف الفريق، ص ٢٥، وسوق الدخان يعني خلط الاسفلت بالزيت.

الادريسي^(١)، واصفا مدينة مراکش بقوله " ومدينة مراکش في هذا الوقت من اكبر مدن المغرب الأقصى... واسواقها وسلمها نافقة ".
ومن اسواق مراکش الأخرى، سوق الحنطة، وسوق البهائم، وسوق الكتب وسوق الجبب، للخاص ببيع الجبب، وسوق الدباغين والاسكافيين^(٢).

اما مدينة فاس، التي اسسها الادارسة في نهاية القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، فقد كانت اسواقها تفع بالنشاط الاقتصادي منذ عصر المرابطين والسلوي^(٣)، ذكر ان اسواق مدينة فاس رتبت منذ عهد يوسف بن تاشفين، حيث قام بترتيب اسواقها عام (٤٦٤ هـ / ١٠٧١م) وكثرت اسواقها في عهد الموحدين، ففي اشارة للجزنائي^(٤) يذكر فيها ان عدد المتاجر او الحوانيت في مدينة فاس بلغت أكثر من تسعة الاف واثنين وثمانين حانوتا وقيصريتين مخصصتين لبيع الثياب.

(١) وصف إفريقيا، ص ٤٥، وفي اشارة لابن بطوطة، يفران فيها اسواق مراکش باسواق بغداد، حيث يذكر ان اسواق بغداد افضل من اسواق مراکش، انظر، ابن بطوطة، اباب عبد الله بن ابراهيم، حقة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة، تحقيق، علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٧٩)، ص ٤٤٠.

(٢) العمري، احمد بن علي بن فضل الله، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق مصطفى ابو ضيف، مطبعة الدار البيضاء (المغرب، ١٩٨٨)، ١٣٤ و انظر ابن رشد، محب الدين محمد بن عمر، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجييه الى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، شركة النشر للتونسية، (تونس، ١٩٨١)، ج ٣، ص ١٣٤.

(٣) السلوي، الاستقصاء، ج ٢، ص ١٠٧.

(٤) جني زهرة الآس، ص ٣٣، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٤٧.

الا ان اسواق فاس زالت اهميتها في عهد بني مرين عندما اتخذوها عاصمة لحكمهم، فابن الاحمر^(١) يشير الى عدد من اسواقها المشهورة، ومن اهمها سوق بني فذه، نسبة الى عائلة بني فذه، حيث كان احد افراد عائلتها يسكن في حلقوت داخل هذا السوق وهناك سوق للرصيف، ورحبة الزبيب، وسوق العول، التي اشتهرت به عائلة بني الدخيل، وسوق البلاجين، الذي كان يصنعون فيه مغاليق الابواب وسوق الجزارين وسوق مغراوة، نسبة الى قبيلة مغراوة، وسوق القصارين.

وفي اشارة لأبن قنفذ^(٢)، يذكر فيها الى ان هناك في مدينة فاس سوق يسمى سوق المسلسلة، ولربما كان مختصا لصنع السلاسل الحديدية، وهناك سوق الصاغة ويقع في وسط المدينة قرب دار للسكة، وسوق الزيت وسوق الفخار^(٣). الا ان اهم واوسع وصف لاسواق مدينة فاس هو ما دونه الحسن الوزان في بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي في كتابه "وصف افريقيا" وهو امتداد لما كان معروف عن اسواق فاس في القرون السابقة.

بدأ الوزان^(٤) بسوق العول الذي يحتوي على ثمتين دكنا، وفي كل دكان عدلان والى الغرب من ذلك نحو ثلاثين دكنا للكتبيين،

(١) ابن الاحمر، اسماعيل بن يوسف، ببوات فاس الكبرى (الرباط، ١٩٧٢) ص ٩، ص ١٠، ص ٢١، ص ٢٤، ص ٤٤، ص ٤٨، ص ٥١.

(٢) ابن قنفذ، ابو العباس القسطيني، افس الفقير وعز الحفير، تحقيق محمد الفاسي واولف فور، (الرباط، ١٩٦٥)، ص ٧٥.

(٣) المنوني، محمد، ورقالت من الحضارة المغربية في عهد بني مرين. (الرباط، ١٩٧٩)، ص ٢١، وانظر، روجيه، لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة

الدكتور نقولا زيادة، مكتبة لبنان، (بيروت، ١٩٦٧)، ص ٣٩، ص ٤٠.

(٤) وصف افريقيا، ج ١، ص ١٨٤.

والى الجنوب باقعة الاحذية الذين يشغلون قرابة مائة وخمسين دكانا، يشترون الاحذية والخفاف من الخرازين، الذين يصنعون احذية الاطفال، ويبلغ عدد دكاكينهم مئة وخمسين دكانا، ثم باعة الفواكه الذي يبلغون نحو خمسين دكانا يبيعون فيه فواكههم، وبعدهم الشماعون الذين يصنعون الشمع باجمل الاشكال، ثم بائعو الارهار الذين يبيعون ايضا الليمون والحامض، ويبلغ عدد دكاكينهم نحو العشرين، وبعدهم بائعو اللبن، الذين يشترون اللبن من البقارين كل صباح في اوعية من خشب مطوقة بالحديد. وبعدهم اللبائين بائعو القطن الذين يبلغ عدد دكاكينهم ثلاثين، والى الشمال منهم بائعو مصنوعات القنب كالحبال ولزمة الخيل والخيوط والشرائط الرفيعة، ثم ياتي بعد ذلك صانعو النطق الجلدية والخفاف والارمة الجلدية المطرزة بالحزير، ثم بعدهم صانعو المشدات الذين يصنعون اعمدة السيوف واغطية صدور الخيل، ثم بائعو المنح والجبس ثم بائعو الاواني الخزفية ذات النضعة المتقنة والالوان الزاهية، ويبلغ عدد دكاكينهم مائة دكان، وبعدهم بائعو اللجم والاحزمة والسروج والراكبات ولهم ثمتين دكانا، ثم يصل الى مجمع الحملين، الذين يبلغ عددهم ثلاثمائة حمال وهم في وسط ساحة يحيط بها سياج مربع من القصب، وفي وسط هذه الساحة ايضا باعة الجزر، وتقوم حول الساحة بعض الدكاكين تباع فيها الشعيرة^(١)، وفي الجهة الشمالية من هذه الساحة سوق الاعشاب، ويضم هذا السوق نحو اربعين دكانا، ثم بائعو الزيت الدخان حيث تباع الفطائر المقلية في الزيت، ثم بائعو الزيت والسمن والعسل والجبن الطري والزيتون والليمون الحامض^(٢)، وعلى

(١) الوزان، وصف لأفريقيا، ج ١، ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) م، ن، ج ١، ص ١٨٦.

مسافة قريبة يوجد سوق الجزارين في نحو أربعين دكنا، وبعدهم يأتي سوق الاقمشة الصوفية الغليظة محتويا على مائة بكاتا، ثم يأتي بعد ذلك صانعو اقفاص الدجاج يصنعونها من القصب ولهم أربعين دكنا^(١). ثم ياتئ الصابون السائل، وقريب منهم بالعمى الدقيق ثم ياتئ التين في نحو عشرة دكاكين، ثم السوق الذي يباع فيه خيط الكتان^(٢).

اما الجزء الغربي الممتد من جوار جامع القرويين الى الباب المؤدي الى طريق مكناس، يوجد على خط مستقيم سوق الدخان، وصانعو الدلاء، ويشغلون نحو اربعة عشر دكنا. ثم صانعو الظروف التي يخزن فيها الدقيق والقمح، ولهم ثلاثين دكنا، ثم الاسكافيون وبعض الخرازون الذين يصنعون نعالا للناس ويشغلون نحو مائة وخمسين دكان، وبعدهم صانعو التروس والدرق الجلدية وصانعو قرابيس سروج الخيل، ثم الحرفيون الذين يزخرفون الركابات واللجم ويشغلون نحو أربعين دكنا، وبعدهم الحدادون الذين يصنعون القطع الحديدية المزخرفة لطقوم الخيل، ثم صانعو السروج، ولهم مائة دكان ثم صانعو الرماح^(٣).

ومن اهم اسواق مدينة فاس، هو سوق التجار، الذي هو اشبه بمدينة صغيرة مسورة بجدران ينفث فيها اثنا عشر بابا، وينقسم هذا السوق الى خمسة عشر حيا، اثنان مخصصان للخرازين الذين يصنعون الاحذية للاعيان، وهناك حيان اخران مخصصان لتجار الاقمشة الحريرية ويشغلون نحو خمسين دكنا، وخمسين دكنا اخرى لبيع الحرير

(١) الوزن، وصف أفريقيا، ج ١، ص ١٨٧.

(٢) م، ن، ج ١، ص ١٨٨.

(٣) م، ن، ج ١، ص ١٨٨، ص ١٨٩.

الملون^(١)، ثم بعد ذلك حيان لخران يشغلها تجار الأقمشة الصوفية المستوردة من لوربا، وبعد ذلك يحتل الخياطون ثلاثة أحياء، ثم حيا خاصا بالمصالح الذين يصنعون ضفائر حواشي الثياب، ثم حيان لتجار الكتان وتجار القمصان والأقمشة النسائية، وهؤلاء اغنى تجار مدينة فاس^(٢)، وحيا آخر يصنع فيه جميع ما تزين به البرانس من بلوطات الحرير، ثم في حي آخر تباع ملابس من القماش الأوربي المستخدم، حيث يأتي بها أهل المدينة لبيعونها عندما تصبح بالية أو لاي سبب آخر، ولخيرا هناك حي خلص يعد فيه بيع القمصان القديمة المصنوعة من الكتان والاعطية والقوط^(٣).

أما سوق العطارين فهو من الأسواق العظيمة في مدينة فاس، حيث تبلغ عدد دكاكينه نحو مائة وخمسين دكانا، وتباع فيه المواد المتعلقة بالعطارة والطب، وإلى جانب سوق العطارين من الشرق، صانعوا الأبر في نحو خمسين دكانا، ثم دكاكين الخراطين، ثم الرقاقين وباعة الصابون ولا تزيد عدد دكاكينهم عن العشرين، ثم سوق الطيريين، باتعي للطيور الجميلة، ثم صانعوا الأسلحة في عشرة دكاكين، وبعدهم خمسين دكانا لصانعي المكاتيس، ثم صانعي المكابيل والصباغين^(٤).

أما القسم الشرقي من مدينة فاس، فهو أقل تحضرا من القسم الغربي، ويقصد الوزان بالقسم الشرقي، أي فاس العتيقة التي يطلق

(١) الوزان، وصف لأفريقيا، ج ١، ص ١٨٩.

(٢) م، ن، ج ١، ص ١٨٩.

(٣) م، ن، ج ١، ص ١٩٠.

(٤) م، ن، ج ١، ص ١٩٢.

عليها بدوة الاندلسيين، والتي كانت اسواقها أقل ازدهاراً من اسواق عدوة القرويين^(١) والسبب يعود كون عدوة القرويين هي مركزاً مهماً لاستقطاب التجار، وذلك للتطور الحضاري والنمو المدني الذي شهدته هذه المدينة.

ومن اسواق عدوة الاندلسيين، سوق العطارين الذي لا يزيد عدد دكاكينه عن ثلاثية دكا، ثم سوق الفخارين، ودكاكين التبرازين وهي مجتمعة في مكان واحد^(٢).

واخيراً يذكر الوزان^(٣)، التي انه يوجد في مدينة فاس خمسمائة داراً للنساجين يبلغ عدد العاملين فيها نحو المائة وخمسين الف عامل، وهناك أيضاً ثمتمائة، مصلاً لقصاري الخيوط..

ويتبين لنا من وصف الوزان هذا لاسواق مدينة فاس، ان هذه الاسواق ما هي الا نسيج العصور القديمة التي مرت بهذه المدينة الشهيرة منذ تأسيسها من قبل الادارة في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي حيث اصبحت عاصمة لاكثر من دولة في اقليم المغرب الأقصى، ولن ما وصلت اليه الاسواق ايام الوزان، هو خزين النضج المهني والحرفي للمجتمع الفاسي.

كما يتبين لنا من نص الوزان هذا، ان الاسواق الحرفية، قد اخذت حيزاً واسعاً في مدينة فاس، وخاصة اسواق الجلود والمنسوجات، ان اكبر الاسواق الحرفية، هو سوق الاسكافيين والخرازين، الذين بلغ

(١) الوزان، وصف أفريقيا، ج ١، ص ١٩٢.

(٢) م، ن، ج ١، ص ١٩٣.

(٣) م، ن، ج ١، ص ١٩٣.

عدد دكاكينه مئة وخمسين دكنا، بينما كان سوق العطارين من اكبر الاسواق المهنية في فاس، حيث بلغ عدد دكاكينه مئة وخمسين دكنا.

ويبدو ان تقدير عدد الاسواق في فاس وعدد دكاكينه الواردة عند الوزن بشر بعض التساوّلات، ما دام الوزن لا يشير في بعض الاحيان الى مصطلح السوق وانما يذكر كلمة بائعو او صائعو سلعة معينة، فهل يا ترى كانوا يملكون سوقا خاصا بهم ؟ وما هي سعته ؟. اما الاسواق التي يسميها، ولا يذكر عدد دكاكينها فهي تجعلنا نسأل، ما هو حجمها، وما المساحة التي اخذتها مقارنة بالاسواق الاخرى.

وفيما يخص الاسواق الحرفية والمهنية الواقعة على الارصفة او الساحات العامة فيبدو انهم لا يمتلكون دكاكين، بل يفتروشوا الارض بضائعهم وسلعهم، فهل هذه الساحات والارصفة تقع ضمن الاسواق او خارجة عنها ؟

اما كلامه عن سوق التجار الكبير المتكون من اثنا عشر حيا وكل حي يتكون من مجموعة من الاسواق المتخصصة كما يقول الوزن، فنحن نسأل ما هو عدد هذه الاسواق وعدد دكاكينها. وما دمننا لا نستطيع الاجابة على هذه التساوّلات. فاتنا بالتالي لا نستطيع ان نقدم احصائية عديدة مضبوطة لاسواق مدينة فاس في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، ومع ذلك نقول، ان اسواق فاس في عهد بني مرين كانت اوسع واشمل اسواق بلاد المغرب.

جدول يبين لنا أسواق مدينة فاس من خلال نص الوزان

اسم السوق	عدد دكاكينه	نوع الحرفة والمهنة
سوق العدول	ثمانون دكانا	المأذونين الذين يمارسون مهنة عقود الزواج والطلاق
سوق الكتبيين	ثلاثون دكانا	سوق خاص ببيع الكتب وتزويدها
سوق بياهي الاحذية	مئة وخمسون دكانا	يشتررون الاحذية والخفاف من الخرازين
سوق الخرازين	مئة وخمسون دكانا	الذين يصنعون احذية الاطفال
سوق باعة الفواكه	خمسون دكانا	يبيعون فيها انواع الفواكه
سوق الشماعين	لا يذكر عدد الدكاكين	وهم يصنعون الشمع باجمل الاشكال
سوق باتعي الزهور	عشرون دكانا	يبيعون الازهار والليمون والحامض
سوق باتعي اللبن	لا يذكر عدد الدكاكين	يشتررون اللبن من البقالين كل صباح في اوعية من خشب مطوقة بالحديد ثم يبيعونه
سوق باتعي القطن	ثلاثون دكانا	شراء القطن وبيعه
سوق باتعي مصنوعات القنب	لا يذكر عدد الدكاكين	وتشمل الحبال واحزمة الخيل والخيوط والشرائط الرقيقة
صنعو النطق الجلدية	لا يذكر عدد الدكاكين	يصنعون النطق الجلدية والاحزمة الجلدية المطرزة بالحرير
صنعو المشدات	لا يذكر عدد الدكاكين	يصنعون اعمدة السيوف واغطية صدور الخيل
سوق باتعي الملح والجبس	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الملح والمواد الخاصة بالبناء
سوق باتعي الاتي الحرفية	مئة دكان	لصنع الاتي الممتقة ذات الالوان الزاهية
سوق باتعي اللحم والسروج	ثمانون دكانا	لبيع اللحم للخيل والاحزمة

اسم السوق	عدد دكاكينه	نوع الحرفة والمهنة
		والسروج
سوق باقي الجزر	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الجزر
سوق باقي الشعرية	بعض الدكاكين	لبيع الشعرية
سوق الاعشاب	اربعون دككا	لبيع انواع مختلفة من الاعشاب
سوق الدخان	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الفطائر المقلية بالزيت
بائعو الزيت والسمن	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الزيت والسمن والصل والجبن الطري والزيتون والليمون الحامض
سوق الجزالين	اربعون دككا	لبيع اللحوم
سوق الاقمشة	مئة دكان	لبيع الاقمشة الصوفية الغليظة
صانعو قفص الدجاج	اربعون دككا	يصنعونها من القصب
سوق بائعي الصابون	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الصابون
سوق باقي الدقيق	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع انواع من الدقيق
سوق باقي للتبن	عشرة دكاكين	لبيع شرائح التبن
سوق الكتان	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع خيوط الكتان
سوق صانعو الدلاء	اربعة عشر دككا	يصنعون الدلاء الخاصة برفع الماء من البئر
سوق صانعو الظروف	ثلاثون دككا	يصنعون الظروف التي يخزن فيها الدقيق والقمح
سوق الاسكافيين والخرزئين	مئة وخمسون دككا	لتصليح وصناعة احذية الناس
سوق صانعو التروس	لا يذكر عدد الدكاكين	لصناعة التروس والدق الجلدبة
مزخرفية الركبات	اربعون دككا	يزخرفون الركبات للخيول والنجم
سوق الحدادين	مئة دكان	لصناعة القطع الحديدية المزخرفة لطقوم الخيل او لصناعة السروج للخيل
سوق التجار	خمسة عشر حيا	وهي مجموعة من الاسواق لتجار

اسم السوق	عدد دكاكينه	نوع الحرفة والمهنة
	ولكل حي مجموعة من الاسواق	الاقمشة المختلفة
سوق الاقمشة الصوفية	خمسون دكنا	لتجار الاقمشة الحريرية
سوق الحرير	خمسون دكنا	لبيع القمشة الحرير الملون
سوق الاقمشة الصوفية المستوردة من اوربا	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الاقمشة الصوفية المستوردة
الخياطون	(ثلاثة احياء) لا يذكر عدد الدكاكين	لخياطة انواع الاقمشة
سوق صانعي الحواشي	(حيا واحدا) لا يذكر عدد الدكاكين	لصناعة حواشي الثياب
سوق بائعي الكتان	(حيان) لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الكتان
سوق بائعي الاقمشة النسائية	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع الاقمشة النسائية والقمصان
سوق صانعي البرانس	(حيا واحدا) لا يذكر عدد الدكاكين	لصناعة البرانس من بلوطات الحرير
سوق بائعي الاقمشة الاوربية	(حيا واحدا) لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع القممش الاوربي المستخدم
سوق العطارين	مئة وخمسون دكنا	تباع فيه المواد المنطقة بالعطرة والطاب
الخراطين	بعض الدكاكين	صانعو اواني التحلص
الرقائقين	بعض الدكاكين	الذين يصنعون الخبز الرقيق
باعة الصابون	عشرون دكنا	لبيع الصابون
سوق الطيرين	لا يذكر عدد الدكاكين	بائعي الطيور الجميلة
صانعو الاسلحة	عشرة دكاكين	لصناعة الاسلحة النارية
صانعو المكاتبين	خمسون دكنا	لصناعة مكاتبين للتنظيف
صانعو المكابيل	لا يذكر عدد الدكاكين	لصناعة انواع مختلفة من

اسم السوق	عدد دكاكينه	نوع الحرفة والمهنة
		للكاينيل
الصباغون	لا يذكر عدد الدكاكين	لصبغة الملابس والاقمشة
سوق العطارين	عشرون دكانا	لبيع انواع من المواد المتعلقة بالمطارة
سوق الفخارين	لا يذكر عدد الدكاكين	لصناعة انواع الفخار
سوق البزازين	لا يذكر عدد الدكاكين	لبيع وخياط الاقمشة

ومن مدن المغرب الأقصى المهمة، مدينة سبتة التي كانت محط السفار والتجار^(١)، وقد دون السبتي^(٢)، وصفا لاسواقها، فالحصى عدد الاسواق باكثر من مئة واربعة وسبعون سوقا، ومن اشهر هذه الاسواق واكثرها واشرفها قدرا واجملها مراس، هو سوق العطارين العظيم، وسوق العدول وسوق الالية الصفرية القوية المصبغة العجيبة الصنع، " وسوق السقاطين وهو سوق ذو مساحة واسعة وحسن وترتيب وكثرة انواع البضائع التي تحتويه"، ويضيف السبتي قائلا " ان عدد الحوانيت في هذه المدينة على عهده، بلغت اربعة وعشرون الف حاتونا"، ويشير انه، " كانت في الزمن القديم اكثر من ذلك"^(٣).

اما التربيعات (وهي اسواق صغيرة جديدة في طرز بنائها، حيث كانت مربعة الشكل) وقد احتوت على عدد من الحوانيت، مثل الخياطين والجزارين واللقزازين والحراريين وغيرهم، وهي ليست كاطرزة

(١) الانصاري للدمشقي، نخبة الدهر، ص ٢٣٥.

(٢) السبتي، محمد بن القاسم الانصاري، اختصار الاخبار عما كان ينثر سبته من الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، (إرباط، ١٩٦٩)،

ص ٣٩.

(٣) م، ن، ص ٣٩.

الصناعة ولا كاسواق التجارة وكان عددها في سبته احدى وثلاثون
تربيعة أعظمها التربيعة التي باسفل زقاق خطاب سامية كانتها مغلقة
بالهواء، وهي مخصصة بالانطرزة للثياب الرفيعة^(١).

كما عرفت مدينة سبته المضارب (وهي اسواق لبيع الاسماك)،
وسبب احتوائها على هذه المضارب، لانها مدينة بحرية تقع على ساحل
البحر المتوسط، حيث احتوت تسعة مضارب منها ما هو بداخلها ومنها
ما هو بخارجها، وقد اعطت الدولة المرينية بعض تلك المضارب لبعض
الشخصيات اكراما لها، كما حدث للفقير ابي العباس الحسيني، فكان
مورده منها في كل يوم يصل الى الف دينار^(٢).

ومن وصف السبتي لاسواق مدينة سبته يتضح لنا، ان عدد
الاسواق فيها يفوق بكثير عدد الاسواق في المدن المغربية الاخرى خلال
فترة هذه الدراسة، فقد بلغت اسواقها الثابتة اكثر من مئة واربعة
وسبعون سوقا، وبلغ عدد دكاكينها اكثر من اربعة وعشرون الف دكائنا.
وكما ذكرنا سابقا ان تقدير عدد الاسواق داخل المدن المغربية
شينا لم يكن دقيقا من قبل بعض الكتاب، فهل يعقل ان تحتل مدينة سبته
المقام الاول بكثرة الاسواق الثابتة فيما لم تحتوي مدن مغربية مهمة
على هذا العدد الهائل من الاسواق، وخاصة مدينة مراكش وسجلماسة
وتلمسان، وتونس، وغيرها من المدن الاخرى . اما مدن المغرب
الاقصى الاخرى، فالاشارات عن اسواقها علمة فالادريسي^(٣)، اشار الى

(١) السبتي، اختصار الاخبار، ص ٤٠، ولا تزال الى الان في مدينة فاس تربيعة

بطلق عليها بتربيعة العطارين، م، ن، ص ٤٠، هامش ٥٩.

(٢) م، ن، ص ٥١.

(٣) الوزان، وصف افريقيا، ص ٤٧.

قرية مكول قرب مدينة مراكش بأنها ذات أسواق نافقة و سلع كثيرة، إما صلا فهي ذات أسواق ثابتة نافقة، والطعام كثير في أسواقها، واشتهرت مدينة مكناسة بالأسواق العلمرة، أما طنجة فهي ذات أسواق علمرة وعجيبة^(١). إن هذه الأسواق التي ذكرها الإدريسي ترجع إلى عصر المرابطين والموحدين حيث دون الإدريسي معلوماته في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ولم يرد لها ذكر في عهد بني مرين. وفي مدينة رباط الفتح، أسواق مهمة، مثل سوق الفلكهة وللخضروات والأسماك والطيور، وكذلك سوق الغزل وسوق السباط^(٢). وأشار الوزان^(٣)، في نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي إلى أسواق مدينة تدنس في إقليم حاجا (وهو من إقليم مراكش قريب من البحر المحيط)، وفي هذه المدينة دكاكين كثيرة للتجار الذين يبيعون القماش المستعمل في تلك المدينة، ونسيج الكتان المستورد من البرتغال، وفيها بعض الصناعات الاسكافيين والحدادين والخياطين وبعض الصاغة اليهود.

وفي إشاره للقرماتي^(٤) عن أسواق مدينة سجماسة يذكر " إن أسواقها يسير للراكب فيها نصف يوم فلا يقطعها "، وذلك لكبر وامتداد أسواقها على طول المدينة، وخاصة ونحن نعرف أن سجماسة كانت مقصدا لتجار الألفق، حيث موقعها المتميز بطريق القوافل التجارية

(١) الوزان، وصف إفريقيا، ج ١، ص ٥٢، ص ٥٩.

(٢) السوسي، عبد الله، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار الغرب الاسلامي، (الرباط، ١٩٧٩)، ص ١١٦.

(٣) الوزان، وصف إفريقيا، ج ١، ص ٧٨.

(٤) اخبار الدول واثار الاول، ص ٤٥٣.

الرابطة بين بلاد السودان الغربي ومدن المغرب المختلفة، فلا بد وانها احتوت على اسواق جامعة بهذا الحجم الذي وصفه للقرمطي.

٢- الاسواق المؤقتة :

يجتذب الاسواق الثابتة التي لا تخلوا أي مدينة منها، وجدت اسواق مؤقتة تقام في ايام معلومة من الاسبوع او الشهر، وكان سبب قيامها، هو حاجة سكان القرى والارياف البعيدة عن مركز المدينة للتبضع ما يفتقدونه في معيشتهم اليومية فضلا عن بيع ما ينتجون من محاصيل زراعية، او ما يقومون بعمله من صناعات بسيطة لذلك نرى ان كثيرا من الاسواق المؤقتة، كانت تقوم خارج اسوار المدن وفي القرى والمدن النائية وفي المناطق الجبلية والبعيدة عن مركز المدن الرئيسية.

ويرى كالتون كون^(١)، ان اكثر الاماكن التي تتوفر فيها ميزة الاسواق المؤقتة هي عندما تكون القرى قريبة بعضها مع البعض داخل المدينة، ففي كل قرية يعرف الناس انها لا تتوفر فيها سلعة معينة، فيضطر الى الذهاب الى القرية الاخرى في يوم معلوم من الاسبوع لطلب ما يحتاجونه من السلع التي يفتقدونها بينما يأخذون معهم ما يحتاج سكان تلك القرية التي يعقد فيها السوق، وهذه العملية لا تكلف المتسوق كثيرا، حيث غالبا ما يتبضع وينصرف في يومه، بينما يكلف ذهابه الى اسواق مراكز المدن كثيرا من الوقت والمال.

(١) كالتون كون، القافلة، قصة الشرق الاوسط، ترجمة برهان الدين الدجاني، مراجعة احسان عباس، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، (بيروت، نيويورك، ١٩٥٩)، ص ٢٥٧. ص ٢٥٨.

ففي إفريقيه (المغرب الأدنى)، كانت مدينة تونس، أعظم مدينة في هذا الاقليم في فترة هذه الدراسة، تحتوي على سوق يطلق عليه سوق الاربعاء حيث ان عملية البيع والشراء كانت تتم في هذا السوق يوم الاربعاء^(١). وهناك سوق القشاشين او سوق العصر، كما يطلق عليه، حيث تتعقد هذه السوق بعد صلاة العصر حول الجامع بتونس وكانت تباع فيه الخردة^(٢).

وفي مدينة صفاقس، هناك سوق الجمعة. وهو اول سوق احدث في هذه المدينة على ايام الاغالبية واشتهر ايام الحفصيين، وكان يقصده سكان القرى المجاورة بانتاجهم، وسمي باليوم الذي يعقد فيه، وكان على ايام الاغالبية، يباع فيه كل شيء ثم اختصر على ايام الحفصيين على بيع الثياب القديمة والاثاث الثعينة^(٣).

ويوجد في جزيرة جربة سوق اسبوعية خاصة ببيع وشراء الماشية، حيث ينفرد الاعراب القادمون من خارج الجزيرة بالاجار بالماشية، ويعيش معظم سكان الجزيرة من تجارة قماش الصوف الذي يصنع فيها، ويقدم لنا الوزان^(٤)، وسفا لهذا السوق بقوله : كانه معرض اذ يحتشد فيه جميع سكان الجزيرة، ويقصده عدد كبير من الاعراب الوافدين من اليايسة سائقين معهم ماشيتهم، وحاملين معهم كمية وافره من الصوف... ويذكر التجاني^(٥)، سوقا في مدينة القصر

(١) حسن حسني عبد الوهاب، ورقلت من الحضارة العربية. ج ١، ص ٣٧٩.

(٢) الكعك، العلاقات التونسية الايرانية، ص ١٥٦.

(٣) ابو بكر الكافي، صفاقس، ج ١، ص ٧٨.

(٤) الوزان، وصف إفريقيا، ج ٢، ص ٩٤.

(٥) الرحلة، ص ٣٢٥، ومن الجدير بالذكر ان الايريسي يعدد لنا بعض الاسواق المؤقتة التي كلفت تقوم في بعض الحصون، ويبدلوا ان سبب قيام =

القديم، يعقد قرب السور الخارجي لها، ويكون هذا المكان مجتمع أهلها لنصب سوقهم " وهي سوق نافقه ضخمة يجتمع البربر من جميع الاقطار المتناحية في كل جمعة فيبيعون هنالك كل ما يجلبونه ".

اما اقليم المغرب الاوسط، فقد عرفت بعض مدنه هذا النوع من الاسواق قسنطينية كان يقوم فيها سوق كل اسبوع في ايام مختلفة منه (أي ليس له يوم محدد في الاسبوع)، " يقصده عدد كبير من تجار قسنطينة والقاله، وعلى هؤلاء التجار ان يتخذوا صديقا لهم في كل جبل يمرون فيه كضامن، اذ بدونه لا يمكن ان ينصفهم احدا اذا اخدعوا في بضائعهم^(١).

وفي مدينة غلبه كان هناك سوق الجمعة الذي كان يعقد خارج اسوار المدينة ويستمر انعقاده الى المساء^(٢).

= هذه الاسواق الصغيرة داخل هذه الحصون. هو خوف سكن هذه الحصون من هجمات الاعراب الهلاليين لذلك اکتفوا بعقد اسواقهم داخل حصونهم على الرغم من من بساطتها، ومن اهم هذه الاسواق هو سوق الجمعة الذي كان يعقد في حصن زندي، وسوق اخرى كانت تعقد اسبوعيا في حصن مازونه قرب مدينة مستغاثم، حيث يباع فيه الصل والسمن واللبن، وغيرها الكثير من الحصون في افريقية، انظر وصف افريقية، ص ٦٩، ص ٧٢.

(١) الوزان، وصف افريقيا، ج ٢، ص ١٠٣.

(٢) م، ن، ج ٢، ص ٦٢. ويكثر الامرسي من شاراته عن اسواق الحصون في اقليم المغرب الاوسط، وخاصة في مدينة غزة، وحصون مدينة الخضراء ويشير ايضا الى وجود اسواق اسبوعية في مدينة بجاية في حصن الخميس والجمعة والاثنين، وهي ايام انعقادها، كما يوجد سوق مؤقت في حصن كزنابه، انظر، وصف افريقية، ص ٥٦، ص ٥٨، ص ٦٥ ويبدو لنا ان اسواق هذه الحصون كانت بسيطة في انعقادها والمواد التي تحتويها وذلك =

لما اتكلم للمغرب الأقصى، فقد حفلت اغلب مدنه المختلفة بكثرة هذا النوع من الاسواق، فمدينة مراكش عاصمة المرابطين والموحدين، كما يشير بعض الاثريين كانت منطقة محيطة بنقطة فيها سوق اسبوعي يجمع بين سكان للجبال والسهول في اطار نشاط تجاري تبادلي وتكلمي بينهما^(١). ولم تسقطنا المصادر بوجود اسواق مؤقتة في هذه المدينة عندما كانت عاصمة لحكم المرابطين والموحدين.

اما مدينة فاس، ففيها بعض الاسواق الاسبوعية، منها سوق الخميس، حيث يعتقد هذا السوق خارج الاسوار، وكان الملتقى الاقتصادي والتجاري بين سكان المدينة وسكان للريف، حيث كان للفلاحون يتون بمنجاتهم لبيعها كالأبقار والأغنام والماعز والحمير والخيول والطيور، فضلا عن بعض المصنوعات البسيطة كآنية الفخار والقماش المزرق بأشكال مختلفة، وكانت انعقاد هذه السوق يكون أكثر ملائمة عندما يكون الطقس صافيا وجميلا^(٢). اما سوق الفهار بمدينة فاس، فكان يعقد اسبوعيا يقصده عدد من اعراب البادية^(٣).

= بسبب حرص سكان هذه الحصون على عدم كشف امرهم في كثير من الاحيان للآخرين.

(١) المجذوبي، عبد العزيز، من وسائل التصوير واستعمال المجال في العصرين المرابطي والموحدي، ضمن كتاب مراكش من التأسيس الى آخر العصر الموحدي، لشغال الملتقى الاول (الدار البيضاء، ١٩٨٩)، ص ٧٩.

(٢) الحجوي، محمد المهدي، حياة الوزان وقاره (الرباط، ١٩٣٥)، ص ٩٠، وانظر، كون كالتون، الغلظة، قصة الشرق الاوسط، ترجمة برهان الدين دجاني، مراجعة احسان عباس، مؤسسة فراتكين (بيروت، نيويورك، ١٩٥٩)، ص ٢٥٧، ص ٢٥٨، وروحية فاس في عصر بني مرين، ص ٥٦.

(٣) الاربيسي، وصف، ص ٥٢.

وفي شمال قصر أبي موسى، سوق يقصده التجار كل يوم خميس يجتمع إليه جميع قبائل مكناس، وهي سوق نفقة لما يجلب إليها، ويقصد إليها من قريب وبعيد ويسمى بالسوق القديمة^(١). وفي مدينة درعة أسواق حافلة كانت تعقد يوم الجمعة في مواقع كثيرة منه ومتقاربة، وربما كان سوقان في يوم واحد في المواضع النائية وكذلك في سائر البلاد^(٢).

وشهدت مدينة رباط الفتح سوق يطلق عليه بسوق الغزل، وقد أطلق عليه هذا الاسم لكونه سوقا لبيع الصوف الخام وخيوط المغزل الصالحة لمعامل النسيج والبطانية والزرابي، وشهد هذا السوق أيضا بيع الجلود المدبوغة، وكلن انعقده مرتين في الأسبوع^(٣).

ومن الأسواق الأسبوعية المهمة في هذا الإقليم هو سوق تكلويت الذي قال عنه ابن خلدون^(٤) "ويقصده التجار من الأقالق، وهو من الشهرة لهذا العصر بمكان" وكذلك سوق شالة الذي كلن يعقد ليلة السابغ والعشرين من رمضان في كل سنة^(٥).

(١) الوزان، وصف إفريقيا، ص ٥٢.

(٢) مجهول الاستبصار، ص ٢٠٦.

(٣) الوزان، وصف إفريقيا، ج ١، ص ٩٥، انظر، عبد الله السوسي، رباط الفتح، ص ١١٦.

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر والديون المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٦٨)، ج ١، ص ٢٧٤.

(٥) ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله، نفاضة الجراب في علالة الاختراب، تحقيق احمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الاهواتي، دار النشر المغربية، (بغداد، بلا)، ج ١، ص ٧٥.

وفي مكناسة الزيتون، كان يعقد سوق قرب الاسوار كل يوم اثنين، فليحج اليه عدد كبير من الاعراب من القرى المجاورة، ياتون بابقارهم واغنامهم وسائر اصناف ملثبتهم ويحملون كذلك العسمن والصوف وكل هذا كان يباع بابخس الاثمان^(١).

وفي اشارة لابن الخطيب^(٢)، ذكر فيها، ان في منطقة دكالة في المغرب الأقصى، سوق مؤقت يعقد احدى الايام " ويحتشد اليها للناس حضى ويتقاطرون من كل مرمى يمثلون في صعيد واحد وقد خيمت على تجارتهم وظلوا ولا ينفض الجمع الا مع انقضاء بياض ذلك اليوم "، فيما يشير الكاتوني^(٣)، انه هناك سوق يطلق عليه سوق السانس بمنطقة دكالة كان يعقد يوم السبت من كل اسبوع. وفي منطقة اكلا(اصيلا)، وهي على نهر درعه، وهي ناحية تقوم سوق في باديتها كل اسبوع يقصده لاعراب من هذه الناحية وتجار فاس^(٤).

وهناك سوق يقوم يوم السبت من كل اسبوع في مدينة تينديسي في السوس الأقصى يقصده الفلاحون والاعراب والجبليون^(٥).

ويذكر الوزان^(٦)، بعض الاسواق المؤقتة التي كانت تقوم في جبال المغرب الأقصى ففي جبل بني فنزكار " كان هناك سوق كبير يعقد

(١) الوزان، وصف أفريقيا، ج ١، ص ١٧٠.

(٢) نفاضة الجراب، ص ٧٤، وربما كان اسمع سوق موسى، انظر المصدر نفسه. ص ٧٥.

(٣) الكاتوني، ابو عبد الله محمد بن محمد، جواهر الكمال في تراجم الرجال، القسم الثاني من تاريخ اصلي وما اليه (المغرب، ١٣٠٦هـ-)، ص ١٣٠.

(٤) الوزان، وصف أفريقيا، ج ١، ص ٢٣٩.

(٥) م، ن، ج ١، ص ٩٥.

(٦) م، ن، ج ١، ص ٢٤٨.

يوم السبت من كل اسبوع، حيث تجد فيه كل اصناف التجار وانواع البضائع، ويقصده الناس، حتى الجنويون (من مدينة جنوة الإيطالية) لشراء الشمع وجلود البقر وارسالها الى جنوة والبرتغال. وفي جبل بني منصور من جبال بلاد الريف، يقيم اهالي هذا الجبل سوقا اسبوعيا يكثر فيه البصل والثوم والزبيب^(١)، وقيم سكان جبل بني وردان سوقاً يوم السبت من كل اسبوع، وكان سوقا كبيرا يلتقي فيه فلاحو ناحية كرت، وخاصة تجار الحديد، وتتم المبادلات التجارية بينهما^(٢)، كما ان سكان جبل بني زرويل يقيمون سوقا اسبوعيا لا يعرض فيه غير التين المجفف والزبيب والزبد^(٣).

وهناك بعض الاسواق الموقّعة، يدوم انعقادها فترة طويلة، ويمكن ان نطلق عليها بالاسواق الموسمية، حيث يصل انعقادها الى خمسة عشر يوما، كما هو الحال في سوق مدينة هاوكس في إقليم حاحا^(٤). كما ان سكان مدينة اديكيس في إقليم حاحا ايضا يقيمون فيها سوقا سنويا يجتمع فيه جميع السكان من الجبال المجاورة الذين هم اشبه بالوحوش منهم بالبشر وتكثر في هذا السوق البهائم والزبد والزيت، وكذلك الحديد والثياب المنسوجة، وقد يستمر انعقاد هذه السوق اكثر من خمسة عشر يوما، وقد يصل الى الشهر^(٥).

وفي ناحية جزولة في منطقة السوس الاقصى، هناك سوق يستمر انعقاده لمدة شهرين، حيث يقدم فيه الطعم لجميع الغرباء الذين

(١) الوزان، وصف أفريقيا، ج ١، ص ٢٥٦.

(٢) م، ن، ج ١، ص ٢٦٩.

(٣) م، ن، ج ١، ص ٢٥٨.

(٤) م، ن، ج ١، ص ٧٥.

(٥) م، ن، ج ١، ص ٨٠.

يتواجدون هناك حيث تعقد هذه السوق في جبل يكتنفه جبلان، ويحرسه حراس اشداء، ويجتمع في هذا السوق تجار الماشية وتجار النسيج والاقمشة والخردوات، ويقصده تجار الناحية كلها، بل وحتى تجار السودان^(١).

واخيرا، يمكن القول، ان انتشار الاسواق المؤقتة في بلاد المغرب يكاد يتمشى مع حاجة السكان لقيام مثل هذه الاسواق، لذلك نرى ان اغلب المدن الكبرى تفتقر لوجود اسواق مؤقتة، بسبب الاكتفاء الذاتي للسكان لشراء ما يحتاجونه من الاسواق الثابتة الازخرة داخل هذه المدن، وخاصة مدينة مراكش وتلمسان وسجلماسة وغيرها.

وسنقدم احصائية تقريبية تؤيد ما ذهبنا اليه، بحسب المعلومات التي وردتنا فقد بلغت الاسواق المؤقتة داخل المدن الرئيسية حوالي سبعة اسواق موزعة كالآتي:

المغرب الادنى : سوقان

المغرب الاوسط : سوقان

المغرب الاقصى : ثلاثة اسواق

في حين بلغت الاسواق المؤقتة داخل القرى والجبال والمدن الصغيرة حوالي سبعة وعشرون سوقا موزعة كالآتي :

المغرب الادنى : خمسة اسواق

المغرب الاوسط : ستة اسواق

المغرب الاقصى : ستة عشر سواقا

(١) الوزان، وصف أفريقيا، ج١، ص ١١٤-١١٥.

٣- الأسواق المتنقلة :-

فضلا عن الأسواق الدائمة والمؤقتة والموسمية التي عرفتھا بلاد المغرب، نجد نوعا آخر من أسواق يمكن تسميته بالأسواق المتنقلة، حيث وردتنا إشارات تخص هذا النوع من الأسواق، ويبدو لنا ان هذا النوع من الأسواق كان منتشرا بشكل أو بآخر، ولكن ليس على نطاق واسع.

فمن أنواع هذه الأسواق هي أسواق الجيوش، حيث نجد عددا من الباعة والتجار يصحبوا الجيوش أثناء تقدمها الى المعارك، حاملين معهم ما يحتاجه الجند من بضائع وسلع، ففي أثناء حصار مدينة المهديّة من قبل عبد المؤمن بن علي سنة (٥٥٣هـ / ١١٥٨م)، وكما يقول المراكشي^(١)، بلغت الأقوات اسعارا فاحشة فمثلا " اشترى اصحاب عبد المؤمن الباقلاء في الصكر سبع باقليات بدرهم مؤمني، وهو نصف درهم النصاب " وبهذا نجد ان الباعة الذين يصحبون الصكر، كانوا يستغلون قلة الأقوات وطول مكوث الجيش فيرفعوا من اسعار حاجياتهم. كما وردتنا اشارتان عن هذا النوع من الأسواق في العصر المريني، يقول ابن أبي زرع^(٢)، عن الأسواق التي كانت تعقد أثناء

(١) المعجب، ص ١١٠، وانظر، البيهقي، ابا بكر الصنهاجي، اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، اعتنى بتصحيحه، ليلي بروفنسال(باريس، ١٩٢٨)، ص ٩٠، ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، نشر او بشي ميرندا، ومحمد بن تلويت الطنجي، (الرباط، ١٩٦٢)، ج ٤، ص ٣٥، ص ٣٨، ص ٣٩.

(٢) ابن أبي زرع، ابو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، الاقيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس اعتناء كارل يوجن تورن برغ(اويسقه، ١٨٤٢)، ص ٥٢.

الحملة العسكرية المرينية في الأندلس، وقد قيل عن سعتها " أنك إذا غاب عنك رفيقك لو من تعرفه، لا تكاد تلقاه إلا بعد اليومين أو الثلاثة لكثرة الخلق " وكان ذلك على عهد يعقوب بن عبد الحق، (٦٥٦هـ - ٦٨٥هـ / ١٢٥٨م - ١٢٨٦م)، كذلك للسوق الذي قام أثناء حصار مدينة تلمسان على عهد يوسف بن يعقوب (٦٨٥هـ - ٧٠٦هـ / ١٢٨٦م / ١٣٠٦م)^(١).

أما النوع الثاني من الأسواق المتنقلة، فهي الأسواق التي ترافق سير قوافل الحج، حيث يقيم الباعة والتجار دكاكينهم عند كل محطة استراحة، ويعرضون فيها بعض السلع الضرورية^(٢). ويبدو أن هذا النوع من الأسواق كان منتشرا كثيرا، حيث إن المسافة بين بلاد المغرب والأماكن المقدسة في الجزيرة العربية يتطلب توفير اقوات كثيرة للحجاج، فلا بد من مرافقه سير القوافل بهذه الأسواق.

(١) ابن خلدون، العصر، ج ١، ص ٩٧.

(٢) كارلتون كون، قصة الشرق الأوسط، ص ٤٨٠، كما إن تنظيم الأسواق المرافقة للجيش كان بسيطا أيضا، حيث يضع التجار بضائعهم على الأرض ويتم عملية البيع والشراء، في وقت انعدام الاقوات لدى الجند، على الرغم من أن بعض الحكومات سعت دائما على توفير الاقواتهم في ظل الحملات العسكرية، وخاصة الموحدين، فلا بد لهم ان سعوا بكل الطرق والوسائل للتخلص من ارتفاع الاسعار بهذه الأسواق، انظر، ابن صاحب الصلاة ابي مروان، الأمن بالامنه على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم للوراثين، السفر الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي دار الأندلس، (بيروت، ١٩٦٤)، ص ٥٩.

٤-الفنادق:

اعتبرت الفنادق احد اهم المنشآت التجارية، الملحقة بالاسواق داخل المدن. استخدم مصطلح فندق على وجه الدقة في بلاد المغرب، باعتباره المكان المخصص لاقامة الانسان والحيوان على خطوط القوافل التجارية، لذلك فهو يقترب من مصطلح الخان الذي كان منتشرا كثيرا في مناطق الشرق الاسلامي، وتتكون الفنادق من ساحة محاطة ببنائات من الجهات الاربعة وتستخدم الطوابق الارضية بصورة عامة لاقامة الحيوانات التي تصحب القوافل التجارية، كما يحتوي الفندق على مخازن للبضائع تخزن فيه الى حين استلامه من قبل اصحابها.

اما الطابق العلوي فيتوزع على عدة غرف بمجموعات تحيط بآبنية يقيم فيها الناس ويتميز الباب الخارجي المؤدي الى الطريق بكبر حجمه مما يسمح للحيوانات المحملة بالبضائع للمرور^(١). ويشرف على الفندق موظف يعرف باسم الفندقاني^(٢).

واتسرت الفنادق على نطاق واسع في بعض مدن المغرب المهمة وأدت دورا عظيما في الحياة الاقتصادية، فقد كانت تجري فيها تحرير عقود البيع والشراء بواسطة سمسار يكون واسطة بين البائع والمشتري، كما ان هناك مناد ينادي على البضائع بالمزاد العلني، وهناك امين لتسجير البضائع والوقوف على سلامتها من الغش^(٣).

(1) Tourneau , rie, S.V.(Funduk) E.I. Vol.II , New Idition , 1965 , P.945.

وانظر. يوسف جرجيس، التنظيمات التجارية في بلاد الشام، ص ٧٩.

(٢) نعيم فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب.(القاهرة،

١٩٧٣)، ص ٢٨٨، ص ٢٨٩

(٣) الكعك، الحضارة العربية، ص ٦٥.

ان المعلومات عن الفنادق، لا توضح لنا ماهية هذه الفنادق لو عددها في المدن المغربية، الا بإشارات عرضية ولكنها مهمة، فمثلا في اقليم افريقية احتوت بعض منده على فنادق في الطرق المؤدية الى دخول المدينة، مثل فندق مدينة بنزرت وفندق القيروان وفندق سوسة^(١).

وفي مدينة تونس، اهتم الحكام الحفصيون بالنشاط الاقتصادي فشدوا الاسواق وعجت عاصمتهم بعدد كبير من الفنادق^(٢) ومن اهمها فندق الملح (ربما سمي بهذا الاسم لتخصصه بخزن الملح وتصديره او بيعه)، وكذلك فندق البيضاء (أي الفندق الخاص بجمع الفهم)، وفندق الخضرة، وفندق الادم وفندق القمح^(٣).

ونلاحظ هنا ان كل فندق من هذه الفنادق قد تخصص بنوع معين من السلعة او البضاعة، وهي بذلك تشبه الاسواق في تخصصها.

كما احتوت مدينة تلمسان وبجاية في المغرب الاوسط على عدد كبير من الفنادق، وخاصة في عهد ابي سعيد عثمان الزيتاني (٦٨٠هـ - ٦٩٧ هـ / ١٢٨٣م - ١٣٠٤م)^(٤)، وعندما اسس بنو مرين مدينة

(١) الكعك، الحضارة العربية، ص ٦٥، ص ٦٦.

(٢) هناك بعض الفنادق في مدينة تونس الحفصية، شيدت في بعض المواقف للتجار الاجانب حيث كانوا يجتمعون بحسب قوميتهم في فنادق خاصة، ويناجرون تحت اشرف قنصل معتمد لدى العاهل الحفصي، تنظر جويلين، شارل الاربي، تاريخ افريقية الشمالية، تعريب محمد المزالي والبشير بلا سلامة، الدار التونسية للنشر، (تونس، ١٩٥٨)، ج ٢، ص ١٩٠.

(٣) المراج، الحلل السنسية ص ١٠٧٢، الزركشي، اخبار الدولتين، ص ١١٧.

(٤) الجبالي، تاريخ الجزائر العلم، ج ٢، ٢٢٦٨، وقطر، بجاية، نشره تصدرها وزارة الاخبار (الجزائر، ١٩٧٠)، ص ٨.

المنصورية (تلمسان الجديدة) لتكون منافسة لتلمسان القديمة، فقد استبحرت بالمران، وبنو فيه فنادق للتجار الاجانب الذين رحلوا اليها من الافاق^(١).

وكثرت الفنادق في المدن المهمة في اقليم المغرب الأقصى، باعتباره مركزا مهما لنظام الحكم في فترة هذه الدراسة، ومن الطبيعي ان يستقطب انظار التجار من الافاق، فلابد ان من وجود فنادق لايوائهم مع بضائعهم.

ففي مدينة فاس انشئت العديد من الفنادق في سنة (٤٦٢هـ / ١٠٦٩م) وخصصت لكل فندق بضاعة معينة، حيث كان تجار مدينة فاس الكبار يخزنون تاجرتهم التي يستوردونها من الخارج في هذه الفنادق، قبل بيعها الى التجار الصغار^(٢)، ويقدر عدد الفنادق في مدينة فاس على عهد المرابطين والموحدين اربعمائة وسبعة وستون فندقا^(٣).

وكانت مدينة مراكش في عصر الموحدين تحتوي على فنادق ضخمة، منها فندق الانرجة، قرب مسجد ابي يوسف، وفندق السكر، قرب باب نفيس، وفندق المقبل الذي هبط فيه ابو العباس السبتي (ت ٦١٠ هـ - ١٢١٣م)^(٤)، وهو من الفقهاء المشهورين في بلاد المغرب. وكانت هذه الفنادق بمثابة مكان يستقر به المسافرين للزائرون لمراكش، وفي نفس الوقت تعد مكانا لابرار الصفقات التجارية،

(١) جولين، تاريخ افريقية، ج ٢، ص ١٦٠.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٩٠، القفلة، ص ٣٤٠.

(٣) الجزنقي، زهرة الآس، ص ٣٣.

(٤) المراكشي، عباس بن ابراهيم، الاعلام لمن حل بمراكش من الاعلام، (فاس،

١٩٢٦)، ص ٦٥، وانظر، التبتكي، ابا العباس احمد بن عبد الله بن عمر،

نيل الابتهاج بتطريز الديباج (مصر، ١٣٥١هـ)، ج ١، ص ٦٧.

ومن المحتمل ان تضم مدينة مراكش فنادق اخرى ولكن المصادر اغفلتها^(١).

وبنى الموحدون الفنادق في مدن مغربية عدة ففي قصر صنهاجة في المغرب الأقصى بنى الموحدون فندقين عظيمين، يقول صاحب الاستبصار^(٢)، عنهما " واحدت الامد العالي في موضعه (أي في مدينة قصر صنهاجة) في هذه المدة فندقين عجبيين وتمدن هذا الموضع وقصده انتجار واستوطنوه". وفي مدينة سلا يشير ابن الزيات^(٣)، الى ان أحد المتصوفين، وهو ابو موسى الدكالي كان يقيم بفندق الزيت في هذه المدينة.

اما في عهد المرينيين، فقد شيدت في مدينتي فاس العاصمة وسبته عدد من الفنادق، وكان لبعض العائلات الثرية والشخصيات المعروفة دور كبير في بناء الفنادق داخل الاسواق، حيث كانت تدر عليهم ارباحا طائلة، فهذه عائلة بني فذه، التي كان لعضائها بمدينة فاس سوقا قرب الشهود، يعرف بسوق ابن فذه كان لهم به فندق كبير^(٤)، كما ان ابا عبد الله الحدودي احد الشخصيات المعروفة، قام بتجديد الفندق الكبير بحي الشماعين بمدينة فاس، الذي اوقف ابو يعقوب يوسف بن عبد الحق دخله على مسجد القرويين^(٥).

(١) من الجدير بالذكر. انه كلما كانت المدينة عامرة بالمتاجر والاسواق، كلما ازداد عدد فنادقها.

(٢) مجهول، ص ١٨٥.

(٣) ابن الزيات، ابو يعقوب يوسف التادلي، للتشوف الى رجال التصوف، تحقيق، المؤلف فور (الرباط، ١٩٥٨)، ص ١٨٦، ص ١٨٧.

(٤) ابن الاحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص ٨، ص ٩.

(٥) الجزنالي، زهرة الآس، ص ٧٣.

وأصبح هذا الفندق (فندق الشماعين) من أهم مراكز التجمع لأكبر الشخصيات العاملة في النشاط الاقتصادي، حتى أن الخطيب، أبا الفضل محمد بن الحسن المزوغني، خطيب جامع القرويين بفاس كان يقول كنت أطمع في أن يعطي السلطان أبو الحسن ثلاثة أحمال من الذهب، أذهب بها إلى فندق الشماعين وأصب المال صبا وأدفع لكل ذي حق حقه^(١). وهذه الإشارة تدل على المكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها فندق الشماعين في عملية البيع والشراء في المغرب الأقصى.

وفي إشارة للوزان^(٢)، في نهاية القرن التاسع الهجري / السادس عشر الميلادي، يذكر فيها أن مدينة فاس وحدها، تضم مائتا فندق، تتألف كلها من ثلاث طبقات، منها ما يشمل على مائة وعشرين غرفة ومنها ما يشمل على أكثر من ذلك.

أما مدينة سبتة، فقد احتوت على الأخرى على مجموعة من الفنادق الكبيرة وقدم لنا مؤرخها السبتي^(٣)، معلومات قيمة في هذا المجال، فقد ذكر لنا أنها تحتوي على ثلاثمائة وستة فنادق، أهمها فندق غاتم الذي يتكون من ثلاث طبقات، تحتوي على ثمانين بيتا، بالإضافة إلى تسع مصريات (والمصرية مسكن يبني فوق الحوانيت وهذا النوع من المنازل كان معروفا في مصر ونقل إلى بلاد المغرب وعرف بنسبته إليها).

وبلغ عدد الفنادق المعدة لنزول تجار النصارى بسبته سبعة فنادق، أربعة منها على صف واحد، وثلاثة متفرقة، ومن أهم هذه

(١) وصف إفريقيا، ج ١، ص ٥٠.

(٢) م، ج ١، ص ١٨٢.

(٣) اختصار الأخبار، ص ٨٦.

الفنادق، هو فندق الرحبة، وهو فندق كبير لبيع القلال الفلاحية اليابسة من حبوب وقطاني من قمح وشعير ونره وفول وحمص^(١).

وكما اشرنا سابقا ان هناك بعض الشخصيات المهمة، ساهمت في بناء بعض الفنادق ففي مدينة سبتة فندق الوهراني، الذي يعد من اجمل الفنادق فنا وجمالا لما جمعه من حسن بدائع الجص والنجارة في بنائه^(٢)، وهناك الفندق الضخم الذي ابتناه ابو القاسم العزفي، وهو معد لاختزان القمح، ويحتوي على اثنين وخمسين مخزنا ما بين هري وبيت يسع جميعها من قفاز القمح الالاف العديدة التي لا تبلغ الحصر، وله بابان، باب الى صحنه، وباب الى الشوارع المحملة الدائرة بالطبقة الثانية، تدخل من البابين الجمال باحمالها مع الارتفاع والاتساع الكبير، فاذا ابصر الرائي ما يدخل منها على الباب الاعلى ودوراتها في تلك الشوارع باقتنايبها وغرائر الزرع المحملة، ترى منظرا هلائي وامرا عجيبا^(٣).

كما احتوت مدينة سبتة على بعض الدور، وهي اشبه بالفنادق وذلك لاحتوائها الحرفيين، والتي اطلق عليها بدور الاشراف، مها دار الاشراف على البناء والنجارة، ودار الاشراف على شدة الامتعة، وهي المعروفة بالقاعة حيث تجار العطر^(٤).

وهكذا كان للفنادق اثر مهم في الحياة الاقتصادية في مدن بلاد المغرب حيث ان كثرتها في أي مدينة دلالة على مدى تطور الانتعاش

(١) السبتي، اختصار الأخبار، ص ٨٦، ص ٨٧.

(٢) السبتي، اختصار الأخبار، ص ٨٧.

(٣) الوزان، وصف أفريقيا، ص ٨٧، ص ٨٨.

(٤) م، ن، ص ٨٨.

الاقتصادي فيها والنمو الحضاري لسكانها، ويمكن القول ان المدن الساحلية المغربية الواقعة على البحر المتوسط او المحيط الاطلسي، كانت لابد ان تحتوي على فنادق كثيرة وكبيرة للتجار الاجانب القاصدين اليها، والدليل على ذلك، ان مدينة سبتة الساحلية احتوت على اكثر من ثلثمائة وستين فندقاً^(١)، ولا ندري لماذا لم تشر مصادرنا الى فنادق المدن الساحلية الاخرى كمدينة صفاقس وسوسة والمهدية ونس ووهرا وطنجة وغيرها. من المدن الساحلية التي كانت تعج اسواقها بالنشاط الاقتصادي.

٥- القيصاريات :-

القيصرية في اصلها كلمة اغريقية تعني المستعمرة، وهي مختصر لمصطلح سوق المستعمرة، ويطلق هذا الاسم على مجموعة من المباني العامة التي تكون على شكل مجمعات من الحوانيت والورش، فضلا عن غرف للمعيشة احيانا، وتتميز القيصارية في الاصل عن السوق بكبر الحجم، ووجود مجموعة من القاعات او الاروقة المسقفة^(٢). ويعيد تعبير امبراطور قيصري، الى الازدهان، ان اقدم هذه البيئات كانت قيصريا، أي انها كانت مؤسسات تابعة للدولة، بينها نجدها في العصور الاسلامية تعود في الغالب الى التجار الاغنياء او افراد الاسر الحاكمة او ذوي المناصب الحكومية العالية^(٣).

(١) الوزان، وصف أفريقيا، ج ١، ص ٨٦.

(2) Streck , M. S. V. " Kaisariya" E.I. 1977, Voll, II. P.658-659.

(3) Ibid , P.659.

وانظر يوسف جرجيس، التنظيمات التجارية، ص ٨٢.

وعلى أية حال فإن مصطلح القيصارية قد استخدم أصلا في المناطق التي كانت تمثل جزءا من مناطق النفوذ البيزنطي في بلاد المغرب في الفترة التي سبقت وصول الجيوش العربية الإسلامية لها، واستمر وجود القيصارية خلال عصور الازدهار الإسلامية، وأصبحت من أهم الأسواق التجارية والصناعية، حيث احتوت أروقتها أسواق حرفية ومعامل معدة للصناعة، وخاصة صناعة النسيج^(١).

وبالرغم من وجود القيصاريات في بلاد المغرب، لكن معلوماتنا عنها في المصادر قليلة وربما، أن السبب في ذلك، هو اعتبارها جزءا مكملًا للأسواق، علما، أن التنظيم العام للقيصاريات، يختلف كليًا عن تنظيم وتخطيط الأسواق. وكانت بعض القيصاريات تحتوي على حوانيت للتجارة وبعضها الآخر معاملا للصناعة، منها صناعة النسيج^(٢).

ويشير انغبريني^(٣)، إلى أن في مدينة بجاية في المغرب الأوسط قيصارية عظيمة، كما احتوت مدينة مراكش في المغرب الأقصى على قيصارية كبيرة، حيث يصفها صاحب الاستبصار^(٤) "باتها قيصارية عظيمة، لم يبن في مدن الأرض أعظم منها، وأمر بعمارتها سنة (٥٨٥

م، ن، ص ٨٢. (1) Ibid, P.659-660

(2) خاصة بعض مدن إفريقية، كسوسة وصفافس، حيث انتشر بقيصاريات هذه المدن أصحاب الصنائع، لاسيما أرباب أتوال النسيج، انظر حسن حسني عبد الوهاب، ورفات من الحضارة العربية، ج ٢، ص ٧٣.

(3) عنوان الدراية، ص ١٠١.

(4) الاستبصار، ص ٢١٠، وانظر، أبا عبد الله محمد بن عبد المنعم، الروض العطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس (بيروت، ١٩٧٥)، ص ٢١١.

هـ / ١١٨٩م)، في حين يذكر الجزناتي^(١)، بأن هناك قيصارتين في مدينة فاس مخصصتين لبيع الثياب القديمة وذلك على عهد الموحدين. وفي عهد المرينيين نجد في مدينة فاس، قيصارية كبيرة تحتوي على كل السلع والبضائع النظيفة الغالية الثمن، كالحريز والقمشة القطنية الملونة، ومداخل هذه القيصارية مغلقة بأعمدة الصقل لئلا يمار ان يجتازها^(٢).

ويصف روجيه^(٣)، قيصارية فاس في العصر المريني، بأنها أشبه بمخزن عصري كبير، حيث يجد المشترون أكثر الأشياء التي يحتاجونها من قماش وحلي وعطور وأفاوية وغيرها من الحاجيات، وهي عبارة عن أزقة ضيقة مسورة بجدران تحتوي على مجموعة كبيرة من الأسواق التي كانوا يشغلونها تجار المفرد التي يبيعون الأشياء الغالية الثمن.

وينبذ أن هذه القيصارية التي وصفها روجيه، هي التي أشار إليها الوزان^(٤)، وأطلق عليها تسمية سوق التجار الذي كان يحتوي على اثني عشر حيا، وفي كل حي مجموعة من الأسواق، محاطة بجدران مغلقة ينفذ إليها من بابين حديدين.

(١) زهرة لآس، ص ٣٣.

(٢) كالتون كون، القافلة، ص ٣٤٠.

(٣) فاس في عصر بني مرين، ص ٤١.

(٤) وصف إفريقيا، ج ١، ص ١٩٠.

ثانيا : اماكن الاسواق وتنظيمها وطرز بنائها :-

١- اماكن الاسواق وتنظيمها :

جرت العادة في مشرق الدولة العربية الاسلامية، ان تختص كل صناعة بسوق، وكل سوق بصناعة، وعادة ما تكون هذه الاسواق حول المسجد الجامع على نسبة اتصالها به وظيفيا، فهناك سوق الشماعين لوجوب الاضاءه بالشموع في الصلوات الليلية، وهنا سوق العطارين والطبيين (باعة البخور)، لوجوب التعطر والتبخر بالجوامع، وسوق النقباوية لوجوب الوضوء وهناك سوق العدول المانونين لان عقودهم تتم بالجوامع، وهناك سوق الكتبيين المجاورة للجامع، ثم تتعاقب الاسواق طبقة طبقة الى نهاية سور المدينة الداخلي. اما الاسواق الحرفية فغالبا ما تكون بعيدة عن المناطق السكنية، كسوق الدباغين والصباغين والحدادين والسراجين والقصابين، وغيرها من الاسواق الحرفية، وذلك نتيجة الروائح الكريهة التي تنبعث منها^(١).

الا ان هذا التنظيم العام في الاسواق العربية الاسلامية لم يكن موحدا في كل مدنه واقاليمة، فهناك اختلاف في مواقع الاسواق، نظرا لاهميتها من جهة، ورواج نشاطها الاقتصادي من جهة ثانية، وسنعرف على اماكن وتنظيم الاسواق في بلاد المغرب ويبدو ان الخصائص العامة للاسواق المغربية متشابهة نوعا ما، فالعلامة حسن حسني^(٢)، يشير الى اسواق مدينة تونس وصفافس وسوسة، كان يشقهما طريقان رئيسيان متقاطعان يتجه احدهما طولا والاخر عرضا، وعلى هذه الطرق تقع اغلب الاسواق التجارية والحرفية، ففي مدينة تونس هناك طريق يصعد

(١) الكعك، الحضارة العربية، ص ٦٩.

(٢) وفات من الحضارة العربية بالقرية التونسية، ج ٢، ص ٤١.

من باب البحر حيث السور الخارجي، ويشق المدينة طولاً، ماراً على السوق الطويلة في مركز المدينة ثم سوق النحاس إلى أن يبلغ القصبة آخر البلد والطريق الآخر القاطع عرضاً، يبدأ من باب الجزيرة سلكاً سوق الصباغين إلى أن ينتهي عند باب السويقة، حيث يلتقي بسور البلد القديم.

من هذا يتضح لنا أن أسواق مدينة تونس في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، كانت تقع على الطرق العامة في المدينة، ولكن بعضها كان يقع قرب أو حول الجامع، وخاصة سوق القشاشين^(١). وفي العهد الحفصي بتونس، كان حكامها، لا يسمحون بإقامة الاسواق الحرفية في داخل المدينة، كسوق الدباغة والصباغة والحياكة والحدادة التي تنبعث منها روائح كريهة، بل كانوا يسمحون بإقامتها خارج سور المدينة كسوق الصباغين والدباغين^(٢).

أما في مدينة صفاقس، فإن أسواقها، قد شيدت حول الجامع، بينما نجد الدور والمنازل قد أبعدت عن الأسواق، وأحاطت بها من كل الجهات تقريباً، وكل من هذه الأسواق قد اختص بنوع خاص من النشاط الاقتصادي، سواء كان تجارياً أو صناعياً، بينما نرى معامل النسيج الحرفية قد احتلت الطابق الأعلى من أكثر تلك الأسواق^(٣).

وأسواق مدينة صفاقس كأسواق مدينة تونس، حيث تتكون من دكاكين مصطفة متلاصقة ومتقلبة، واختص كل منها بنوع من الصناعة

(١) الكعك، العلاقات التونسية الإيرانية، ص ١٣٨.

(٢) العامري، تاريخ المغرب في سبعة قرون، ص ١٧١.

(٣) أبو بكر الكافي، صفاقس، ج ١، ص ٧٦.

او التجارة، وكانت اسواق هذه المدينة، كما يشير احد الباحثين^(١)، تشبه الشجرة التامة الاغصان والفروع وتفرعها حسب المصالح المتبادلة بين اصحاب السوق وما لهم من علائق تجارية او صناعية، واصل هذه الشجرة، هو سوق الصباغين الذي هو اول سوق يواجه الداخل من باب الجبلي القديم، وكذلك سوق الجمعة الذي يقع وسط المدينة حول الجامع، اما سوق الكامور، فهو يجاور الجامع الكبير بالمدينة من الجهة الشمالية، وهو يمتد من الشرق الى الغرب الى ان يصل الى سوق الخضر ويتكون من صفين متقابلين من الدكاكين تفصل بينهما جادة ضيقة^(٢).

ويمتد سوق الرهاندن (الربع) في صفاقس من الشمال الى الجنوب ، ويرتبط بين سوق الصباغين وسوق الكامور، ويقطعه عرضاً سوق الطارين من الوسط، ويتكون من سوقين، هما سوق المرساتين. ويدعى بسوق الحناطين، وسوق للربع الضيق، ويتكون سوق الربع من دكاكين متلاصقة ومتقابلة، يربط بينه وبين سوق البغاجين (العقبه) وهي سارية لها بابان او موصلان، امرهما وسط السوق والثاني بالسوق القديم، وكانت تدعى في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي بالفرخة^(٣). اما سوق الفاكهة صفاقس فموقعه بين سوق الربع الضيق والجزء الشمالي من سوق الصباغين، وهو من املاك آل الحصانري^(٤).

(١) الوزان، وصف أفريقيا، ج ١، ص ٧٧، ص ٨٧.

(٢) ابو بكر الكافي، صفاقس، ج ١، ص ٨٧.

(٣) م، ن، ج ١، ص ٧٩.

(٤) السراج، الحلل السندسية، ص ١٠٩١، ابو بكر الكافي، صفاقس، ج ١، ص ٨٧.

ويمتد سوق الزراعية غربا ويتصل بسوق الكامور، ثم ينعطف شمالا باتجاه سوق الصباغين^(١).

وعلى الرغم من التدهور الاقتصادي الذي اصاب مدينة القيروان في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي (أي فترة السيطرة الهلالية) وانتقال مركز الثقل التجاري الى تونس، لكننا يجب ان لا ننسى اهميتها الاقتصادية في القرون الاولى، حيث كانت تحتوي على اسواق كثيرة جدا، ومنها سوق الرهاندن (الربع)، الذي وصلتنا عنه اشارة ترجع الى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، بانه تحول الى سوق للشواشين (أي تجار وصناع الشاشية، غطاء الرأس بتونس)^(٢).

وتقع اسواق مدينة قابس حول الجامع الاعظم (جامع المنزل)، وكلن سوق الحريريين كانت تقع بين المدينة والبحر كما اشار بذلك الادريسي^(٣) وذلك لربما كان موقع هذا السوق بهذا الشكل لغرض تصدير الحرير خارج المدينة. وفي اشارة للتيجاني^(٤) يذكر فيها بان اسواق مدينة قابس كانت تقع دخل ارياض المدينة.

(١) ابو بكر الكافي، صفاقس، ج ١، ص ٨٨.

(٢) الدباغ، معالم الايمان، ج ٢، ص ٨٢.

(٣) الادريسي، وصف افريقيه، ص ٧٦، ص ٧٧، المرزوقي، قابس جنة الدنيا، ص ٧٠.

(٤) الرحلة، ص ٨٧. ويوجد الان بمدينة قابس سوقان قديمان، احدهما بالمنزل والاخر بجواره (وهما من احياء مدينة قابس الحالية)، وكلا السوقين عبارة عن ساحة كبيرة تحيط بها من الجهات الاربعة للدكاكين، وفي الساحة الوسطى ينصب التجار بضائعهم في اكاداس على الارض وتقسّم السوقان ايام الاسبوع، فيجتمع الناس في كل منهما ثلاثة ايام، ويوم الجمعة عطلة لكلا =

وفي أيام التجاني^(١)، أي في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي كانت اسواق مدينة القصر القديم، تقع خارج الاسوار الخارجية للمدينة، ويبدو ان موقع مثل هذه الاسواق، لابد وان تكون اسواق حرفية.

وتبخل علينا المصادر المتوفرة بالمعلومات عن اماكن وتنظيم الاسواق في مدن المغرب الاوسط، وخاصة قاعدتها تلمسان، ويبدو لنا ان اماكن وتنظيم الاسواق في مدن هذا الاقليم لا يختلف عن المدن المغربية الاخرى.

فيما وصلتنا معلومات كثيرة عن اماكن الاسواق وتنظيمها عن اقليم المغرب الاقصى وخاصة مدنه الرئيسية، فمدينة مراكش عاصمة المرابطين والموحدين، كانت اسواقها الحرفية هي صلة الوصل بين الاحياء الشعبية في المدينة، حيث تتجمع دكاكين الحرفيين في ترتيب منسق منسجم التعاضيدات، وتتكون هذه الاسواق من محورين في طريقتين متعامدين يلتقيان حول مسجد ابي يوسف بالقبه المرابطية شرقا، وباب الخميس شمالا، وباب السمارين جنوبا، وينتهي الترتيب الذي يحصل قرب مسجد ابي يوسف المهن النظيفة(كسوق الكتب، وسوق تجار الاثواب)، ثم المهن القليلة التلوث، فالاكثر تلوثا، ففي اقصى الشمال حدادون وخشابون وفي اقصى الجنوب المهن الكيماوية او النارية واقصى الشرق، دباغون وفخارون. هذا هو الشكل التنظيمي

= الموقون والحركة التجارية بهما عظمة جدا لكثرة الواردين عليهما، ويبدو ان هذين السوقين كتا معروفين في العهد الاسلامي على اقل تقدير، انظر: المرزوقي، قابس جنة الدنيا، ص ٩٣.

(١) الرحلة، ص ١٠٣.

تقريبا لاسواق مدينة مراكش، كما اوجت بذلك الوثائق القديمة والاثار^(١).

ومن خلال هذا التنظيم نلاحظ، ان اغلب الاسواق التجارية والحرفية في مدينة مراكش كانت محاطة بمسجد ابي يوسف، لانه كان من العادة ان تكون الاسواق مجاورة للمسجد الجامع، لارتباطها به وظيفيا من جهة، ولان المسجد الجامع غالبا ما يكون في المركز الرئيسي للمدينة، فمن الطبيعي ان تكون الاسواق قريبة منه لشدة ازحام الناس في مثل هذه الاماكن، لذلك يرى المجدوبي^(٢)، ان المركز الاقتصادي للمدينة انتقل المسجد الجامع من وسط المدينة (مسجد ابي يوسف) الى غربها (مسجد الكتبية الى جنوبها) (مسجد - قصبة المنصور)، ويرجع المركز الاقتصادي من جديد الى وسط المدينة حول (مسجد ابي يوسف)، وهكذا نرى انه كلما انتقل الرواج من جوار المسجد الى مسجد اخر، اصاب المركز الاقتصادي الاول الكساد، في حين يتمتع المركز الجديد بالرواج الاقتصادي لذلك نرى ان الاسواق الثابتة المتخصصة دائما تقع وسط المدينة، كسوق الحنطة وسوق القشاشين، والقراقين، والبرادعين، والسراجين، وكل هذه الاسواق تقع حول مسجد ابي يوسف في العصر المرابطي، في حين نلاحظ ان سوق البهائم يقع خارج المدينة في الجنوب الغربي منها^(٣). اما اسواق مدينة فاس، فقد قدم لنا المستشرق كالتون^(٤) وصفا لاماكنها وتنظيمها خلال العصرين المرابطي

(١) لكريم الصوصي، مراكش بين التأسيس والتمرين في العصرين المرابطي والموحدي ضمن كتاب مراكش، ص ٧٣، ص ٧٥.

(٢) المجدوبي، من وسائل التعبير، ضمن كتاب مراكش، ص ٨٧، ص ٨٨.

(٣) الادريسي، وصف افرقية، ص ٤٤، المجدوبي، م، ن، ص ٨٨.

(٤) القافلة، ص ٣٤٠، ص ٣٤١.

والموحدى اعتمادا على الآثار التي عثر عليها، فيشير الى ان اغلب اسواقها التجارية الكبيرة كانت تقع وسط المدينة، بينما تقع المدايق والمطاحن على ضفاف الانهار لحاجتها الى الماء اللازم وتتفرق الاسواق الحرفية داخل المدينة وكثيرا ما يشترك النساجون والاسكافيون في مكان واحد، لان ليس لصناعتهم ضجيج، وغالبا ما تقع دكاكين البقالة في المراكز السكانية لبيع الخبز والبضائع الصغيرة التي يجدها المرء بسهولة.

ويشير ابن الاحمر^(١)، الى اسواق مدينة فاس، بأنها كانت متناثرة بحسب اهميتها المهنية والحرفية، فسوق الجزارين كانت بحومه بني حاربوه اليازغيين، وسوق العطارين كان موقعه وسط الوادي المعروف بوادي غدير الحمص، اما سوق الرصيف فكان يقع قريبا من جامع القرويين.

وفي العصر المريني، اهتم الحكام المرينيون بتنظيم اسواق عاصمتهم فاس حيث بنوا اسواقا جديدة، وجددوا الاسواق القديمة. ويقدم لنا وروجيه^(٢) وصفا لاماكن وتنظيم هذه الاسواق، في ضوء اهميتها في المدينة، فقد كانت حوانيت النحاسيين تقع بالقرب من جامع القرويين، وكذلك سوق العطارين، وفي الاجزاء القريبة من المدينة داخل السور الخارجي توجد الاسواق الحرفية، ومنها سوق الفخار الواقع الى الشرق من العدو الاندلسية ومعاصر الزيت التي كانت تتجمع حول الابواب التي يرد الزيتون عن طريقها الى المدينة، الجيسة في الشمال

(١) بيوتات فاس الكبرى، ص ٤٣، ص ٤٨، ص ٥١.

(٢) فاس في عصر بني مرين، ص ٢٨، ص ٢٩.

وباب الفتوح في الجنوب، وهذان البابان كاتهما منفذ الحياة الاقتصادية في مدينة فاس.

اما الاسواق الحرفية التي تحتاج الى الماء، فغالبا ما تقع قريبة من الانهار، كالمدايق والمصايف التي كان يلزمها الماء دوما لغسل الجلود، والدكاكين الخاصة بالحياكة والنحاسة والحدادة فتوجد قريبة منها ايضا^(١). وتقع اغلب اسواق انجمله بفاس، قرب جامع القرويين وسط المدينة، حيث يجد المشترون اكثر الاشياء التي يحتاجونها من المواد الغذائية، وقريب من الجامع ايضا يوجد سوق الجزارين بينما نجد سوق الصاغة يقع قرب دار السكة^(٢). ولربما ان موقع هذا السوق قرب دار السكة هو ان الذهب والفضة تحتاج الى عمل يدوي، وفن وسك وختم، وان وجودها قرب دار السكة سهل العديد من الامور التي يحتاجها العاملون فيها.

ومن المعروف ان الوزن^(٣)، قدم لنا وصفا رائعا لاسواق فاس في العصر المريني كما ذكرنا سابقا، وأشار في بعض الاحيان الى مواقع وتنظيم بعض الاسواق التي ذكرها، فقد ذهب الى ان جماعة الحرفيين مفصولة بعضها عن البعض واكثرها يوجد حول جامع القرويين، ففي الشرق منه باعة النحاس واواني الصفر وامام الباب الرئيسي في الجهة الغربية يوجد باعة الفواكه، وعلى خط مستقيم تمتد اسواق الدخان والدلاء والاسكافيين والخرازين وصانعي الترس والورق وصانعي قرابيس الخيل، حيث تمتد هذه الاسواق جميعها باتجاه مدرسة ابي عنان

(١) الوزن، وصف أفريقيا، ج ١، ص ٣٩، ص ٤١، ص ٥١، ص ١٣١.

(٢) روجيه، ص ١٣١، المنوني، ورقات من الحضارة في عهد بني مرين، ص ٢١.

(٣) الوزن، وصف إفريقيا، ج ١، ص ١٨٥، ص ١٨٦.

المريني. ووجد في مدينة فاس خمسمائة وعشرون دارا للنساجين، وهي ابنية كبيرة ذات طوابق عديدة، وقاعات فسيحة، تضم كل قاعة عددا كبيرا من عمال النسيج، وليس لأصحاب هذه المعامل أي مالك أو صاحب ملك، بل هي ملك للعاملين النساجين الذين لا يدفعون سواء كراء الصناعات، ويشتغل فيها أكثر من عشرين ألف عامل، كما ان هناك ثمانمائة معملا لقصاري الخيوط^(١).

اما مدينة رباط الفتح فان اسواقها تقع داخل الاسوار الخارجية للمدينة وينفذ اليها عدد من الابواب^(٢)، وخاصة سوق الفاكهة والخضر، اما سوق الاسماك، فكان يقع داخل السور المعروف بباب الحلاج الجديد^(٣)، اما سوق الغزل فيقع قرب المسجد المعروف بمسجد السوق^(٤). وقد السيتي^(٥)، بعض المعلومات عن تنظيم اسواق مدينة سينته فيستير ان سوق العطارين العظيم: وسماط العدول. كانا متصلات بعضهما ببعض ويقعان بحومة الجامع الاعظم، اما السوق الكبير فيقع وسط المدينة قريبا من الجامع. وكان السوق الكبير في الدار البيضاء، يمتد وسطها من باب القنطرة (الذي يقال له الان باب الوادي)، المقابل لباب السبع الى باب عيون صنهاجة والحمام الكبير داخل سور المدينة وقد بنى هذا السوق الكبير الخليفة الموحي المنصور، وكان يعرف بالسماط^(٦) لكبر حجمه وطول مساحته.

(١) الوزان، وصف أفريقيا، ج ١، ص ١٩٣.

(٢) عبد الله الموسوي، تاريخ رباط الفتح، ص ٦٠، ص ٦١.

(٣) عبد الله الموسوي، تاريخ رباط الفتح، ص ٦٢.

(٤) م. ن، ص ١٣٩.

(٥) اختصار الاخبار، ص ٣٩.

(٦) ابن الاحمر، روضة النسر في اخبار دولة بني مرين، ص ١٥.

٢- طرز بناء الاسواق :

اختلفت خصائص الاسواق وبنائها تبعا لمواقعها وتنظيماتها داخل كل مدينة من مدن بلاد المغرب، فمثلا كتبت اسواق مدينة تونس مبنية بالاجر ومسقفه بالاختشاب^(١)، بينما تتكون اسواق صفاقس من غرف مختلفة الالوان ومتقنة التصميم^(٢)، حيث يمتاز سوق الكامور بصفاقس بانه عاليا عن الارض بنحو ثلاثين سنتمترا تقريبا، ويظلله سقف مقام على شكل اقواس مبنية من الخشب^(٣). اما سوق الربع فيها فكان مسقف على شكل اقواس ضيقه ولكنها بالحجارة والجير وليس بالاختشاب^(٤)، ولربما سقف بالحجارة والجير لضيق دروب هذا السوق. ويشير الوزان^(٥)، الى طرز بناء بعض اسواق المغرب الاوسط، فيذكر بان اسواق مدينة وجده متقنة البناء، واسواق مدينة الجزائر منسقة كما يجب واسواق مدينة بجاية منسقة احسن تنسيق. وكانت اسواق مدينة مراكش في العصرين المرابطي والموحدي، تتجمع في ترتيب منسق ومنسجم التعاضيدات، وكان بناؤها من الاجر الفخاري الجيد، وغالبا ما تكون احياء الصنّاع والمتاجر في السوق كشبه قرى مغطاة بالقصب ومسقفه بالاختشاب والعيدان^(٦).

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٩٨.

(٢) ابو بكر الكافي، صفاقس، ج ١، ص ٧١.

(٣) الوزان، وصف افريقيا، ج ١، ص ٨٠.

(٤) ابو بكر الكافي، صفاقس، ج ١، ص ٨٢.

(٥) الوزان، وصف افريقيا، ج ٢، ص ١٣، ص ٤٦، ص ٥٠.

(٦) ابن عذاري البيان، ج ٤، ص ٢٣٠. ويذكر، ابن عذاري في حوادث سنة

٦٠٧هـ / ١٢١٠م، الحريق الذي شب في قيصارية مراكش، وأشار الى =

اما اسواق مدينة فاس فتختلف في بناؤها، فمثلا سوق العطارين كان مغلق من طرفيه ببابين جميلين لا تقل متقنتهما عن فخامتهما، ودكاكين هذا السوق كثيرة الزخرفة ذات سقوف جميلة، وهو في زقاق ضيق ولكنه ملائم في ضيقه^(١). واسواق الجانب الشرقي من فاس كانت اغلبها منظمة ومبلطة بالاجر والحجر^(٢). ونجد اسواق مدينة سلا مبنية من الفسيفساء واعدة الرخام عندما يمر المرء امام اعمدة الدكاكين يجد قوسا مبنيا على ما يقال ليفصل بين سوق واخرى او حرفة واخرى^(٣).

ويشير الادريسي^(٤)، الى اسواق طنجة بانها حسنة، واسواق مدينة هنين متقنة البناء واسواق جبل فازار كانت مبنية من الحجر داخل حصون خاصة خوفا من الخطر الذي قد يداهما.

واخيرا يشير العلامة حسن حسني^(٥)، الى ان بعض خصائص الاسواق المغربية، فيذكر ان الاسواق المغربية تنقسم الى قسمين الاول معامل للصناعات اليدوية ويشغل فيها اربابها بتحويل المواد الأولية الى منتجات صناعية واهمها الحياكة، والنوع الاخر، هي الاسواق المعدة للبيع وتعد دكاكين القسم الاول افسح من دكاكين القسم الثاني المخصصة للبيع، لان الشغل بالقسم الاول يتطلب التوسع لنصب ادوات الحرفة ونثر المواد الأولية.

= ان النار اخذت بيايس العيدان واسرعت كالشهاب في سقوف الاسواق، م، ن، ص ٢٣٠.

(١) الوزان، وصف افريقيا، ج ١، ص ١٩٢.

(٢) م، ن، ج ١، ص ١٩٣.

(٣) م، ن، ج ١، ص ١٦٤.

(٤) م، ن، ص ٤٤، ص ١٠٩، ص ١١٢.

(٥) ورقلت، ج ٢، ص ٧٤، الكعك، الحضارة، ص ٦٦.

(الفصل الثاني)

(النشاط الاقتصادي في أسواق بلاد المغرب)

أولا العوامل المؤثرة في حركة الأسواق المغربية :-

من المعروف ان هناك عوامل عديدة ساعدت على رواج وانتقال السلع والبضائع داخل الأسواق المغربية، واثرت بشكل مباشر او غير مباشر في نشاطها الاقتصادي ومن اهم هذه العوامل هي :-

١-العوامل السياسية .-

كان للاستقرار السياسي الذي عم البلاد في كثير من الاوقات، اثرا كبيرا في انتعاش الحياة الاقتصادية داخل أسواق بلاد المغرب، ففي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، أي في عهد المرابطين والموحدين، كانت دولة المرابطين تتمتع بثقة واسعة في الاوساط العالمية. وذلك لحرصها على تطبيق تعاليم الاسلام السمحة^(١)، فلا فوضى ولا اضطراب. فالدولة، كانت ساهرة دوما على حماية التجار. وحريصة على تأمين طرق تجارتهم^(٢). فتوفير الامن الداخلي يحفظ للناس اموالهم والعدالة تحفظ لهم حقوقهم، والسلم يؤمن حرية التنقل بسلام، وبدون هذه، فانه من العسير ان نتصور امكانية تطور التجارة وازدهار اسواقها.

(١) عبد الله بلقين بن بادس بن زيري، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة (مذكرات الامير عبد الله)، تحقيق، ليفي بروفنسال (القاهرة، ١٩٥٥)، ص ١٢٠.

(٢) الا ان سياسية المرابطين هذه لم تدم طويلا، حيث سرعان ما انتشرت الاضطرابات السياسية في عموم دولتهم.

ونشير على سبيل المثال الى تجار مدينة اغمات في العصر المرابطي، فقد كانوا يضعون " بابواب منازلهم علامات تدل على مقادير اموالهم، وذلك ان الرجل منهم اذا ملك اربعة الاف ديناراً يمسكها على نفسه، والاربعة الاخرى يصرفها في تجارته، اقام على يمين بابيه وعن يساره عرصتين من الارض الى اعلى السقف فاذا مر الخاطر بدار، ونظر الى تلك الدار العرص مع الابواب قائمة عدها، فيعلم من عددها كم مبلغ مال صاحب الدار"^(١). ومعنى هذا ان التاجر اصبح لا يخاف من السطو والنهب وسلب امواله، فلولاً انتشار الامن والاستقرار، لما تجرأ تجار مدينة اغمات بالافصاح عما يملكون من اموال بواسطة هذه الرموز.

وان امتداد سلطة المرابطين خارج مناهل واسعة. شملت المغرب الأقصى وجزء من المغرب الاوسط والصحراء الغربية وافريقيا الغربية، فضلاً عن بلاد الاندلس وجعلها تحت سيطرته موحدة ولأول مرة في التاريخ"^(٢). لابد وان يكون عاملاً مهماً في حركة الاسواق. كما ان الطرق التجارية، قد تحولت في بداية حكمهم نحو مدن المغرب الأقصى. خصوصاً وان المغربين الادني والاوسط كانتا تحت سيطرة القبائل الهلالية التي نشرت الفوضى السياسية والاقتصادية في تلك الاقاليم المغربية، وكانت لابد وان يؤثر هذا على النشاط الاقتصادي في المغرب

(١) الادريسي، ابو عبد الله، نزهاء المشناق في اختراق الافاق، تحقيق دوزي ودي غويه، (اليدن، ١٨٦٦)، ص ٦٧.

(٢) انظر السائح، حسن، الحضارة المغربية عبر التاريخ، مطبعة النجاح الجديدة (دار البيضاء، ١٩٨٥)، ج ١، ص ١٧٢.

الاقصى ايام المرابطين وبالتالي نشاط اسواقها^(١). كما ان المرابطين قاموا بالغاء المكوس على السلع والبضائع التجارية واكتفوا فقط بفرض ضريبة العشور^(٢). مما شجع على انتقال السلع والبضائع التجارية بين ربوع دولتهم بحرية تامة.

الا ان سياسة المرابطين المشجعة للنشاط الاقتصادي: لم تدم طويلا، بسبب الظروف العسكرية التي عاشتها الدول، لذلك نرى ان ايامهم الاخيرة شهدت تدهورا اقتصاديا خاصة في ميدان التجارة، وكثر قطاع الطرق وعرقلت هؤلاء وصول السلع الى الاسواق^(٣). ونتيجة للازمة المالية التي مرت بها الدولة في ايامها الاخيرة، نتيجة النشاط العسكري، فقد فرضت الدولة ضرائب كثيرة على السلع الصادرة والواردة الى الاسواق، والتي الغيت في العصر الموحيدي^(٤). وحظيت التجارة الخارجية في دولة المرابطية باهتمام حكامها. وخاصة مع بلاد السودان الغربي، حيث بقيت الطرق التجارية التي تربط مدن المغرب الاقصى بالسودان الغربي عبر الصحراء الغربية (ارضي قبائل صنهاجة) نشطة جدا في ايامهم وتدفقت عبرها السلع السودانية بغزارة الى بلاد المغرب^(٥). كما انهم استخدموا طريقا يربط سجلماسة بالمشرق واخذت

(١) احمد حسن محمود. قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ١٩٥٧). ص ٤٠٣.

(٢) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي. دار الشروق (بيروت، ١٩٨٣)، ص ٢٩١.

(٣) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص ٣١.

(٤) ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص ٣١، وانظر عن هذه الضرائب الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٥) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ١٦٣.

البضائع تنطلق عبره بكثرة، وسلكه ابو عمرو عثمان بن علي في موسم الحج^(١).

اما التجارة مع بلدان البحر المتوسط في عهد المرابطين فقد واجهت صعوبات كثيرة، لان العلاقات بينهما كانت متوترة بسبب الحروب الطاحنة مع نصارى اسبانيا والتي جعلت التجارة معهم لا تزدهر الا في سنوات الهدنة^(٢). لذلك اتجهوا في بعض الحالات الى عقد اتفاقيات تجارية مع المدن الايطالية خاصة بيزا وجنوة في عامي (٥٣١هـ و ٥٣٢هـ / ١١٣٧م - ١١٣٨م) وتشجيعا لهم على التجارة مع بلاد المغرب لم يفرض المرابطون عليهم غير ضريبة العشر^(٣).

وفي عهد الموحيدين كانت سياستهم للنشاط الاقتصادي في الأسواق مشجعة. حيث قاموا بعدة اجراءات لاجل هذا الغرض منها :-

لقد نجح الموحدون في إشاعة الأمن في جميع أرجاء دولتهم. وقد اكد ذلك عبد المؤمن بن علي في رسالة العدل الذي بعث بها الى عمال دولته عنى حماية التجار وتأمين طرق التجارة، متوعدا بقتل من يخالف هذا الامر^(٤)، بل انه انزل بعض العقوبات باصحاب حوادث الاعتداء على التجار او قطع الطرق التجارية، وقد سار خلفاؤه على

(١) ابن الزيات، التشوق الى رجال التصوف، ص ١١٨، انظر نزهة المشتاق، ص ١٦٣.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٩١، ص ٩٢.

(3) Mas - Latrie- I- Trait de paixet de commerce et documents divers concernant Les relations des chretiens dres les arabes de I. A frique seftentrionale ay moy on-ase , faris-.I , 65- P.37.

(٤) مجهول، رسالة موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية، تحقيق ليقي بوفنسال، المطبعة الاقتصادية (الرباط، ١٩٤١)، ص ٥، ص ٦.

نهجه^(١)، وخاصة المنصور والناصر اللذين عاقبا بعض عتاة زناتة في اعتدائهم على التجار واحراقهم لبعض الاسواق في مدينة تلمسان^(٢)، فشاع الامن في جميع انحاء دولتهم، حتى ان السراج^(٣) يشير في هذا الصدد الى عهد المنصور الموحي فيذكر " وكانت ايامه كلها امان، حتى ان الضعيفة تخرج من برقه الى اقصى المغرب، ولم يتعرض لها احد " كما قطع عبد المؤمن وخلفاؤه جميع المغرم والقبالات والمكوس التي فرضها المرابطون في ايامهم الاخيرة^(٤). فيذكر ابن القاضي^(٥)، ان المنصور الموحي قام بحذف الكثير من الضرائب " وما جرت به عادة اهل المشرق من توظيف الامكاس على احوال التجار عدد الوصول الى كل مدينة وشبه ذلك من المسمى بالغفر عند العرب، فليس في بلاده (أي المنصور) ايده الله تعالى أي شيء من هذا القبيض اصلا، حتى ان الانسان يكون في احماله من التبر والياقوت ولا يخشى عليهما من الطريق شيئا ولا يعطي على ذلك كله الا ربع درهم على كل حمل. في باب المدينة، هذا ما تشرف به المغرب على كل الاقطار... كمصر والشام...

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٣٦٧، ص ٣٦٨، وابن الزيات، التشوف، ص ٣١٩، ص ٤٠٣.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص ٦٧.

(٣) الحلل السندسية، ص ١٠٠٥.

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٢٣٥.

(٥) ابن القاضي، احمد بن محمد، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق محمد مرزوق، مكتبة المعارف (الرياض، ١٩٨٦)، ص ١٩٢.

كما اهتم الموحدون في بناء الاسواق، فقد جددوا بناء سوق العطارين في مدينة فاس بعد تعرضه الى حريق^(١). ومع اتساع مدن مراكش ومكناسة الزيتون وقصر عبد الكريم في ايام الموحدين، فبنيت فيهما اسواق جديدة^(٢)، كما انشأوا الاسواق العامرة في المدن التي تم بناؤها في عهدهم مثل مدينة الرباط^(٣).

كما عمل الموحدون اجراءات خاصة بالتجارة الخارجية، فمثلا كانت علاقتهم مع بلاد السودان، تواجه بعض المشاكل، بسبب الصحراء الغربية التي كانت موطن ومستقر قبائل صنهاجة الملتجئين الذين اسسوا الدولة المرابطية، فعملوا ضد نشاط الموحدين التجاري في تلك الصحراء^(٤) فكثر حوادث قطع الطرق على التجار بين مدينة سنجماس، وغانم^(٥). مما ادى الى تعطل الطريق الصحراوي الغربي الذي يمر عبر الصحراء الغربية، فلبأ الموحدون الى تشجيع الطريق الاوسط الذي يربط المغرب الاوسط بالسودان الغربي وكثر استخدامه^(٦).

وعقد الموحدون بعض الاتفاقيات مع المدن الايطالية كبيزة وجنود وذلك، عام (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) وعام (٥٧١ هـ - ١١٧٦)، وعام (٥٨٧ هـ / ١١٩١ م) وقد سهلت هذه الاتفاقيات التجارية عمليات انتقال السلع والبضائع داخل الاسواق المغربية.

- (١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٣٤.
- (٢) المراكشي، المعجب، ص ٢٦٦؛ الاستبصار، ص ١٨٧، ص ١٨٩.
- (٣) م. ن، ص ١٩٢، ص ٢٦٦، روض القرطاس، ص ١٥١.
- (٤) المراكشي، المعجب، ص ٢٦٧.
- (٥) المقرئ، ابو العباس احمد، نفخ الطيب من غصن الادلس الرطيب، تحقيق احسان عباس دار صادر، (بيروت، ١٩٦٨)، ج ٣، ص ١٠٧، ص ١٠٨.
- (٦) م. ن، ج ٥، ص ٢٠٥، ص ٢٠٦، ص ٢٠٧.

وبعد سقوط دولة الموحدين، حكمت بلاد المغرب ثلاث حكومات
ففي المغرب الأدنى كان بنو حفص، الذين قام بعض حكامهم بإجراءات
عديدة في سبيل تشجيع الحركة الاقتصادية، حيث تم إلغاء الكثير من
الضرائب التجارية التي كانت تفرض على السلع الصادرة والواردة على
أسواق العاصمة تونس، كما امتنعت في عهدهم الطرق التجارية، فالوزير
السراج^(١)، يشير إلى أن إبا زكريا الحفصي، (٦٢٤ هـ - ٦٧٦ هـ /
١٢٣٧ م - ١٢٤٩ م) اتخذ عدة إجراءات من أجل زيادة تداول السلع
داخل الأسواق، حيث قام بسك عملات صغيرة الحجم لسهولة تداولها بين
الناس، كما امتنعت البلاد في عهده، كذلك فعل أبو فارس عبد العزيز
(٧٩٦ هـ - ٨٣٧ هـ / ١٣٩٤ م - ١٤٣٣ م)، حيث أقدم على إلغاء
وتخفيض بعض الضرائب على الأسواق في العاصمة تونس، والتي كانت
تؤخذ بنسب عالية جدا^(٢). كما أنشأ العديد من الحكام الحفصيين أسواقا
في مدن بلادهم كما مر بنا سابقا، وبطبيعة الحال أن كثرة الأسواق في
أي مدينة لدلالة أكيدة على ازدهار الحركة التجارية في تلك المدينة.
وعقد الحفصيون عدة اتفاقيات تجارية مع المدن الإيطالية
وخاصة مع بيزه وجنوة والبندقية، وساعدت هذه الاتفاقيات على انتعاش
أسواق مدنهم بأنواع مختلفة مع البضائع الأوربية^(٣).

وفي عهد المرينيين، فعلى الرغم من عدم تمكنهم في كثير من
الأحيان من السيطرة المركزية على بعض الأقاليم المغرب، وخاصة

(١) الحل السندسية، ص ١٠٢٥.

(٢) الحل السندسية، ص ١٠٧٣، ص ١٠٧٤، الزركشي، تاريخ الدولتين،
ص ١١٧.

(٣) انظر الفقرة الخاصة بعلاقة الحفصيين التجارية مع المدن الإيطالية من هذا
الفصل.

الادنى والاوسط، الا ان ذلك لم يمنعهم من انهم قاموا بتشجيع النشاط الاقتصادي في كافة اتحاء البلاد، ومن الطبيعي ان ينصب اهتمامهم على اقليم المغرب الاقصى حيث مركز حكمه فقاموا ببناء الاسواق في عاصمة ملكهم فاس، ومدينة مراكش وسبتة وغيرها من المدن كما جددوا بعض الاسواق القديمة، واعادة بعض من اصابها الدمار وامنت الطرق التجارية، ورخصت الأسعار وأصلحت أحوال الناس، وخاصة في عهد ابي الحسن علي بن عثمان (٧٣١ هـ - ٧٥٢ هـ / ١٣٣٠ م - ١٣٥١ م)، وأبي عثمان (٧٥٢ هـ - ٧٥٩ هـ / ١٣٥١ - ١٣٥٩) حيث قام الأخير، بإلغاء بعض الضرائب، منها ضريبة الرتب التي كانت تؤخذ بطرق القوافل التجارية^(١).

٢- العوامل الجغرافية :

تشكل بلاد المغرب، وحدة جغرافية مميزة عن بقية اجزاء القارة. وقد كان طبيعة الارض تأثير على مناطق الاستقرار السكاني. وبالتالي في انشطتها الاقتصادية المختلفة.

وفي ضوء تأثير هذه الطبيعة على حركة النشاط الاقتصادي داخل الاسواق يمكننا ان نقسم ارض المغرب الى ثلاثة مناطق رئيسية :-

١- المنطقة الساحلية :-

وهي المنطقة الممتدة على طول شواطئ البحر المتوسط حتى مدينة طنجة، واغلب هذه المناطق سهلة صالحة للزراعة مما جعلها خاضعة للتجمع السكاني^(٢).

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٦٦٣، الصلاوي، الاستبصار، ج ٢، ص ١٠٢.

(٢) عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج ١، ص ٩، سعد زغول، تاريخ

المغرب، ص ١٤، حسن علي، تاريخ المغرب في هصر الولاة، ص ٩.

وبجانب منطقة السهل الساحلي، هناك مناطق سهلية داخلية، وأهمها وادي مجردة بالمغرب الأدنى وسهل وادي شلف بالمغرب الأوسط، وسهل شاوية بالمغرب الأقصى، وقد ساعدت هذه السهول على امتداد الطرق التجارية بين مدن بلاد المغرب المختلفة^(١).

٢- المنطقة الجبلية :-

تخترق بلاد المغرب سلاسل جبلية وهضاب تتخللها مجموعة من الوديان، وتمتد هذه السلاسل من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي. موازية للساحل بوجه عام^(٢)، وتضم هذه المنطقة الأراضي الصالحة للزراعة، وخاصة زراعة الحبوب والفواكه فضلا عن وفرة المراعي التي استغلها السكان في تنمية الثروة الحيوانية^(٣).

٣- المنطقة الصحراوية :-

وتمتد هذه المنطقة من واحات برقة وفزان وزويله ووجلان الى سجلماسة ثم الى وادي درعة حتى المحيط الاطلسي غربا، وعلى الرغم من الصبغة انصحراوية التي حملها هذا الاقليم، فان ينابيع المياه الواحات تنتشر في اغلب المواقع وبفضلها امكن القوافل التجارية ان تخترق الصحراء من ادناها الى اقصاها، فضلا عن الحماية التي وفرتها القبائل المقيمة بهذه المناطق للقوافل التجارية^(٤).

(١) محمد احمد حسونه، اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية، مطبعة النهضة المصرية (مصر، ١٩٦٠)، ص ٥٣.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ١٠٢.

(٣) الادريسي، وصف افريقيا، ص ٤٠، وانظر، العدوي، ابراهيم، تاريخ العالم الاسلامي، عصر التنمية والعطاء، مطبعة جامعة القاهرة (مصر، ١٩٨٤)، ج ٢، ص ٩.

(٤) زغلول، تاريخ المغرب، ص ٦٦، العدوي، تاريخ العالم الاسلامي، ج ٢، ص ٨.

لقد كان لتنوع هذه الطبيعة أثرا في تنوع المحاصيل الزراعية، وبروز ظاهرة التخصص الزراعي داخل المدن، واستخدام بعض هذه المحاصيل كمادة أولية للصناعة المحلية وبالتالي خلفت حرقا عديدة كان يمارسها السكان وخلق هذا التخصص نوعا من حاجة المدن المغربية بعضها لبعض.

كما ان الطبيعة، دللت من صعوبة المواصلات بين المناطق الساحلية والداخلية وعملت على الربط بينهما، فقد أصبحت المنطقة الصحراوية ليست بمعزل عن مناطق المغرب الأخرى، بل ان المناطق الصحراوية قد اخترقتها طرق عدة تربط بين أقاليم المغرب المختلفة وهذا ما سنشير إليه لاحقا.

ومن الجدير بالإشارة، ان للظروف الطبيعية أثرا واضحا في حركة الأسواق، حيث ان موجات البرد او الرياح القوية او اندساس سقوط الأمطار او موجات الآفات الزراعية القاتلة كالجراد، وحالة الجفاف، وغيرها، كانت تؤثر في حركة السلع والبضائع داخل أسواق المدن المغربية، فنتيجة هذه الظروف قد تفقد الكثير من السلع وتزداد اسعار بعضها كثيرا، وبالتالي تؤثر في عملية العرض والطلب داخل الأسواق^(١).

واخيرا لا بد لنا من القول، ان هناك عوامل أخرى ادت دورا مؤثرا في انتعاش وانخفاض حركة الأسواق المغربية، ومنها اختلاف

(١) مزيدا من التفاصيل عن الظروف الطبيعية وما خلفته من آثار سلبية داخل الأسواق، انظر، الفقرة الخامسة بالاسعار، الفصل الثالث من هذه الدراسة.

العملة المغربية وكذلك اختلاف المكييل والاوزان داخل الاسواق، مما سبب اختلافا واختلالا في عملية البيع والشراء^(١).

٣- ثراء الدولة

نستطيع ان ندرك مدى سعة النشاط الاقتصادي في اسواق بلاد المغرب من خلال التعرف على مقدار الرواتب والمنح والمساعدات التي تمنحها الدولة الى موظفيها، العسكريين والمدنيين، والذي لابد ان تنعكس اثاره على عملية البيع والشراء داخل الاسواق.

ففي عهد المرابطين والموحدين، كانت رواتب الجند واعطياتهم تسير بصورة منتظمة، ويطلق عليها المراكشي^(٢) مصطلح البركه، ويقول عنها انها تخرج ثلاث مرات في السنة، مرة كل اربعة اشهر، وقدر راتب الفارسي المرابطي بخمسة دنانير ذهبية^(٣)، بينما كان راتب الجند في العصر الموحيدي يتراوح بين خمسة دنانير وعشرين دينارا^(٤).

وفي العصر المريني كان بعض السلاطين يخصصون للمقربين من الجند ستين مثقالا من الذهب في كل شهر، وثلاثين مثقالا للطبقة التي تليها، الى ان يتناهى الراتب الى اقل الطبقات وهي ستة مثاقيل في الشهر^(٥).

(١) مزيدا من التفاصيل، انظر موضوع النظام النقدي، الفصل الثالث.

(٢) المعجب، ص ٢٩٠، ص ٣٢٢، ص ٣٤٠.

(٣) مجهول، الحل الموشيه، ص ٦٦.

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٤٣٧، ص ٥١٥، ص ٥١٤.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٠٢، بينما كان رواتب الاشياخ الكبار (وهم الذين يرأسون الف جندي)، عشرين ألف مثقال من الذهب في السنة، اما المشايخ الصغار (وهم الذين يرأسون مائة جندي) فرواتبهم عشرة =

أما رواتب موظفي الجهاز الإداري فمعلوماتنا في هذا الجانب قليلة، حيث لم نعرف رواتب موظفي الدولة بصورة تفصيلية، ولدينا إشارة من الغبريني^(١)، إلى أن راتب فقيه مشاور بالديوان في عصر الموحدين كان ألف دينار في السنة.

وفي عهد بني مرين، كان مرتب قاضي القضاة أيام أبي الحسن مثقال من الذهب يوميا، أما كاتب العلامة فراتبه مثقالين من الذهب في كل يوم^(٢)، في حين كان راتب كتابة علف الخيل أيام يعقوب بن عبد الحق ثلاثين مثقال من الفضة في كل شهر^(٣).

أما بالنسبة إلى الاعطيات والمنح والهبات، فالمصادر تشير إلى أن الموحدين كانوا كثيري العطاء للناس^(٤)، وكان بنو مرين يقدمون على بعض الأشخاص بالدينج والهدايا والأموال، حيث كانوا يعطون أحد الشخصيات المعروفة في عهدهم واللقب بابن الفجاج، ألف دينار من الذهب مقسطة على أعمال بلادهم في كل شهر^(٥). وكان أبو عنان لينة

= الألف مثقال في السنة، انظر المنوني، وصف المغرب أيام أبي الحسن المريني. ص ١٤٩، ورفات من الحضارة المرينية، ص ٣٠٥.

(١) عنوان الدراية، ص ٣٨، ص ٣٩.

(٢) المنوني، وصف المغرب أيام أبي الحسن، ص ١٥٣.

(٣) المنوني، ورفات، ص ٣٠٦.

(٤) انظر المن بالامامة، ص ١٥٩، ص ٥٢٥، المعجب، ص ٢٧٩، ص ٣٠٨ فضلا عن الاقطاعات الكثيرة التي منحتها الدولة لبعض فئات معينة من الناس، انظر عنها، المعجب، ص ٢٩٠، ابن سعيد المغربي، ج ٢، ص ٧٧، اخبار المهدي، ص ٥٤، روض القرطاس، ص ٦٣.

(٥) ابن خلدون، يحيى بن محمد، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق الفرد بل (الجزائر، ١٩٠٣)، ج ١، ص ٥٦.

القدر يتصدق بجميع مجابي البلاد ليصرفها على الناس^(١)، وكنتيجة لشراء الدولة المرينية، فقد قدم بعض الحكام قروضا مالية خارجية كبيرة، كالقرض الذي قدمه يعقوب بن عبد الحق الى الفونسوا العاشر ملك قشتالة وكان مبلغه مائة الف دينار ذهباً^(٢).

ثانياً الطرق التي تنقل عبرها السلع والبضائع الى الأسواق المغربية :

تعد الطرق التجارية من العوامل التي ساعدت على انتعاش النشاط الاقتصادي داخل الاسواق المغربية، وكانت هذه الطرق واقعة تحت تأثير المتغيرات الاقتصادية، كالتى تطرأ على مراكز الانتاج الزراعي والصناعي، كما تتأثر بالمتغيرات السياسية، كاختلاف الانظمة الحاكمة او تعرض البلد الى فتن وحروب عسكرية، ويمكن تقسيم هذه الطرق الى قسمين :

١- الطرق الداخلية :

ارتبطت مدن واقاليم بلاد المغرب بطرق داخلية كثيرة، سواء كانت هذه الطرق برية ام بحرية، ساحلية ام داخلية، حيث اثرت بطبيعتها على حركة وصول البضائع والسلع الى داخل الاسواق^(٣). فمن المعروف ان الطرق التجارية في القرون الاربعة الهجرية الاولى، كانت اكثرها

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٦٦٢.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٢٠٥.

(٣) انظر عن هذه الطرق، الخزاعي، كريم عاتي، النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، رسالة ماجستير على الالف الطباعة، بغداد، ١٩٩٣، ص ٢٦٦-١٧٤ والمصادر المعتمدة في ذلك.

طرق ساحلية وداخلية بسبب تركز الانتاج الزراعي والصناعي في المناطق الساحلية.

وفي فترة هذه الدراسة وخاصة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، حدث تغير كبير في هذه الطرق بفعل الهجرة الهلالية لبلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، لم تعد كثيرا من الطرق الداخلية الرابطة بين مدن وإقليم بلاد المغرب تسلك الا نادرا^(١)، ويبرز هذا التأثير في مناطق المغربين الأدنى والأوسط، حيث أصبحت مدينة القيروان عاصمة إفريقية ممرا عابرا بعد ان فقدت كل موضوعاتها الاقتصادية، فيما اختفت قلعة بني حماد في المغرب الاوسط كمركز تجاري^(٢). ومع مجيء الموحدين وفرض سيطرتهم على بعض مناطق إفريقية، بدأوا بإحياء المناطق الداخلية وطرقها التجارية، ونجحوا في ضبط الطرق الساحلية وانتعاشها اقتصاديا، وخاصة الطريق الذي يربط بين تونس في المغرب الاوسط وطرابلس في المغرب الأدنى، وازدهرت بذلك المدن الساحلية كجاية وتونس وطرابلس، مرة أخرى^(٣). اما بالنسبة الى إقليم المغرب الأقصى، فلم تتأثر طرقه الجارية بالهجرة الهلالية، حيث لم يصل الأعراب الى تلك المناطق. ومع مجيء المرابطين الى حكم بلاد المغرب، كانت الطرق الرئيسية، هي أكثرها طرق جبلية وتتركز في أربعة مراكز تجارية، هي

(١) انظر اشارات الادريسي الكثيرة عن هذه الطرق، وكيف ان القوافل التجارية كانت تخشى على نفسها من قطاعي الطرق، نزهة المشتاق ص ٩٣، ص ١٠٣، ص ١٠٧، ص ١٠٩، ص ١١٢، ص ١١٨، ص ١٢٠، ص ١٢٢.

(٢) نزهة المشتاق، ص ٨، ابن سعيد: ابو الحسن المغربي، كتاب الجغرافية، تحقيق اسماعيل العربي، (بيروت، ١٩٧٠)، ص ١٠٩.

(٣) مجهول الاستبصار، ص ١١٠، ص ١١٢، ص ١٢١، ص ١٦٠، ص ١٦٦.

مدينة فاس واغامت وتلمسان وسجلماسة، ومن هذه المدن تنطلق اغلب الطرق التجارية الداخلية منها والخارجية^(١).

وعندما كثر الانتاج ائزراعي والصناعي في المناطق السهلية من هذا الاقليم، تغيرت اوضاع الطرق ايضا، فاصبحت طرقا سهلية متجهة نحو الساحل، فظهر طريق ساحلي يربط دول لمطه وتنس، مع ظهور مدينة سلا كملتقى للطرق السهلية والجبلية والساحلية، فاصبحت اهم مركز تجاري في هذا الاقليم^(٢)، وزادت اهمية هذا الطريق في العصر الموحدى مع بروز مدن منها ازمور وأسفي، وقصر عبد الكريم وسبته^(٣).

وهكذا اصبح طريق الساحل الموحدى يمتد من دول لمطه عبر سبته وبادس ووهران وتنس الى مدينة طرابلس^(٤). وهذا يعنى ان الطرق الساحلية بين مدن واقايم المغرب اصبحت سالكة على عهد الموحدىين للقوافل التجارية. وبنفس الوقت برزت مدينتنا مراكش ومكناسة. واصبحتا مركزا للطرق التجارية الداخلية في اقليم المغرب الاقصى، بعد اختفاء دور مدينة اغامت التجارية^(٥).

(١) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ٧٣، ص ١٧١، ص ١٨٦، ابن سعيد، الجغرافية، ص ١٢٨.

(٢) م، ن، ص ٧١، البيهقي، اخبار المهدي، ص ١١٣.

(٣) ابن سعيد، الجغرافية، ص ١١٥، ص ١٣٩، الاستبصار، ص ١٨٩، وانظر عز الدين موسى، تنظيمات الموحدىين ونظمهم في المغرب، (بيروت، ١٩٦٩) ص ٢٩٤، ص ٢٩٥.

(٤) المراكشي، المعجب، ص ٣٤٩، ص ٣٥٤.

(٥) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ٧٢، ابن سعيد، الجغرافية، ص ١١٧، الاستبصار، ص ١٨٧، ص ١٨٨.

وفي المقابل ظلت مدينتا، فاس وتلمسان منفذا لتجارة المواد والسلع الواردة والصادرة بين المغربيين الأقصى والوسط، وظل الطريق الذي يربط بين فاس وتلمسان عبر تازا، طريقا تجاريا طوال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي^(١).

وظل استعمال الطريق الساحلي الذي يربط المغرب الأقصى بمدن الساحل بين المغربيين الاوسط والادنى مستعملا الى ايام بني مرين وبني حفص، فعلى الرغم من العداء السياسي بينهما، الا ان طريق الساحل الذي انتعش منذ عهد الموحيدين لم يتأثر بهذا الجانب، فقد سلك هذا الطريق ابن بطوطة^(٢) في قافلة تجارية من موطنه طنجة في المغرب الأقصى، مرورا بالوسط، حيث مدينة تلمسان وملياته ثم بجاية، وبعدها يمر بمدن المغرب الادنى، بونه وتونس ثم الى طرابلس.

اما الطرق الساحلية البحرية، التي كانت تربط مدن واقانيم بلاد المغرب المختلفة فنتيجة للهجرة الهلالية لأفريقية والمغرب الاوسط، اصبحت القوافل البرية لا تؤمن على نفسها كما ذكرنا سابقا، عندئذ استخدمت الطرق البحرية بين مدن الساحل، ومع مجيء الموحيدين، ارتبطت مدن الساحل بحرا من طرابلس الى تنس وبرزت مدن عديدة في اهميتها التجارية، كمدينة سوسة وصفاقس والمهدية وتونس وبجاية^(٣).

كما ارتبطت مدن المغرب الأقصى بطرق بحرية ساحلية، بين مدن طنجة واصيلا ونول لمطه، وظهرت مدينة سلا كمركز تجاري

(١) ابن سعيد، الجغرافية، ص ١١٤، الاستبصار، ص ١٨٦.

(٢) الرحلة، ص ١٢، ص ١٧.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ١٠٧، ص ١١١، الاستبصار، ص ١٣٠.

الغبريني، عنوان الدراية، ص ٢١ - ويبدو ان هذا الطريق البحري الساحلي اصبحت مماثلا للطريق البري الساحلي.

للتجارة البحرية، برزت مدينة اسفي والرباط ومراكش في العصرين المرابطي والموحدي^(١).

ولم تستخدم الطرق النهرية الداخلية في النقل التجاري بين اقاليم بلاد المغرب وذلك بسبب طبيعة انهار المغرب، حيث ان اغلبها لم يكن صالحا للملاحة^(٢)، الا ان الموحدين استفادوا من نهر سيو في النقل التجاري^(٣)، ولم يرد ذكر استخدام الطرق النهرية في العصر المريني.

٢- الطرق الخارجية :

ارتبطت بلاد المغرب، بالبلاد الخارجية بطرق تجارية برية وبحرية عديدة فقد ارتبطت مع بلاد المشرق الاسلامي بطرق برية وبحرية، وبما ان الطريق البري مع المشرق في العصر المرابطي، كان يمر على مدن افريقية التي لم تعرف منها، الأمن الذي ادى الى استخدام الطرق البحرية في التجارة بينهما، الا ان هذا الحال قد تغير في العصر الموحي، حيث ظهر طريق ساحلي من مدن اقليم المغرب الأقصى مخترقا المدن الساحلية في المغربين الاوسط والادنى مارا بمدينة طرابلس، ومنها الى مصر وبلاد الشام والعراق^(٤).

- (١) الإدريسي، نزهة، ص ٧٣، ابن سعيد، الجغرافية، ص ١١٥.
- (٢) مزيد! من المعلومات عن انهار المغرب، انظر، البكري، المغرب، ص ٢٩، ص ٥٠، ص ٥١، ص ١٤٠، ص ١٤٤، الإدريسي، نزهة، ص ٣٨، ص ٤٦، ص ٧٢، الاستبصار، ص ١٢١، ص ١٧٣، ص ١٨٥، ص ٢٠٦.
- (٣) م، ن، ص ٣٨، ص ١٦، ابن سعيد، الجغرافية، ص ١٤٠، الاستبصار، ص ٢٠٦، ص ٢٠٩.
- (٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ١٨١، ص ١٨٣، ص ١٨٦، ابن سعيد، الجغرافية، ص ١٢٨، وانظر، البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين (القاهرة، ١٩٤٨)، ج ١، ص ٢٩٥. في اشارة للإدريسي، =

وظل هذا الطريق الساحلي مستخدما في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي حيث يشير القلقشندي^(١)، الى ان هذا الطريق يبدأ من مدينة تونس ثم سوسة والمهدية وصفافس وقابس وطرابلس ومنها الى طجورة وسرته والى سرت ومنها الى طلميثه ثم يدخل الاسكندرية، وقد سلك هذا الطريق ابن بطوطة^(٢)، في رحلته الى المشرق مع قافلة تجارية منطلقا من افكيم المغرب الاقصى.

اما الطرق البرية الرابطة بين بلاد المغرب وبلاد السودان، فقد كانت اغلبها تنطلق من مدينة فاس واغامت وتلمسان، ومن هذه المدن تنطلق الطرق التجارية الى مراكز الخروج الى بلاد السودان، مثل سجلماسة ودرعة وتامدلت ونول لمطة^(٣).

وفي العهد المريني، كانت مدن فاس ومراكش وسجلماسة، مراكز للانطلاق نحو بلاد السودان الغربي، ويبدأ الطريق الاول من سجلماسة اخر مدن المغرب ثم تغازه وايو الاتن التي تعد اول اراضي السودان الغربي^(٤).

والطريق الثاني يبدأ من فاس الى مراكش ثم الى اودنمست وفاته، والطريق الثالث يبدأ من سجلماسة الى تغازي ثم الى تمبكتو^(٥).

= يذكر فيها ان المرابطين ربطوا سجلماسة بالبهنسا في مصر سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م بطريق صحراوي قليل ماؤه لا يسلك الا بدليل نزهة المشتاق، ص ١٦٢، ص ١٦٣، ابن الزيات، التشفوف، ص ١١٨.

(١) صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٠٧.

(٢) الرحلة، ص ١٢، ص ١٧.

(٣) الادريسي، نزهة، ص ٥٩، ص ٦١، ص ١٨٦، ص ١٨٣، ص ١٨٦.

(٤) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٦٧٤، ص ٦٧٧.

(٥) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٦٧٢، ص ٦٧٧.

أما الطرق البحرية الخارجية، فمن المعروف، أن النقل البري بين المغربين الأوسط والادنى في بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، كانت تعيقه بعض المضاعبات التي تركها الهلاليون في هذه المناطق الأمر الذي جعل النقل البحري أمرا ميسورا، فارتبطت أسواق المدن الساحلية في بينات المغرب بطريق بحري ساحلي كما ذكرنا سابقا، وكثيرا ما كان يستخدم هذا الطريق البحري مع المشرق الإسلامي، حيث أن العديد من السفن التجارية المنطلقة من أسواق مدن ساحل المغرب الأقصى كسبته وطنجة كانت تمر على أسواق المدن الساحلية في إقليم المغرب الأدنى، منها إلى الموانئ المصرية. وبنفس الوقت استخدمت هذه الطرق لنقل السلع والبضائع من الأسواق المغربية إلى مدن أوروبا، وخاصة المدن الإيطالية، وبرزت في هذا المجال موانئ مدن المغرب الأدنى في سوسة وصفاقس وتونس^(١)، وازدادت أهمية أسواق هذه المدن في العهد الحفصي، وأصبح الاتصال البحري بين بلاد المغرب وأوروبا من جهة وبلاد المغرب والمشرق من جهة أخرى أكثر كثافة في عهد الحفصيين وكانت طرابلس نقطة الانطلاق للسفن التجارية المحملة بالبضائع والسلع من الأسواق المغربية إلى الإسكندرية ومنها إلى موانئ بلاد الشام^(٢).

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ١٠٧، ص ١١١، القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٠٥، البيهقي، اخبار المهدي، ص ٥٧، ابن الزيات، للتشوق، ص ١٧٩، ومن الجدير بالاشارة إلى أن أغلب موانئ مدن المغرب الأدنى، كان لها اتصال مع موانئ الاندلس، انظر نزهة المشتاق، ص ١٠٨، ص ١١٠.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٠٦، وانظر، العمري، تاريخ المغرب، ص ١٧٥-١٧٦.

وفي اشارة فريدة من النويري الاسكندراني^(١)، يذكر فيها ان سفن المغاربة كانت تصل الى موانئ بلاد الشام، مثل طرابلس وصيدا، وبيروت وذلك في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، ويبدو ان هذه السفن كانت تسير بمحاذاة الساحل الى مصر ومنها تنطلق الى الموانئ الشامية.

ومن الملاحظ، ان الطرق البحرية التي سلكها التجار لنقل البضائع الى المشرق الاسلامي سواء كان الى مصر او الى بلاد الشام او العراق، ظلت نشطة طوال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي^(٢)، حيث ان انتشار الموانئ الساحلية المغربية على طول ساحل البحر المتوسط والمحيط الاطلسي، جعل امر النقل البحري بين بلاد المغرب والبلدان الخارجية امرا ميسورا^(٣).

(١) النويري الاسكندراني، محمد بن القاسم بن محمد، الامام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في موقعة الاسكندرية، تحقيق اوتين كومت، واتمه سوريلان عطيه، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد، الركن، بلا)، ج ٤، ص ٢٣٥.

(٢) انظر عن استمرار استخدام هذه الطرق بالتجارة مع المشرق الاسلامي، ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص ٢٣٢، ابن بطوطة، للرحلة، ص ٦٥٦.

(٣) عن استخدام الموانئ المغربية في النقل البحري التجاري في العصر المرابطي. انظر الادريسي، نزهة، ص ١٦٨، وعن استخدامها في العصر الموحيدي، انظر المراكشي، المعجب، ص ٣١١، وعز الدين موسى، تنظيمات الموحدين، ص ٣٠٩، وعن فترة المرينيين، انظر، ابن جبير، ابا الحسين محمد بن احمد، رحلة ابن جبير، دار صادر (بيروت، ١٩٥٩)، ص ٧، ص ٨، وعن اهمية موانئ مدن المغرب الأقصى الساحلية كميناء طنجة وسبتة وسلا والرباط مع اوربا، انظر صابر ذياب دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، السنة ١٩٧٧، ص ٦٩، ص ٧٠.

ثالثا - صادرات وواردات الأسواق المغربية :-

١- انتقال السلع والبضائع بين أسواق المدن المغربية :

كانت السلع والبضائع، تنتقل بين المدن المغربية واسواقها، وحسب حاجة السوق من تلك السلعة او البضاعة، سواء كانت داخل الاقليم الواحد او بين بينات المغرب الثلاثة، وان سهولة هذا الانتقال للسلع والبضائع كان من عوامل ازدهار الاسواق المغربية.

ففي العصر المرابطي الموحيدي، كانت مدن المغرب الادنى (افريقية)، تستورد من المغربيين الاوسط والاقصى، السكر والزيت (الشب والنحاس)^(١)، كما استوردت القمح من مدينة وهران وسبته^(٢)، وكانت افريقية بالمقابل تصدر الى اسواق المدن الاخرى المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية الغالية الاتمان^(٣)، وخاصة انفسنق انققصي الشهير^(٤)، وجلود الفناد^(٥).

كما انتقلت الخيول العربية الاصيل في العصر الموحيدي بين مدن المغرب فعبد المؤمن بن علي امر باستجلاب الخيل له من..... العدو وافريقية، اما ابنه فقد امدته افريقية عام (٥٦٦هـ / ١١٧٠م) بأربعة

(١) ابن سعيد، الجغرافية، ص ١١٧.

(2) Jrujer , H. C. The wares of exchange in the Genocse
- African of the tweifth century Speculum. 1937 ,
XII , N.I.P. 70.

نقلا عن عز الدين موسى. تنظيمات الموحيدين، ص ٣٠٨.

(٣) الادريسي. نزهة المشتاق ، ص ١٢٥ ، ابن سعيد ، الجغرافية. ص ١٠٨،
ص ١٠٩.

(٤) ابن سعيد. الجغرافية، ص ١٥٧.

(٥) مجهول الاستبصار، ص ١٥٧.

الآف فرس، ومن تلمسان بألف فرس، يصفها بن صاحب الصلاة^(١) بانها من الخيل العتاق الاحساب المدربة عند الاعراب، وفي عهد المنصور الموحي مدته مدينة تلمسان سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) بثمانمائة فرس، معونه لاهل الاندلس^(٢). وسيطرت القبائل على التبادل التجاري بين اسواق مدن المغرب الأدنى، حيث احتكروا تموين مرسى الخزر بما تحتاجه من الاغذية مقابل ما تنتجه من صيد المرجان الذي كان يصدر الى جميع الجهات، كما آلت اليهم تجارة مدينة بونه في افريقية وما تحققه من ارباح، وامدوا مدينة تونس بما تحتاجه من الحبوب والعسل والسمن، وشاركوا تجار قسنطينة فيما يتجرون حتى غنت اسواقها وتجارها^(٣).

كما امتدت مدينة تلمسان المدن المغربية الاخرى بانواع الثياب الصوفية المفضلة على جنسها المصنوع بالمدن المغربية^(٤).

وراجت في العهد الحفصي في افريقية الحركة التجارية، حيث كانت التمور تستورد من مناطق الجنوب التونسي وخاصة من بلاد الجرب، وكذلك الزيت من جزيرة جربة^(٥)، واشتهرت مدينة جربة بتينها واخذت تمد المغرب بانواع مختلفة منه^(٦) كما انها اشتهرت بانواع مختلفة من التفاح حيث كان يصل الى جميع المدن الافريقية لطيب

(١) المن بالامامة، ص ٢١٥.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٧٧.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ٩٤، ص ١١١، ص ١١٦، ص ١١٧، ص ١٢١.

(٤) ابن سعيد، الجغرافية، ص ١٤٠.

(٥) العامري، تاريخ المغرب، ص ١٧٥.

(٦) العبدري، محمد بن محمد بن علي، رحلة العبدري، تحقيق، محمد الفاسي،

(الرباط، ١٩٦٨)، ص ٢٣٦، ص ٢٣٧.

رائحته وحلو مذاقه^(١). ويؤكد التجاني^(٢)، ذلك بقوله " وتفاحها لا يوجد في جميع بقاع الارض له نظير "، وصدرت جربة الى تونس قماش الصوف والزبيب^(٣)، وانتشرت الثياب السوسية في سائر بلاد المغرب^(٤). وفي العصر المريني، وردتنا اشارة تفيد بان ضمن عطايا، ابي الحسن وابي عنان ثياب من صنع الاسكندرية تذهب الى مدينة تونس^(٥)، وتصل هذه الثياب الى مدينة تلمسان عاصمة بني عبد الواد^(٦)، وهذا يعني ان هناك تبادل تجاري بين مركز السلطة في العصر المريني المتمثل بمدينة فاس، وعواصم الاقاليم الاخرى، كمدينة تونس وتلمسان، ويعني ان اختلاف الانظمة السياسية في بينات المغرب الثلاثة لم يؤثر على سياسة التبادل التجاري بين مدن واقاليم بلاد المغرب، حيث كان التبادل التجاري الداخلي نشطا في عهد المرينيين، وعلى هذا الاساس استقبلت فاس بعض المواد التي تدخل في مجال صناعاتها مثل النبله من درعة^(٧). وتادنست في اقليم حاحا^(٨)، وكذلك الزيت والنحاس والسكر

(١) الوزان، وصف أفريقيا، ج ١، ص ٢٣٧.

(٢) الرحلة، ص ١٢٢.

(٣) م، ن، ج ١، ص ٩٤.

(٤) م، ن، ج ١، ص ٩٢، ص ٩٥.

(٥) المنوني، محمد، وصف المغرب ايام ابي الحسن المريني، مجلة البحث العلمي، العدد الاول، السنة الاولى، ص ١٤٩.

(٦) ابن مرزوق، محمد بن احمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مائر ومحاسن مولانا ابي الحسن، تحقيق ماري خيسوس، مراجعة واعداد الشركة الوطنية للنشر والاعلان (الجزائر، ١٩٨١)، ص ١٢.

(٧) الوزان، وصف أفريقيا، ج ١، ص ١٩٢.

(٨) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٦٧.

من مراكش^(١)، في حين انتقلت منتجات مدينة فاس الى سائر انحاء بلاد المغرب^(٢)، كما راجت السفاري التلمسانية المشهورة بنوعيتها المعروفة المخبتم وغير المخبتم (ويقصد به وحيد اللون او المتعدد الالوان)^(٣)، المصنوعين من الصوف والحريز في ارجاء المغرب لتفضيل المرينيين لها على غيره من الاقمشة، وكذلك مصنوعات من عدة الخيل كالسروج^(٤).

ومن جانب اخر استقبلت مدينة سبتة القمح والاضنام لندرتها في ارضها^(٥). في حين ارسلت فواكهها وصناعاتها النحاسية الاخرى بدلا عنها الى سائر مدن المغرب^(٦)، وتبادلت سجلماصة وتاجرت بتمرهما في سائر مدن المغرب لندرة مثله فيهما^(٧).

٢- صادرات اسواق بلاد المغرب الخارجية ووارداتها :-

أ- صادرات اسواق بلاد المغرب الى الاندلس ووارداتها :-

كانت بلاد الاندلس في العصر المرابطي والموحدي، تابعة سياسيا لبلاد المغرب، بعد ان سيطر المرابطين والموحدين على اغلب

(١) الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر، الجغرافية. تحقيق محمد اناج صادق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (دمشق، ١٩٥٨)، ص ١٩١.

(٢) روجيه، قاس في عصر بني مرين، ص ١٣٧.

(٣) برانشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر الى نهاية القرن الخامس عشر (بيروت، ١٩٨٨)، ج ١، ص ٢٤١.

(٤) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص ١٢٩.

(٥) العمري مسالك الابصار، ص ١٣٧.

(٦) الانصاري، اختصار الاخبار، ص ٣٦، ص ٥٣.

(٧) العمري، مسالك الابصار، ص ١٣٩.

مدنها، ومن الطبيعي ان يكون التبادل التجاري بين الاسواق المغربية والاندلسية نشطا، حيث كان تبادلا داخليا اكثر منه خارجيا.

لقد كانت اسواق المغرب الادنى (افريقية) في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، تصدر الى بلاد الاندلس، المنسوجات الكتانية والصوف والثياب الغالية^(١)، وجلود الفئك والخيول والمرجان^(٢)، وكانت اسواق تلمسان تصدر الى الاندلس القمح والشعير بكميات كبيرة^(٣). وكذلك السكر والتمر والنيل، والشب والنحاس واكسية الصوف، ودوات سروج الخيل والاعنام^(٤). كما مدت اسواق مدن المغرب الاقصى، الاندلس بأنواع الطعام^(٥)، فمن مرسى فضالة (المحمدية) كانت ترد المراكب الاندلسية فتحمل الحنطة والشعير والبقول والحمص، فضلا عن الماعز والغنم والبقر^(٦).

(١) الإدريسي، وصف إفريقيا، ص ١٢٥. ابن سعيد: الجغرافية، ص ١٠٨، ص ١٠٩.

(٢) ابن سعيد، الجغرافية، ص ١٠٨.

(٣) الإدريسي، وصف إفريقيا، ص ٧١، ص ٧٢، ص ٧٤، ص ٨٠، ص ٨٣. ابن سعيد، الجغرافية، ص ٧٣، الاستبصار، ص ١٣٢، ص ١٧٤، ص ١٨٩، وكانت مدينة المربة الاندلسية تجلب الفواكه من مدينة بجاية في المغرب، الاوسط، انظر، عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المربة، ص ١٦٨.

(٤) الاستبصار، ص ١١٧، وانظر، ابن سعيد، الجغرافية، ص ١١٧، ص ١١٨، ص ١١٩.

(٥) كان الطعام يرد بكميات كبيرة الى الاندلس، من مدن المغرب المختلفة، وذلك خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، انظر ابن حوقل، صورة الارض، ص ٨٣، ص ٨٧.

(٦) الإدريسي، وصف إفريقيا، ص ٤٨.

وفي عهد المرينيين استقبلت أسواق غرناطة، الحبوب والتمور والموز والسكر بكميات كبيرة من الاسواق المغربية^(١).
اما واردات اسواق بلاد المغرب من الادلس، فهي كثير ومتنوعة، فقد كانت الادلس تمد الاسواق المغربية، بعدد من المواد الضرورية للسكان، فأسواق افريقيا (المغرب الادنى) في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي كانت تستورد بعض المواد الخام من الادلس فضلا عن الكتان والحرير وادوات الصباغة، مثل الزعفران والقرمز والزنبق والكبريت الاحمر^(٢). كما ان التين والموز كان يصدر من مدينة اشبيلة الى سائر مدن بلاد المغرب^(٣)، كذلك كانت مدينة اشبيلية تجهز اسواق بلاد المغرب بالزنبق والفواكه والقطن^(٤)، وامتد مدينة المرية الامدلسية مدن المغرب الاقصى بالحصى الملون الذي كان الرؤساء والامراء يماركش يستوردونه ليتزينوا به^(٥). واستقبلت الاسواق المغربية المنسوجات التي اشتهرت بها مدينة بلنسية^(٦).

- (١) العمري، مسالك الابصار، ص ١٦٠، المقرئ، نفح الطيب، ج ١، ص ١٩٨.
- (٢) ابن سعيد، الجغرافية، ص ٩٦، ص ٢٤٩، المقرئ، نفح الطيب، ج ١، ص ١٤٦.
- (٣) م، ز، ص ٩٣، وانظر، مسائل بن رشد، تحقيق ودراسة محمد بن الحبيب لنيل درجة الماجستير في الفقه الاسلامي، جامعة القرويين، ١٩٧٧، ص ٩٥، عن الهرفي سلامة محمد سليمان دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة (بيروت، ١٩٨٥)، ص ٢٨٥.
- (٤) الادريسي، وصف افريقية، ص ٧١، ص ٧٢، ص ٨٠، ص ٨٣، ابن سعيد، الجغرافية، ص ٧٣، وانظر، الحميري، الروض المعطار، ص ٢١.
- (٥) المقرئ، نفح الطيب، ج ٤، ص ٢٠٦.
- (٦) م، ن، ج ٤، ص ٢٠٧.

ويشير المقرئ^(١)، الى عدد آخر من المواد التي تستوردها اسواق المغرب من الاندلس ومنها الادوات الخشبية، وادوات الموسيقى، والمصنوعات المعدنية، وخاصة الذهبية منها، والوشى المذهب، والبسط، والزيت.

وفي عهد المرينيين، كانت اسواق المغرب تستورد من بعض المدن الاندلسية وخاصة من مالقة والمرية، بعض الثياب الغالية الاثمان الموشاة بالذهب^(٢). واستوردت الاسواق المرينية من غرناطة التين والفراء^(٣).

ويبدو لنا ان الاندلس كانت تمثل المصدر الرئيسي للسلع الواردة الى الاسواق المغربية في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وخاصة المواد المصنعة التي كان السكان يأمس الحاجة اليها، بينما نلاحظ ان المواد الغذائية، كانت في مقدمة السلع التي استقبلتها الاسواق الاندلسية من المغرب، الا ان هذا الحال قد تغير في عهد المرينيين، حيث ان اغلب المدن الاندلسية، سقطت بيد الممالك الاسبانية، باستثناء مملكة غرناطة ومن الطبيعي ان العلاقات السياسية بينهما كانت متوترة ومع ذلك فقد كانت هناك علاقات تجارية بينهما، والكلام عنها في مجال العلاقات التجارية مع الممالك الاسبانية اولى.

(١) المقرئ، نفح الطيب، ج ٣، ص ٢٠١، ص ٢١٣، ص ٢١٤. القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢١٩.

(٢) النمبري، فيض العياب، ص ٨٤، ص ٩٤. عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٩، ص ١٦٠.

(٣) البادسي، عبد الحق بن اسماعيل، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بعلماء الريف، تحقيق احمد اعراب، المطبعة الملكية، (الرباط، ١٩٨٢)، ص ٨٩، وانظر، المقرئ ن نفح الطيب، ج ١، ص ١٩٨.

ب- صادرات أسواق المغرب الى المشرق ووارداتها :-

اتسمت العلاقات المغربية الاقتصادية في فترة هذه الدراسة مع بلدان المشرق الإسلامي بسمات خاصة، سواء كان مع مصر ام بلاد الشام والعراق. ففي عهد المرابطين والموحدين، كانت اسواق مدن افريقية تصدر العديد من المواد الأولية والصناعية، وكذلك المواد الغذائية، فالادريسي^(١) يشير في زمنه الى ان اسواق مدينة برقه " كانت عامرة والتجارة بها قاصدة: فذباغة الجلود البقرية التمور الواصلة اليها من اوجله يتجهز منها في المراكب، والمسافرون الواصلون اليها من الاسكندرية وارض مصر بالصوف "، وكذلك حصن ظلميثة " فهو عامر بالناس والمراكب تقصد اليه بالمتاع الحسن من القطن والكنان ويتجهز منه بالصل والقطران والسمن في المراكب الواصلة اليه من الاسكندرية^(٢) ، ومن مدينة اوجله الافريقية يحمل حب اللوز الى الاسكندرية فيتعجب الناظر منه^(٣). ووصل الفستق القفصي الى مصر^(٤)، وكذلك الزيت الصفاقسي^(٥)، والثياب النفراوية التي كانت تجد لها سوقا رانجا في مصر^(٦).

(١) الوزان ، وصف افريقيا، ص ٩٨.

(٢) الوزان، ص ١٠.

(٣) ابن سعيد، الجغرافية، ص ١٢٨.

(٤) مجهول الاستبصار، ص ١٥٤.

(٥) الادريسي، وصف، ص ١٠٧، الاستبصار، ص ١١٦، ص ١١٧.

(٦) الاستبصار، ص ١١٧، كما صدرت المدن المغربية الى سوريا القمح، انظر

Kruger. H.. G. The wares. P.20.

وخلال فترة حكم الحفصيين لأفريقية، كانت بعض السلع تصل الى مصر، فقد وصلت الثياب الصوفية والزييب من جزيرة جربة الى الاسكندرية^(١).

كما صدرت تونس الحرير الثمين الى مصر ايضا^(٢)، وروى الزياتي^(٣)، ان في مدينة برقه تمر كان يحمل الى مصر، واستقبلت الاسكندرية النسيج والصوف من جزيرة جربة.

اما صادرات المرينيين الى بلاد المشرق، فقد وجدت اشارات تفيد انتقال منتجات المغرب الى اسواق المشرق، وخاصة الجزيرة العربية، ففي سوق مسيل الواقع بين الصفا والمروة، كانت البضائع المغربية من بين السلع المعروضة فيه^(٤)، كما ان مصر وبلاد الشام استقبلت من المرينيين انواع الاقمشة الفاخرة، وكذلك الحلى الذهبية التي كانت تصل الى مصر والحجاز^(٥). ومن الجدير بالاشارة الى ان هناك العديد من السفارات بين المرينيين، والمماليك، وكتبت تحمل خلال هذه السفارات بضائع وسلع متنوعة، كهدايا لحكام الدولتين، ومن اشهر الهدايا، هي التي ارسلها يوسف بن يعقوب المريني (٦٨٥هـ -

(١) الوزان، وصف افريقيا، ج ١، ص ٩٤، وانظر اشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في العصور الوسطى، دار فتيبة، (دمشق، ١٩٨٥)، ص ٣٩٨.

(٢) ناصر خسرو، ص ٤١، ص ٤٢.

(٣) الزياتي، الترجمات الكبرى، ص ٦٩.

(٤) البلوي، خالد بن عيسى، تاريخ المشرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد السانج، نشر اللجنة المشتركة لنشر القرآن (المحمدية، بلا)، ج ١، ص ٢٠٧.

(٥) العمري، مسالك الابصار، ص ٩٨، روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص ١٣٩.

٧٠٦هـ / ١٢٨٦-١٣٠٧م)، الى الناصر بن قلاوون، وكانت تحتوي على عدد كبير من الخيول والبغال والحمير وكثير من ماعون بلاد المغرب وسائر طرفه مع جملة من الذهب العين^(١).

وفي عهد ابي الحسن المريني (٧٣١هـ - ٧٥٢هـ / ١٣٣١م - ١٣٥١م)، ارسلت هدية الى الملك الناصر وتحتوي على كل شيء عن اثنى ما اشتهرت به بلاد المغرب، وما تحتويه خزائن حكامها من اللؤلؤ والياقوت، وانواع الاقمشة الفاخرة وانواع الحرير المذهب، وعدد كبير من الخيل والبغال^(٢).

اما واردات اسواق المغرب من المشرق الاسلامي، فهي كثيرة ايضا، خاصة في عهد المرينيين الذين كانت علاقتهم مع بلدان المشرق علاقات طيبة، خاصة مع مصر، وبلاد الشام والعراق وقد انعكس اثرها على العلاقات التجارية.

فخلال عصر المرابطين والموحدين، كانت الاسواق المغربية تستورد فستق الشام الذي كان يصل الى جميع مدن المغرب. كذلك ماء الورد الذي كان يرد من مصر^(٣)، وكانت الاقمشة المذهبة المنقوشة ترد من مدينة تنيس المصرية^(٤).

وكذلك من العراق وخرسان واليمن^(٥). وفي عهد الحفصيين، اورد لنا جوليان^(٦)، قائمة كبيرة بواردات افريقية وما تستورده اسواقها

(١) ابن ابي زرع. روض القرطاس. ص ٢٨٥. وانظر، محمد بن تاويت الطنجي.

التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، (القاهرة، ١٩٧١)، ص ٣٧٣.

(٢) انظر محتوى هذه الهدية لكبير، ابن خلدون. العبر، ج ٧، ص ٢٦٧ فما بعدها.

(٣) الاستبصار، ص ١٥٤.

(٤) الاريسي، نزهة المشتاق، ص ١٥٦، ابن سعيد، الجغرافية، ص ٥٠.

(٥) ابن سعيد، الجغرافية، ص ٦٠، ص ١١٤، ص ١٤٤.

من المشرق، حيث اشارة الى ان الحفصيين كانوا يوردون الحبوب عند الاضطراب والخمور وبعض الطيور القناص والبلور والطور والخشب المصقوع، والمعادن، والاسلحة، والتوابل والحشائش الطبية، والكتان والحريير والقطن واقشمة متنوعة وحلي ذهبية.

واستورد المرينيون من المشرق العديد من السلع الكمالية، فمن العراق اثواب البديعة، وخاصة الحرير منها، واثواب اخرى كانت تستخدمها الساء كالقسي العربية^(١)، كما جلبوا من العراق المسك والزجاج^(٢). اما المستورد من مصر وبلاد الشام، فيأتي في مقدمتها عدد من المواد، الكمالية، كالقمائن الابيض المصنوع في مدينة الاسكندرية^(٣)، كما استورد، المرينيون القطن الحلبي، التي وصلت كميات منه الى الاسواق المغربية، وخاصة الى اسواق مدينة سبتة^(٤).

وصدرت الشام والاسكندرية في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. الحرير والمطرزات والمقصبات الى بلاد المغرب^(٥). وصدرت بلاد الشام الاغطية الى اقصى بلاد المغرب^(٦).

(١) تاريخ افريقية الشمالية، ج ٢، ص ١٩٥. ص ١٩٦.

(٢) النميري، فيض العتاب، ص ٦٢، ص ٨٤، الجزناني، زهرة الآس، ص ٥٨.

(٣) ابن الحاج، ابو عبد الله محمد بن عبد الله، المدخل الى تنمية الاعمال بتحسين الثبات والثنيه على بعض البدع والعوائد التي اتحللت وبيان شناعتها وقبحها، طبع على نفقة مطبعة الباجي الكتبي، المطبعة الشريفة (القاهرة، ١٣٢٠ هـ)، ج ٣، ص ٦٨، ص ٦٩. النميري، فيض العتاب، ص ٦٨.

(٤) ابن الحاج، المدخل، ج ٣، ص ٦٨.

(٥) ابن سعيد، الجغرافية، ص ١٥٤.

(٦) اشتور، التاريخ الاقتصادي للمشرق الأقصى، ص ٢٤٨.

(٧) النميري، فيض العتاب، ص ٦٢، ص ٨٤، الجزناني، زهرة الآس، ص ٥٨.

واستورد المرينيون من بلاد اليمن القماش والجوخ المتعدد الألوان^(١)، ومن الهند استوردوا العطر الهندي، وخاصة الى مدينة فاس المشهورة اسواقها بكثرة العطور^(٢)، وكذلك الفلفل الهندي، والقرنفل^(٣)، ومن الطبيعي ان تكون هذه السلع المستوردة قد انعشت الاسواق المغربية وزادت من عملية البيع والشراء.

ج- صادرات الاسواق المغربية الى السودان ووارداتها :-

ان الصلات التجارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان ترجع الى عهود قديمة وكان لظهور الاسلام ونشره في تلك المناطق عاملا مهما على استمرار وازدهار العلاقات التجارية بين المغرب وبلاد السودان، والتي كانت نشطة خلال فترة دراستنا.

فالادريسي^(١)، ياتي بمعلومات مهمة حول ممارسة سكان مدينة اغمات في العصر المرابطي التجارة مع بلاد السودان، حيث يقول " وهم (أي سكان مدينة اغمات) املياء، تجار مياسير يدخلون الى بلاد السودان باعداد الجمال الحاملة لقناطر الاموال من النحاس الاحمر والملون والاكسية، وثياب الصوف والعنائم والمأزر، وصنوف النظم من الزجاج والاصداق والاحجار وضروب من الاقاوية والعطر وآلات الحديد

(١) فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ترجمة انيس فريجه، دار النشر والطباعة (بيروت، ١٩٥٩)، ص ٤١٣.

(٢) المراكشي، المعجب، ص ٢٤٢.

(٣) القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٢٣.

(٤) نزهة المشتاق، ص ٢٣٢، الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦.

المصنوع... ولم يكن في دولة الملتزمين احد اكثر منهم اموالا ولا اوسع منهم حالا .

كما ان القمح كان يصدر من اسواق مدن المغرب الأقصى الى السودان في العصر الموحيدي^(١)، وكذلك الزبيب والتمر، حيث كانا يبعثان الى السودان من اسواق اقليم السوس^(٢)، وكانت ترسل الثياب الحريرية والكتانية من المغرب الى السودان^(٣)، في حين وصل المرجان السبتي، وكذلك الخرز والودع الى مناطق مختلفة من بلاد السودان^(٤).

وفي عهد المرينيين، اتسعت صادرات بلاد المغرب الى السودان، وخاصة من المواد الغذائية التي كانت تحتل المرتبة الاولى في قائمة الصادرات المرينية الى بلاد السودان، باعتبار ان المغرب فسي عهد المرينيين، قد شهد فائضا كبيرا في اغلب اسواق مدنه، فاصبحت الكثير من المواد الفلاحية بضائع اساسية في قائمة التبادل التجاري، ولاسيما للتجارة الصحراوية^(٥). وتأتي في مقدمة المواد الغذائية، التمور التي اشتهرت بها مدينة سبلماسة والتي اعتبرها ابن الخطيب^(٦)، ام البلدان المجاورة لحدود السودان^(٧)، وكانت هذه المادة تصل الى بلاد السودان وتلقى هناك سوقا رائجا، ولا سيما في المناطق الفقيرة فيها مثل نفازي

(١) ابن سعيد، الجغرافية، ص ١١٧.

(٢) م، ن، ص ١١٧، ص ١٢٤.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ١٦٨، ابن سعيد، الجغرافية، ص ١١٨، ص ١٢٤، ص ١٢٧، القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٨٦.

(٤) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ١٦٨، ص ١٦٩، ابن سعيد، الجغرافية، ص ١٢٧، الاستبصار، ص ١٢٦.

(٥) الجنحاتي، المغرب الاسلامي، ص ٣٤.

(٦) ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص ١٨٦.

التي كان سكانها "يعيشون بما يجلب اليهم من تمر درعة وسجلماسة"^(١)، كما ان الملح المتوفر في الصحراء المغربية، كان من المواد المهمة في قائمة الصادرات المرينية الى بلاد السودان فضلا عن اللحوم والزيت^(٢).

لقد وجد التجار المغاربة في السودان سوقا رائجا لخيولهم، على اعتبار ان الخيول وان توفرت في السودان فهي "اقطار غير سابقة"^(٣)، فضلا عن ارتفاع اثمانها اذ كان يساوي احدهما مائة مثقال^(٤).

وراجت المواد الكمالية والثياب المغربية داخل بلاد السودان الغربي والاطوسط، حيث ان المدن القائمة عند منحني نهر النيجر مثل غوا وتمبكتو، كانت تستقبل انواع من الكماليات المغربية وتباع في اسواقها، فضلا عن الزجاج وانواع الاقمشة والمنسوجات^(٥)، ولاسيما من مدينة فاس او من اقليم حاحا التي كان يصنع فيه الكثير من قطع الثياب الصغيرة التي يحملها النجار... مرة في السنة الى تمبكتو^(٦)، كما ان النحاس والرخام والفضة كانت من جملة المواد المرينية المصدرة الى بلاد السودان^(٧).

اما واردات المغرب من السودان، فيأتي في مقدمتها الذهب السوداني، حيث تمثل السودان الغربي لبلاد المغرب (خزانة الذهب)،

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٧٧٣.

(٢) م. ن، ص ٦٧٤، ص ٧٧٣.

(٣) ابن سعيد، الجغرافية، ص ٩١.

(٤) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٧٩٢.

(٥) روجيه، فاس، ص ١٢٠.

(٦) الوزان، وصف افريقيا، ج ١، ص ٩٥.

(٧) ابن سعيد، الجغرافية، ص ١٤١.

وكان لهذه التجارة أثرا واضحا في انتعاش اقتصاديات الحكومات المغربية.

وبالرغم من الصعوبات التي واجهت التجارة بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال العصر الموحدى، بسبب وجود قبائل الملمنين في الصحراء ومنعهم للقوافل التجارية المارة عبر الطريق الغربى، ولكن هذا لم يمنع من تدفق الذهب السودانى على المدن المغربية، فضلا عن جلود الفئك واللمط والعاج والابنوس والشب^(١).

وفى عهد المرينيين ازداد تدفق الذهب السودانى على بلادهم، حيث قدر احد الباحثين كمية الذهب المستورد من السودان خلال القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى، اربعة ملايين فى السنة، معتمدا فى ذلك على سرعة الحمولة للقوافل التي كانت تقطع ما بين ٣٠-٤٠ كم فى اليوم، ويحمل فيها اكثر من ٢٠ كغم على ظهر كل جمل^(٢). وفضلا عن الذهب، استمر تدفق بعض البضائع السودانية الى المرينيين، ومنها الشب والصمغ والاخشاب والجلود^(٣). ويبدو ان هذا الباحث قد بالغ بارقام هذه الاحصائية.

٣- صادرات بلاد المغرب الى اوروبا ووارداتها :-

أ- صادرات اسواق المغرب الى ايطاليا ووارداتها :-

تأتى ايطاليا فى مقدمة الدول الاوربية التي تعاملت مع دول المغرب بوجه عام، حيث بدأ اهتمام الايطاليين ببلاد المغرب منذ القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، أى فى عهد المرابطين، لان

(١) م، ن، ص ١١٨، الاستبصار، ص ٢١٤، ص ٢١٥.

(2) Chaunu. P. L. expansion Européenne du 13 au 150
Siccle P.4 F. Paris - 1966 P.137.

(٣) القلشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٨٦.

التجارة الخارجية للمرابطين واجهت صعوبات كثيرة كما اشرنا من قبل، وخاصة مع الممالك الاسبانية، مما جعل التجارة معهم لا تزدهر الا في سنوات الهدنة^(١). واما مصر الفاطمية، فقد كانت سينة الظن بالمغاربة الذين اعترفوا بالعباسيين، حتى ان بدر الجمالي كان يضيق كثيرا على قوافل الحج المغربية وكذلك على التجار المغربية^(٢).

ولم يبق امام المرابطين، وامام هذه الظروف سوى التعامل التجاري مع صقلية والمدن الايطالية، التي بسطت سيطرتها على البحر المتوسط عند مجيء المرابطين للحكم، وذلك بسبب ضعف القوة البحرية العربية، وخاصة في سواحل المدن الافريقية نتيجة الهجرة الهلالية لتلك المنطقة، وعقد المرابطون معهم عدة اتفاقيات، خاصة مع مدن بيزه وجنود في عامي (٥٣١ هـ / ١١٣٧ م) وفي (٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م). وتشجيعا منهم للنجارة في بلاد المغرب لم يأخذ المرابطون غير العشر (١٠ %) على البضائع والسلع الايطالية^(٣).

وفي عهد الموحيدين، كانت العلاقات التجارية على عهدهم تعاني من بعض المشاكل وخاصة مع السودان كما اشرنا من قبل. فضلا عن الحروب الطاحنة التي سنها الموحدون على نصارى اسبانيا كانت لا تشجع على قيام التجارة معهم، بينما لم تكن علاقة الموحيدين بمصر على ما يرام سواء مع الفاطميين ومن بعدهم الايوبيين^(٤).

(١) انظر، امثلة ذلك، ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٩١، ص ٩٢.

(٢) ابن الاثير، ابو الحسن عز الدين الجزري، الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت، ١٩٦٧)، ج ١٠، ص ٤١٤ وانظر، ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٠٠.

(٣) Mas. Latric , Op. Cit, P.37-49.

(٤) عز الدين موسى، تنظيمات الموحيدين، ص ٥٦.

وكما فعل المرابطون تعامل الموحدون مع المدن الإيطالية، وخاصة مع بيزة وجنوة، وعقدوا مع الأخيرة اتفاقية تجارية عام (٥٥٥هـ / ١١٦٠ م)، سمحوا فيها للسفن الجنوبية بالاتجار في كل المراسي المغربية، وخففت تجارة العشور (١٠ %) بحيث لا يدفع الإيطاليون إلا (٨ %) على البضائع والسلع الجنوبية، وجدد هذا الاتفاق عام (٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) وعام (٥٨٧ هـ / ١١٩١ م)^(١).

إن هذه الاتفاقيات التجارية في عصر المرابطين والموحدين، مهدت للإيطاليين في التجاوز على السواحل المغربية، حيث عملوا على إخضاع مدينة سبتة التي تمثل آنذاك مخزن عن الذهب المجلوب من بلاد السودان والمصدر نحو أوروبا فلما وصل إليها الإيطاليون بمراكبهم على أساس التبادل التجاري " فاجتمع على ديوانها وربضها عدد كثير راموا التغلب عليها بتحيلاتهم "^(٢).

ومن أهم صادرات الأسواق المغربية إلى المدن الإيطالية، وخاصة بيزة وجنوة هو الزيت الصفاقسي^(٣)، والسكر السوسي^(٤)، كما إن المدن الأفريقية كانت تصدر إلى مدينة جنوة الإيطالية الاصواف الكثيرة^(٥)، فضلا عن الماشية^(٦).

(1) Mas , Iarie , Traite , P.47-89.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٤، ص ٨٩.

(٣) ابن سعيد، الجغرافية، ص ١١٧.

(4) Amario , M, IDiplomi arabidel archivio frocentio , V , I , Firenze Lemonnier , 1963- P.72.

(5) Krueger , H. C. "aenoeese Trade with North Africa in the Twelfth Century Speculum , 1933 , P.377.

نقلا عن عز الدين، تنظيمات، ص ٨٦، ص ٨٦.

(٦) جوليان، تاريخ أفريقية الشمالية، ج ٢، ص ١٣٨.

وبعد سقوط دولة الموحدين، وانقسام المغرب الى ثلاثة حكومات مستقلة، كبنى حفص وبنى عبد الواد في المغرب الاوسط، وبنى مرين في المغرب الاقصى، سعت كل من هذه الحكومات الى ابتاع عقد اتفاقيات تجارية مع مدن بيزة وجنوة والبنديقية.

فمع حكم الحفصيين للمغرب الادنى (افريقية) عقد حكامها عدة اتفاقيات تجارية مع المدن الايطالية فقد عقدوا اتفاقا تجاريا مع البنديقية عام (٦٢٩هـ / ١٢٣١ م)، وفي عام (٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م)، مع جنوة عام (٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م) وذلك على عهد ابي زكريا يحيى الحفصي، (٦٣٤هـ - ٦٤٧هـ / ١٢٣٧م - ١٢٤٩م)^(١).

وخلال حكم المستنصر بالله الحفصي (٦٤٧هـ - ١٧٥هـ / ١٢٤٩ - ١٢٧٧م)، عقد اتفاقيات تجارية مع بيزد عام (٦٦٧ هـ - ١٢٧١م)، ومع جنود عام (٦٦٨ هـ - ١٢٧٢م)^(٢). وجددت بعض هذه الاتفاقيات عام (٧٥٧ هـ - ١٣٥٣م)^(٣)، في حكم ابي اسحاق ابراهيم الثاني الحفصي (٧٥١ هـ - ٧٧٠ هـ / ١٣٥٠ م - ١٣١٩م). كما ان هناك اتفاقا تجاريا عقد بين صاحب طرابلس احمد الملكي، وبين البنديقية عام (٧٥٧ هـ / ١٣٥٣م)^(٤).

ان هذه المعاهدات والاتفاقيات التجارية، كان لها بدون شك تاثير كبير بضمن الملاحاة للاطراف المتعاقدة، وتضبط قواعد التجارة.

(١) جوليان. تاريخ افريقية الشمالية. ج ٢، ص ١٧٨.

(٢) د، ن، ج ٢، ص ١٨١.

(٣) م، ن، ج ٢، ص ١٩٦.

(٤) اتوري. روسي. ليبيا منذ الفتح العربي الاسلامي حتى سنة ١٩١١، تعريب

وتقديم خليفة محمد، دار الثقافة للنشر (بيروت، ١٩٧٤)، ص ١٣٢.

وشروط دخول التجار الايطاليين لمدينة تونس، وباقى المن المغربية، فضلا، انها تمثل حماية لرعايا التجار من كلا الطرفين^(١).

وليس ادل على ان التجار الايطاليين كان لهم دور مؤثر في دولة الحفصيين هي تلك الرسائل المتبادلة والودية بين التجار المغاربة وتجار المدن الايطالية ففي مطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، كتب تاجر من تونس رسائل ودية وحارة لتاجر من مدينة بيزة الايطالية، كان قد غار المدين، فاعطوه كل التطمينات، فكتبوا في ذلك " لا تتردد في الرجوع الى تونس. وستجد حيث حللت الترحاب آمن ومن معك، فسوق البضائع ناقصة وفي وسعك ان تقوم بكل الشراء التي ترومها "، وفي رسالة اخرى كتب بعض التجار المغاربة الى تاجر من مدينة بيزة احتوت احداها ما يلي " ان الحالة والتجارة على ما يرام احسن مما كانت عليه عند رحيلك، ستزول مكرما مبجلا مثلما كان ذلك في السابق^(٢).

ان هذه الرسائل تدل بدون شك على ما كان بين بيزة وتونس من علاقات تجارية طيبة وحميمة، وكان من نتيجة ذلك تبادل الطرفان البضائع والسلع المختلفة.

فقد كان الحفصيون يصدرون الحبوب الى المدن الايطالية المذكورة، اذ كان القمح التونسي " الموجه لتلبية حاجيات البندقية وجنوه معفيا في كل ضريبة حيث تصديره^(٣)، كما اصدرت تونس

(١) جوليان، تاريخ افريقية الشمالية، ج ٢، ص ١٨٢.

(٢) جوليان، تاريخ افريقية الشمالية ج ٢، ص ١٦١، برانشفيك، تاريخ افريقية

في العهد الحفصي، ج ١، ص ٤٤٣.

(٣) برانشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ج ١، ص ٢٥٥.

الحفصية الى البندقية الاصواف والجلود^(١)، وكذلك التمور والملح الذي كان تجار البندقية يحتكرونه، والدليل على ذلك ما صرح به احد نوابهم في تونس مخاطبا احد الحكام الحفصيين بقوله " ان جمهوريتنا (أي البندقية) لا تريد ان تستورد من بلدكم غير الحبوب والملح"^(٢).

لم يقتصر التعامل التجاري للمدن الايطالية مع العاصمة تونس فقط، بل شمل بعض المدن الافريقية الاخرى، كمدينة طرابلس التي كانت تصدر الصوف والجلود والملح والقمح الى مدينة جنوه الايطالية^(٣)، كما ان السفن الايطالية كانت ترد كثيرا على جزيرة جربة التونسية لحمل الملح منها^(٤)، وكثيرا من هذه السفن كانت تنقل البضائع بين الجانبين، فقد وجدت وثيقة خاصة، تشير الى ان عددا من التجار الايطاليين كانوا يقومون بالابحار بسفن خاصة لهم الى المدن الافريقية فستلا في عام (٨٤٧هـ. / ١٤٤٣م)، قام التاجر القشتالي (Torroos) من قيادة سفينة كانت تحمل ثمتين غرارة^(٥) من القمح من مدينة لبداء الافريقية^(٦)، ان علاقة الحفصيين التجارية مع المدن الايطالية، كان لهم تأثير ليس فقط على اسواق مدن المغرب الادنى. فحسب بل شمل تأثيره على الاسواق المغربية الاخرى، فبنو زيان في المغرب الاوسط كانت لهم

(١) الوزان. وصف أفريقيا، ج ١، ص ٢٦٢.

(٢) العامري. تاريخ المغرب، ص ١٧٦.

(٣) اتوري، ليبيا منذ الفتح العربي الاسلامي، ص ١٣٤.

(٤) العامري، تاريخ المغرب، ص ١٧٦.

(٥) كان وزنها يساوي ٢٠٤/٥ كغم من القمح وهي تعني العدل من صوف او

شعر، انظر هنتس المكايل، ص ٦٤.

(٦) اوري، ليبيا منذ الفتح العربي الاسلامي، ص ١٣٤.

علاقات تجارية مع المدن الإيطالية أيضا، فالوزان^(١)، يشير على ان مدينة تلمسان ووهران كان يتردد على موانهما عدد كبير من تجار جنوه والبندقية، حيث كانت مدينة وهران محط التجار الجنوبيين، ومدينة القل كانت مليئة بالصناع ويمتلكون كمية عظيمة من الجلود، تفيض عن حاجة السوق المحلية فيحملها تجار جنوه الى مينائهم^(٢). كما ان القمح كان يصدر من مدينة سكيكدة الى مدينة جنوة الإيطالية^(٣).

اما بنو مرين، فقد صدروا للمدن الإيطالية، الصوف والخرفان والخيول والجلود والزرايب والاحزمة المزخرفة والقطن والشمع^(٤)، ومن صادراتهم للمدن الإيطالية نبات النيلة الذي كان يزرع خاصة باجواز مدينة سبتة، وكذلك المرجان الذي كان يجد سوقا رائجا له في داخل المدن الإيطالية^(٥)، والذي اشتهرت به مصاد سبتة البحرية.

ما واردات اسواق بلاد المغرب من المدن الاسطالية، فهي متنوعة، فمنذ عهد الموحيدين كانت اسواق مدن المغرب الادنى (افريقية) بصورة خاصة، تسورد القمح والقسطل والجوز والبندق والفسنق من جزيرة صقلية، حيث كانت هذه المواد متداولة في عملية البيع والشراء في اسواق مدينة طرابلس والمهدية^(٦).

كما ان اسواق طرابلس كانت تستورد الادوات الخشبية والمنسوجات والخرز، وصدرت جنوه الإيطالية الذهب على شكل سبانك،

(١) الوزان ، وصف افريقيا، ج٢، ص٢٩، ص٣٠.

(٢) م، ن، ج٢، ص٥٤.

(٣) م، ن، ج٢، ص٥٥.

(٤) المنوني، نظم الدولة المرينية، ص٥٠.

(٥) روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص١٥٩.

(٦) الادريسي، نزهة المشتاق، ص٢٤، ابن سعيد، الجغرافية، ص١٣١.

والسفن والخشب والنبيل والمنسوجات الحريرية، فضلا عن توابل الشرق الى مدن المغرب الادنى (افريقية)^(١)، ويبدو لنا ان مصر في تلك الفترة لم تصدر التوابل المشرقية الى المغرب، فكانت تأتي عن طريق مدينة جنوة الإيطالية. ومن جنوة ايضا كان يرد النحاس وكثير من الاقمشة الى الاسواق المغربية^(٢).

وفي عهد الحفصيين كانت اسواق مدن المغرب الادنى (افريقية) مليئة بالبضائع الإيطالية، وخاصة الاحجار الكريمة والجواهر والجلود^(٣)، كما ان تجار مدينة بيزة كانوا يجهزون الاسواق التونسية بأنواع الحبوب وكثير من المنسوجات والاقمشة الشرقية^(٤). واستوردت الاسواق في مدن المغرب الأقصى الزعفران الجنوبي، الذي كان متفضلا على غيره من الانواع^(٥)، على الرغم من كثرة انداج الزعفران في المدن المغربية. كما ان الزجاجيات الإيطالية المجلوبة من مدينة نابلي كانت ترد على اسواق مدينة فاس^(٦)، فضلا عن المعادن المصنعة والاسلحة والمواد التي تدخل في صناعة السفن وأنواع الصبغات النفيسة^(٧)، ومن واردات اسواق المرينيين الرخام الإيطالي، فعلى الرغم من تواجده في المدن المغربية، الا ان الاغنياء في مدينة فاس، كانوا يستوردونه في

(١) ابن سعيد، الجغرافية، ص ٧٨.

(٢) الثوزان، وصف أفريقيا، ص ٧٨، ص ٧٩.

(٣) العامري، تاريخ المغرب في سبعة قرون، ص ١٧٥.

(٤) جوليان، اتفريقية الشمالية، ج ٢، ص ١٦٠.

(٥) ابن الحاج، المدخل، ج ٣، ص ٧٤.

(٦) الجزنائي، زهرة الأس، ص ٧٩.

(٧) نشاط مصطفى، التجارة بالمغرب الأقصى، ص ١٥٦.

بعض الأحيان مقطوعا ومصقولا^(١). وكذلك الاقمشة الرفيعة التي كانت تروح سوقها بين الاسر الغنية وخاصة في مدينة فاس^(٢).

ومن الجدير بالاشارة الى ان هناك العديد من اسواق الموانئ المرينية كان لها دور مؤثر في التجارة مع الدول الاوربية، ومن هذه الموانئ ميناء او مرسى كانفا الذي يقول عنه ابن الخطيب^(٣): "باته محط والقلاع ومجلب السلاح، وميناء مدينة اصلا ذات السفن المتعددة"^(٤). ومرسى مدينة طنجة ذات السفن اللطاف^(٥)، ولابد ان يكون بين هذه السفن الكثيرة في المراسي والموانئ المغربية للسفن الايطالية نصيبا وافرا فيها لاستخدامها لغرض نقل البضائع والسلع من وإلى اسواق المدن المغربية خاصة وان التيميري^(٦)، يشير الى كثرة البضائع والسلع المنقولة من المدن الايطالية الى بلاد المغرب في عهد المرينيين بقوله "وامتلات دواوينه واقطاره بتجارته".

ب- صادرات اسواق المغرب الى فرنسا ووارداتها :-

تعود العلاقات مع فرنسا الى عصر الموحدين حيث حملت العديد من السلع المغربية الى اوربا ومن ضمنها فرنسا، فالسكر السوسي كان يصدر الى اوربا ومنها الى بلاد الافرنج^(٧).

(١) روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص ١٣٢.

(٢) م، ن، ص ١٥٩.

(٣) معيار الاختيار، ص ٤٣.

(٤) م، ن، ص ٤١.

(٥) م، ن، ص ٥٣.

(٦) فيض العباب، ص ٦٨.

(٧) ابن سعيد، الجغرافية، ص ١١٧.

وكذلك النحاس^(١)، وكانت الجنود في العصر الموحيدي أكثر السلع المغربية تصديرا الى فرنسا^(٢).

واستمرت بعض البضائع المغربية تاخذ طريقها الى فرنسا في عهد المرينيين وخاصة من مدينة فاس وتلمسان، منها الخيول والذهب والعاج^(٣).

اما واردات الاسواق المغربية من فرنسا، فكانت تحتوي على المواد المصنعة^(٤)، ومادة الفول^(٥)، وخاصة في عهد الموحدين والمرينيين واستورد المرينيون من فرنسا مادة القطن المصنع والزراحي والقماش، كما ان الخمور المرسلية كانت تجد لها سوقا رائجا في مدينة سبتة، وذلك لكثرة الجاليات الاجنبية فيها^(٦). فضلا عن التوابل المشرفية التي تصدرها فرنسا الى بلاد المغرب، وكذلك الماسستيك والك والاقمشة النسيجية^(٧).

وصدرت فرنسا الى مدينة بجاية في العهد الزياني، انواع من البضائع وخاصة الارز^(٨). كما ان الحفصيين في تونس استوردوا بعض

(١) الوزان : ص ١٨.

(٢) Amari , Diplomi arabi , P.76.

(٣) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الأقصى، ص ٦٨.

(٤) Raubety (G) histori ducommerce de marsecoill clemoyen age. T: Z.Paris , 1951 , P.112.

(٥) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الأقصى، ص ٦٩.

(٦) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص ٢٨٢، وانظر: نشاط مصطفى، التجارة، ص ٦٩.

(٧) Gisele chorine , les relations delo francceavce lemarocdes origins a latin du moyen age hesperis , Rabat , 1957 , P.250.

(٨) العربي، مسالك الابصار، ص ١٢٧.

القمشة من فرنسا، ويشير احد الباحثين^(١)، بان الحفصيين كانوا يعولون كثيرا على مرسيليا بنزويدها لهم بالحبوب. ونحن نشك في ذلك لان الحفصيين كما مروا بنا سابقا كانوا يصدرون الحبوب بكميات كبيرة جدا الى المدن الإيطالية فكيف يستوردونه ويعولون عليه من مرسيليا.

ج- صادرات أسواق المغرب الى اسبانيا ووارداتها :-

كانت العلاقات التجارية بين دول المغرب والممالك الاسبانية على نطاق محدود على عصر المرابطين والموحدين، حيث كانت العلاقات متوترة بينهم وفي حالة حروب دائمة.

لقد تغير هذا الحال بعض الشيء في عصر المرينيين، وخاصة بعد سقوط اغلب المدن الاندلسية بيد الممالك الاسبانية، ومع ذلك فقد صدرت اسواق المدن المغربية بعض المواد الى الارغون كالجلود المدبوغة والصوف والحبوب^(٢). اما واردات بلاد المغرب من اسبانيا، فقد وصلتنا اشارة تفيد بان الموحدين كانوا يستوردون مادة الاصباغ من اسبانيا^(٣).

وبعد ان تعرفنا على صادرات وواردات الاسواق المغربية، يمكن لنا ان نضع كليهما في كفة ميزان ونرى ايهما ارجح الصادرات ام الواردات ؟ وهل تطورت الصادرات والواردات نحو الاحسن من قرن الى

(١) نشاط مصطفى، النجاة، ص ٦٩، ص ٧٠.

(٢) نجاة باشا، الجارة في المغرب الاسلامي من القرن الرابع الهجري الى القرن الثامن الهجري، المنشورات الجامعة التونسية (تونس). ١٩٧٦، ص ١٠٨. وانظر، مزاحم، الاوضاع الاقتصادية، ص ١٠٤.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ١٨٨، ابن سعيد، الجغرافية، ص ٧٨.

آخر ؟ ومع أي جهة كانت علاقات دول المغرب أكثر متانة ؟ وللإجابة على هذه الاسئلة نقول :

خلال القرنين السادس والسابع الهجري / الثاني عشر والثالث عشر الميلادي شهدت هذه الفترة صراعا سياسيا بين القوى السياسية التي حكمت بلاد المغرب (المرابطون والموحدون) ودول البحر المتوسط المتمثلة بالمدن الإيطالية والممالك الاسبانية، كما ان علاقة المرابطين والموحدين مع مصر كانت متوترة، وعلى الرغم من هذا الصراع السياسي الا ان هناك عمليات التبادل التجاري واضحة بينهما، وان السمة البارزة خلال فترة حكم المرابطين والموحدين لبلاد المغرب، هو التكامل الاقتصادي الداخلي في عملية تبادل البضائع والسلع داخل الأسواق المغربية.

وبعد سقوط دولة الموحدين. وانقسام المغرب الى ثلاث حكومات. سعت كل حكومة على انتعاش النشاط التجاري مع دول اوروبا بصورة خاصة لان كل منها تريد مزيدا من هذا النشاط لتقوية مركزها السياسي. فالحفصيون عقدوا عدة اتفاقيات تجارية مع المدن الإيطالية والتي ساعدت بشكل وبأخر على اغراق الأسواق المغربية بمختلف البضائع والسلع الأوروبية، وكانت نسبة الواردات الحفصية أكثر من صادراتها التي اقتصررت في اغلب الأحيان على بعض المواد الغذائية، فيما كانت واراتهم مع السلع الكمالية. اما المرينيون، فقد كانت علاقتهم التجارية مع الدول المجاورة على ما يرام خاصة مع دول البحر المتوسط ومصر، وكانت اسواقهم تصدر العديد من السلع والبضائع الفائضة عن الحاجة المحلية، ومن اهمها المواد الغذائية وبعض المعادن المهمة، فيما استوردت تلك الأسواق بعض مواد الترف، والمواد الأولية التي تأتيهم من البلاد المشرقية.

ولم يكن للزياتيين في المغرب الاوسط دور مؤثر في العلاقات التجارية حيث كانوا بين قطبي المرينيين من جهة والحفصيين من جهة اخرى، ومع ذلك صدرت بعض اسواق مدنهم العديد من السلع الى الدول الاوربية كما استقبلت اسواق مدنهم بعض البضائع الاوربية الضرورية لحاجة السكان.ومما يجب الإشارة اليه، هو العلاقات التجارية مع بلاد السودان، استمرت طيلة فترة هذه الدراسة، واستمر الذهب السوداني يتدفق على اسواق الحدن المغربية، مما انعش الاقتصاد المغربي في كل الميادين.

واخيرا يمكن القول. ان صادرات وواردات الاسواق المغربية الخارجية اخذت نحو الاحسن بمرور الزمن، فبينما كانت علاقات انمرابطين والموحدين في التجارة الخارجية، قد اصابتها بعض العراقيل. نرى ان هذه السمة قد اختفت بعد انقسام البلاد الى ثلاث حكومات مركزية.

رابعا : النشاط الحرفي والمهني في الاسواق والعاملون فيه :

١- نشاط اهل الصنایع والحرف في الاسواق المغربية -

مما لا شك فيه ان للنشاط الحرفي دورا مهما في عملية الانتاج الاقتصادي وقد اكد القرآن الكريم على اهمية العمل في اكثر من آية من آياته^(١)، كما اشار بعض المؤرخين الى العمل والتخصص فيه، وعدوا

(١) وقل عملوا فسيرى الله عملكم والمؤمنين، التوبة، آية ١٠٥، والاحقاف،

الآية ١٩، وسورة النحل، الآية ٩٤.

العمل الوسيلة الوحيدة لنيل حق التملك، لانه عنصر فعال في طرق الكسب التي اباحها الاسلام ومهد امام الفرد سبل الحصول على المال^(١).
يتركز النشاط الحرفي في اسواق المدن المغربية في المصنوعات اليدوية شأنه شأن بقية اجزاء المعمورة في العصر الوسيط، وقبل ادخال الادارة المتطورة في الصناعة.

من المعروف ان الطبقة العامة من الناس، هي التي مارست العمل الحرفي في داخل الاسواق المغربية، ومما ساعدهم على ذلك، هو اهتمام الحكومات المغربية بالصناع ومستواهم المعاشي وتدرجهم المهني وحاجة الدولة اليهم.

ففي عهد المرابطين والموحدين، انتشر الامن في ربوع البلاد. مما شجع على ممارسة العمل واشتغل به العديد من الشرائح الاجتماعية. واستفاد المغاربة من خبرات اهل الاندلس المهاجرين في هذا المجال. حيث برزت طائفة في المجال الصناعي، امثال اسرة بني جامع الذين كانوا صناع اواني نحاسية^(٢).

وقدم الموحثون عاملا مشجعا اخر للصناع، حيث القوا جميع القبالات على الصناعات وحرص عبد المؤمن بن علي، (٥٢٤ هـ - ٥٥٨ هـ / ١١٢٩ م - ١١٦٣ م) على حماية الصناع ونهى المعاهدة من قتل العامة في مراكش، حتى انه عندما قتلت قبيلة مكناسة الفحاميين

(١) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد، ادب الدنيا والدين. مطبعة الجوانب (الاسكندرية، ١٩٨١)، ص ٦٤، ص ٧٠، ص ٧٢، وانظر، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق. حجر عاصي. (بيروت، ١٩٨٨)، ص ٢٤١، ص ٢٤٢.

(٢) امراكشي، المعجب، ص ٣١٠.

في سوقهم، اعمل السيف في مكناس ادبا وعقابا^(١). ومن شدة اهتمام الموحدين بالصناع، فقد طلبوا من حدادي مراكش ان يصنعوا لهم القيود الخاصة بالسجناء^(٢)، او ينقشوا لهم عبارات يخلدون فيها اسمائهم على السيوف، كما فعل ابو يعقوب يوسف الموحدي^(٣)، الذي جرد حملتين قادهما بنفسه على صنهاجه الجبل واهل السوس لاعتدائهم على اهل الحرف والمهن من الذين كانوا يعملون في التعدين في تلك المنطقتين^(٤)، كما انه بنى حصنا على مقربة من مكان التعدين في زجندر من السوس لسكن الصناع^(٥).

اما اوضاع الصناع فيشير اخوان الصفا^(٦) الى ان اهل الحرف اناس يعملون بآبائهم وكذلك بادواتهم ويعيشون من بيع ما ينتجون، حيث ياخذون المواد الاولية اللازمة للعمل. ثم يعملون على تحويلها الى اشكال وادوات جديدة فيبيعونها ويعيشون مما يحصلون عليه ثمنا لها، فاما ان تكون صناعتهم يدوية، او توجد ادوات تساعدكم على القيام بها. وفي بلاد المغرب كان المغاربة يطلقون على من يعمل في الصناعات لفظ (الصناع) وكان الموحدون يطلقون عليهم في تنظيماتهم

(١) البيهقي، اخبار المهدي بن تومرت، ص ١٠٩، ص ١١٠، وينظر، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٥٨٥.

(٢) م، ن، ص ٧٩، وينظر ابن الزيات، التشوف الى رجال التشوف، ص ١٧٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٤، ص ١٠٠.

(٤) البيهقي، اخبار المهدي، ص ١٥٣، ص ١٥٨.

(٥) المراكشي، المعجب، ص ٣٦١. ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ١٣٩.

(٦) اخوان الصفا واخلان الوفا، رسائل اخوان الصفا، دار صادر (بيروت، ١٩٥٧)

بمصطلح (عبيد المخزن)، أي خدم الدولة^(١). وينقسمون الى ثلاثة اصناف حسبما اشار عز الدين موسى^(٢) الى ذلك، فالاول الصانع الخالص، وبمعنى ذلك ان المالك يستأجر عمالا يعملون تحت اشرافه، ويكون عددهم في مركز التعدين الف عامل^(٣). والثاني الصانع المشترك، وهو ليس بأجير عند رب العمل، وانما يجلس للعمل ويخدم كل من يقدم اليه حاجته^(٤). والثالث، هو الصانع المتجول امثال صناع الاواني الحديدية والخشبية المخروطة، وينتقل من بلد الى اخر حسب العرض والطلب^(٥). اما منكيات اصحاب العمل فقد تتفاوت في بعض الحرف كالمعادن والارحاء والافران والمعاصر والمطاحن ومعامل الحياكة وذلك حسب قابليتهم الشخصية والمادية^(٦).

وفي بعض الحالات يلجأ الملاك الى تاجير اله الصناعة الى مستثمر او صناع يعملون فيها، وهناك ثلاثة انواع من الاستئجار او

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٣٥١، ص ٣٥٢، وينظر السقطي، رسالة في الحسبه، ص ٦٢-٦٤، عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٤.

(٢) النشاط الاقتصادي، ص ٢١٤.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ٢١٤.

(٤) ابن ابي الحسن علي بن الرجال، كشف القناع في مسائل الصناع، مخطوطه الخزانة العامة في الرباط تحت رقم ١٠٧٩، ص ٣٩، ص ٤٠ نقلا عن عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٥.

(٥) المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة تحقيق احسان عباس (بيروت، ١٩٦٥)، ج ١، ص ٣٢١. وينظر عز الدين، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٥.

(٦) ينظر عز الدين، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٢، ص ٢١٣.

الكراء كما يطلق عليه عز الدين موسى^(١) الاول ان يكون الاجر معلومات والاجل معلوما، والثاني ان يفرض صاحب الاله على الصانع مبلغا من المال غنى كل قطعة تنسج او كمية تنصير^(٢) والثالث ان تكون اجرة الكراء نصف الدخل^(٣) او ثلثه او ربعه^(٤).

ويبدو ان الصانع في بلاد المغرب هم اكثر طبقات المجتمع تأثرا بتقلب الاسعار وذلك بسبب قلة الاجور التي يتقاضونها جراء عملهم، حيث كانت اجرة الصانع المهره على سبيل المثال درهمين، ولغير المهره نصف درهم او تكون قيراطا وكسرة خبز^(٥). ولم يكن الصانع رجالا فحسب، بل كان بينهم عدد كبير من النساء وجل صناعتهن النسيج والغزل^(٦).

وكان لليهود دورهم في بعض الصناعات، وخاصة الدقيقة منها، كصياغة الذهب والاحجار الكريمة، وكان بعضهم من اصحاب الحوانيت الحرفية^(٧)، كما اشتغلت طائفة منهم بسك النقود، وخاصة في العصر

(١) النشاط الاقتصادي، ص ٢١٤.

(٢) م، ن، ص ٢١٤، ص ٢١٥.

(٣) الونريشي المعيار، ج ٨، ص ١٥٨. ص ١٥٩.

(٤) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٤.

(٥) ابن الزيات، التشوق الى رجال التنسوف، ص ١٠٢، ص ١٧٣، وينظر، عزل

الدين النشاط، ص ٢١٢.

(٦) انظر، ابن عيون، رسالة، ص ٥٥، ابن سعيد، الجغرافية، ص ١٠٢، ابن

الزيات، التشوق، ص ١٨٤، ص ١٢٥.

(٧) عن انتشار العنصر اليهودي في عصر المرابطين والموحدين، انظر، ابن ابي

زرع، روض القرطاس، ص ١٣، الاستبصار، ص ٢٥٢، وفي عهد المرينيين

انظر، المياحي، علي، المغرب في عصر السلطان ابي عثمان المريني

(المغرب، ١٩٨٦)، ص ٢٥٤ فما بعدها والمصادر المعتمدة.

المريني، حتى تشكى الناس بضررهم، الأمر الذي دفع أبو الحسن المريني (٧٣١ هـ - ٧٥٢ هـ / ١٣٣٢ م - ١٣٥١ م)، الى ان يأمر بضرب ابشارهم والشدة في اتكالمهم^(١).

لقد مارس الصناعات مختلف انواع الحرف والمهن، وليس ادل على ذلك، هي كثرة الاسواق الحرفية المتخصصة داخل المدن المغربية، فكان منهم النجارون والخياطون والاسكافيون، والحدادون والصباغون والدباغون والفخارون والفحامون والنحاسيون والخراطون، وغيرها الكثير من المهن^(٢)، ويبدو لنا ان اكثر تحرف انتشرا في الاسواق المغربية، هي حرفة الحياكة وما يتصل بها من صناعات فلاحصانيات النى وردت لنا من بعض الكتاب تدل بدون شك على انها كانت واسعة الانتشار، فمثلا في مدينة فاس. كانت على عصر المرابطين والموحدين ٣٠٦٤ معملا للحياكة، و ١١٦ دارا للصبغة المنسوجات^(٣)، فيما كانت هناك اكثر من ٥٠٠ دارا للنساجين و ٨٠٠ معملا لفصاري الخبوط في العصر المريني^(٤). ومن الجدير بالذكر، ان الكثير من مدن بلاد المغرب اشتهرت بانواع مختلفة من المنسوجات وحياكتها، وخاصة مدينة نونس وقابس والمهدية وبونه وتوزور ونفزاوة. ودرجين^(٥)، فضلا عن مدينة

(١) الحكيم، ابو الحسن علي بن يوسف. الدوحة المشبكة في ضوابط دار السكة.

تحقيق حسين مؤنس (مطبعة، ١٩٦٠). ص ١٤٨.

(٢) انظر. ما سبق من هذه الاسواق، الفصل الاول.

(٣) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٤٧، الجزناني، زهرة الأس، ص ٣٣.

(٤) الوزان، وصف افريقيا، ج ١، ص ١٩٣.

(٥) البكري، المغرب، ص ١٧، الادريسي، وصف، ص ٧٨، الاستبصار، ص ١٢٩،

ص ١٥٤، ص ١٥٧، ابن سعيد، الجغرافية، ص ١٠٩، ص ١٢٧، القلقشندي،

صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٠٣.

سوسة التي بلغت فيها الصناعة مبلغا عظيما، فالبكري^(١)، يشير " ان الخياطة بسوسة كثيرة ويغزل فيها غزل يباع زنة المثقل بمثقالين من الذهب . وفي قلعة بني حماد في المغرب الاوسط، كانت تصنع فيها الاكسية القلعية الصفيقة النسج (اي مسبوكة الحياكة)^(٢)، ولخان الكساء التلبساني رقيق في حياكته^(٣). وكثرة منسوجات سجلماسة وخاصة الازر التي كان لئسانهم دور مهم في غزله وحياكته^(٤). ومن الحرف المنتشرة ايضا في اسواق المدن المغربية، هي حرفة صناعة الجلود، حيث كثرة الاسواق الحرفية المتخصصة بهذه الحرفة، كسوق الاسكافيين والخفافين والخرازين، وفي احصائية قدمها لنا الوزان^(٥)، عن بعض الاسواق في مدينة فاس، تبين انها تعتبر اكثر الاسواق الحرفية دكاكينا، فمثلا سوق الاسكافيين يتكون من مائة وخمسين دكانا، وكذلك سوق الخفافين، أي صانعي احذية الاطفال، حيث بلغت دكاكينهم اكثر من ذلك، وبلغت دكاكين الخرازين. صانعي احذية الكبار، اكثر من مئة دكانا. ولابد لنا ان نعرف ان صناعة الجلود انتشرت في معظم اسواق المدن المغربية وليست في اسواق فاس فقط^(٦) فقد كانت غدامس مشهورة بصناعة الجلود ودبغها،

(١) المغرب، ص ٣٦، المراكشي، المعجب، ص ٣٥٠.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٩٠.

(٣) الادريسي، نزعة المشتاق، ص ١٦٢، ص ٧٨.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٢، القزويني، اثار البلاد، ص ٤٢.

(٥) وصف افريقيا، ج ١، ص ١٨٤، ص ١٨٨، ص ١٨٩. وعن هذه الاسواق انظر ما

سبق الفصل الاول.

(٦) يشير كالتون كون، ان مدينة فاس تعد من اهم المدن المغربية على الاطلاق

في صناعة الجلود ودبغها، وان تاريخ نقابة الدباغين تعود الى تأسيس

مدينة فاس، انظر قصة الشرق الاوسط (القافلة)، ترجمة برهان الدين =

وقد وصفها القزويني^(١) بقوله " هي من أجود الدباغ لاشيء فوقها في الجودة كأنها ثياب الخزفي النعومة "، كما اشتهرت مدينة تلمسان بكثرة الصناعات الجلدية^(٢) واستمرت دباغة الجلود في بديني درعة وسجلماسة^(٣) وكان يذبح في مدينة اغمات " مائة ثور والـ ألف شاة في اليوم الواحد"^(٤)، وهذا يعني ان توفر الجلود في هذه المدينة لا بد وان يكون كثيرا جدا مما يترتب على ذلك قيام صناعات جلدية عديدة، وبالتالي ظهور اسواق متخصصة بهذه الحرفة.

ويبدو ان حصر كل حرف في سوق واحد، جعل تنظيم الصناع على اساس الحرف والمهن امرا ميسور، فتجد على رأس كل مهنة رئيس يسمى في عهد المرابطين والموحدين بالرئيس او المقدم او العريف او الامين^(٥) ويكون تعيينه عادة من قبل المحتسب او القاضي وواجبه حل المشاكل بين اهل الصنعة ومساعدة الدولة في كشف اساليب مكرهم وغشهم ومراقبة الانتاج وجودته^(٦)، وفي كل صنعة نجد المعلم والعامل والمتعلم^(٧). واستمرت هذه التنظيمات الى العصر المريني، فقد

= دجاني، مراجعة احسان عباس (بيروت، نيويورك ١٩٥٩)، ص ٣٤٣، ص ٣٤٤.

- (١) اثار البلاد، ص ٥٧.
- (٢) ابن سعيد، الجغرافية، ص ٢٤٦.
- (٣) البكري، المغرب، ص ١٥٢. الاستبصار، ص ٢٠٧.
- (٤) م، ن، ص ١٥٢. المعجب، ص ٢٨٨. الاستبصار، ص ٢٠٧.
- (٥) ابن عبدون، رسالة، ص ٥٥. الادريسي، نزهة المشتاق، ص ٦٢. ابن الزيات، التشوف، ص ٨٤، ص ١٢٥.
- (٦) م، ن، ص ٣٩، ص ٥٣، ص ٥٧. السقطي، ص ٣٩، ص ٥٦. ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٤٧٤، ص ٤٨٢.
- (٧) السقطي، ص ٢٦، ص ٢٧، وانظر، عز الدين، النشاط، ص ٢١٧.

كان جميع الصناع منضمين في طوائف حرفية، ولكل طائفة فيها نوع من التسلسل الإداري على ثلاث درجات، وهم المستخدمون والصناع والمبتدون، وكان على المبتدأ لكي يكون صائعا عليه بلوغ سن الرشد، وإن يكون قادرا على الصنع المتقن، أما الانتقال من مستخدم إلى صانع فقد كان يسيرا، حيث يكفي أن يملك الصانع رأس المال ويؤمن مكانا لمصنعه ويضمن زبائنه^(١). ولم تكن ثمة قاعدة معروفة تتبع في هذه التسميات، فاصحاب الشأن كانوا أما شيخ طائفة أو أمين صنعة، وكل طائفة تمثل جماعة من الخبراء، ويكون من أكابر الشيوخ، فالفخارون كانوا يتولون سيدي ميمون الذي كان قبره على مقربة من أماكن صناعة الفخار، والحدانون كان لهم شيخ يسمى محمد بن عباد وآخر اسمه برغالي وغيرهم الكثير^(٢).

معامل الحياكة	التطريز	معامل تصبوج	معامل الدباغة	معامل تصباغة	معامل بسك	معامل تقير	معامل اقراة الخبز	معامل تزجاج	معامل عمى الفخار	معامل تلويف	دور ضرب السكة
١٤٣٦٤	٤٧٢	٤٧	٨٦	١١٦	١٢	١٣٥	١١٧٠	١١	١٨٨	٤٠٠	٢

إحصائية تبين لنا الحرف التي كانت تمارس في مدينة فاس خلال فترة الدراسة^(١)

- (١) روجيه: فاس في عصر بني مرين، ص ١٤١.
- (٢) روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص ١٤٢ - ص ١٤٤.
- (٣) إن هذا العدد يمثل ما هو موجود في عهد الموحدين من معامل للحياكة وعددها ٣٠٦٤ معملا واضفنا إليها ٥٠٠ دارا للنساجين و ٨٠٠ معملا لقصاري الخيوط في العصر المريني، فأصبح المجموع أعلاه.
- (٤) اعتمدنا في هذه الإحصائية على المصادر التالية :
ابن أبي زرع، روض انقرطاس، ص ٤٧. ص ٤٩.

٢- التجار العاملون في الأسواق الغربية واصنافهم :

أ- التجار المغاربة :

تعددت اصناف التجار المغاربة العاملين في السوق باختلاف مقادير رؤوس الاموال التي يملكونها والطريقة التي يستثمرونها بها، فضلا عن تباعد مصادر الكثير من السلع والبضائع وحاجة الاسواق اليها ومخاطر جلبها ونقلها^(١).

وهناك عدة مجموعات تجارية برزت خلال عصري المرابطين والموحدين يصنفهم الاستاذ عز الدين^(٢) الى ثلاثة مجاميع :الاولى، ممن يتاجرون باقل من مائة دينار في تجاريتهم ، والثانية، فهي تتاجر بمائة^(٣) او مائتين^(٤) وتصل الى الالف دينار^(٥)، والمجموعة الثالثة، ما كانت تملك اكثر من الف دينار وتصل الى الالوف من الدنانير^(٦)، فمثلا كان تجار مدينة اغمات في عهد المرابطين يملكون اموالا طائلة في تجارتهم مع بلاد السودان وكتبوا يضعون علامات على ابواب دورهم

- الجزناني، جني زهرة الآس، ص ٣٣، ص ٣٤.

الوزان، وصف افريقيا، ج ١، ص ١٩٣.

(١) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٧٨.

(٢) م. ن، ص ٢٧٨.

(٣) الوئشريشي، المعيار، ج ٩، ص ١٥٢.

(٤) م. ن، ج ٨، ص ١٧٤.

(٥) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٣٧، ص ١٣٨. المراكشي، الذيل والتكملة.

ج ١، ص ٢٢٧، ص ٢٨١.

(٦) الوئشريشي، المعيار، ج ٦، ص ٤١٧، ص ٤١٩. ابن عذاري، البيان، ج ٤،

ص ١٨، ص ٢٤. وينظر : عز الدين، النشاط الاقتصادي، ص ٢٧٩.

لتدل على مقادير ما يملكون من اموال^(١) وكانت هذه المجموعة الاخيرة تمتلك اغلب حواتيت المدينة التي يقيمون فيها^(٢).

وقد يتخذ عض التجار الشركة في العمل التجاري. وهناك ثلاثة انواع من المشاركة في عهد المرابطين والموحدين^(٣) النوع الاول، هو الذي يتساوى فيه الشركاء في رأس المال والعمل^(٤) والثاني، هو ان يشترك بعض التجار في ارسال ادهم لجلب البضائع ثم يتقاسمون على حسب رؤوس اموالهم^(٥). اما النوع الثالث، هو ان يقرض احد التجار مالا لآخر فيتاجر فيه على ان يكون الربح مناصفة بينهما^(٦).

وهناك نوعا رابعا من التجار، هو التاجر الجوال الذي ينتقل من مكان الى اخر^(٧) وهؤلاء تكون ارباحهم مغرية جدا وذلك لانهم يقصدون المناطق النائية التي لم تصل اليها السلع والبضائع ويتحكموا بأسعار بضائعهم عند بيعها وكيفما شاءوا.

- (١) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ٦٦.
- (٢) التيشافي، ابو العباس احمد، نزهة الاثنياب فيما لا يوجد في كتاب، مخطوطة بالخزانة العامة، الرباط، تحت رقم ١٣٣ ك، ص ٥٢، نقلا عن عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢٧٩.
- (٣) عز الدين، النشاط الاقتصادي، ص ٢٨٢.
- (٤) الونشريشي، المعيار، ج ٦، ص ٣٧٣ - ص ٣٧٤. وينظر : امثلة في ج ٨، ص ١٦٤، ص ١٧٢.
- (٥) الونشريشي، المعيار، ج ٦، ص ٧٤.
- (٦) م، ن، ج ٩، ص ١١٢، ص ١٣٨، ص ١٤٨، ص ٤٦٠. وينظر : امثلة في ج ١، ص ١٣٠، ص ١٣٣.
- (٧) التشفوف، ص ٢٠٧، ص ٢٠٨، وينظر : السقطي، رسالة، ص ١٧، ص ٥٨.

وخلال العصر المريني لم تتغير اصناف المغاربة عن الفترة التي سبقتها ويمكن ان نميز طائفتين منهم، اولهما تجار الجمل، ثانيهما تجار المفرد.

فتجار الجملة كانوا يجمعون اموالا طائلة، وكانوا يقيمون بنشاط تجاري واسع وكان اكثرهم من مدينة فاس العاصمة، واغلب تجارتهم مع الدول الاجنبية، حيث كانوا يتعاملون مع التجار الاوربيين المقيمين في مدن مليلة وبادس وسبتة وكانوا يقومون بتجهيز القوافل الى بلاد السودان^(١).

اما تجار المفرد فقد كانوا على صنفين الاول، الذين كانوا يبيعون المواد الثمينة كالاقمشة الرفيعة والحلي والافلوية وكانوا يقيمون داخل الاسواق النابتة، اما النوع الثاني فهم اولئك الذين يبيعون في احياء المدينة من مصنوعات معدة للاستهلاك المحلي وخاصة المواد الغذائية كالببيض والزبد والصابون والفواكه^(٢).

وكان اصحاب الصنف الاول من تجار المفرد هم اهل اليسار لانهم يقومون في اماكن ثابتة ويتاعون مواد غالية الاثمان كالاقمشة والمجوهرات، اما الصنف الثاني منهم فقد كانوا اقل ارباحا لانهم يعتمدون على مجموعة من الناس، كان اغلبهم من الفلاحين والمسافرين وان يطلق عليهم بالتجار الفقراء^(٣).

لقد كان التجار في عهد المرينيين متباينين كما اتضح لنا في حجم الملكية ولكن المصادر لا تقدم لنا ارقاما وافية نستطيع من خلالها

(١) روجيه. فاس، ص ١٥٩.

(٢) م، ن، ص ١٦١.

(٣) روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص ١٦٢.

معرفة رؤوس أموالهم التي يملكونها مثلما كان ذلك في عصر الموحدين مثلاً.

وبالرغم من ذلك يبدو لنا من خلال بعض المعلومات ان هناك بعض الفئات من التجار المرينيين، كانوا يقومون بشراء بضاعة في السوق ثم يقومون باعطائها الى اخرين ديناً معتمدين في ربحهم على خزن تلك البضاعة ومن ثم تصريفها^(١)، وقسم اخر من التجار يقومون بشراء البضاعة من البلدان المجاورة ونقلها الى بلدهم مستفيدين من تباين الاسعار^(٢)، وقد يقوم بعضهم ببيع بضاعة في بند اخر ليشتري بضاعة مختلفة من نفس البلد فينقل بعضها الى بلده ويبقى القسم الاخر منها ليتم بيعه عن طريق وكيله الذي يتركه في ذلك البلد^(٣).

ومن الجدير بالإشارة الى ان اكثر فئات التجار المغاربة هم الذين كانوا يقومون في حوانيتهم في الاسواق حيث يقومون بتصريف بضائعهم للذين يقصدونهم^(٤)، زيادة على ذلك فقد شهد العصر المريني ايضا نظام الشركة في التجارة، حيث غالبا ما يشترك اكثر من شخص في ادارة تجارة من التجارات، ولعل اسرة المقرري الاديب والمؤرخ المعروف مثلاً للشركة ذات الاسم العائلي، بفضل تحمل كل شخص منها مسؤولية تجارية معينة، فكان احدهم يقيم في مدينة سجلماسة واثنان

(١) المعيار، ج ١، ص ٣٧٢.

(٢) م، ن، ص ٧٥، ٧٦. انظر : ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله (القاهرة، ١٩٧٧)، ج ٣، ص ١٥٥.

(٣) المعيار، ج ٩، ص ٧٦. ج ٦، ص ٢٠٤-٢٠٨. ج ١٠، ص ٣١٠، ٣٤٠.

(٤) البادسي، المقصد الشريف والمنزعة اللطيف في التعريف بعلماء الريف، تحقيق سعيد احمد الاعراب، المطبعة الملكية (الرباط، ١٩٨٢)، ص ٨٧.

منهما في مدينة تلمسان واخران بولاتن فالاول كان يزود اخويه بقدر الرجحان والخسران ويكاتبهما باحوال التجارة واخبار البلدان^(١).
بينما كانا المقيمان بتلمسان يبعثان الى اخيهما بسجلماسة بما يحدد لها من السلع التي تجد اقبالا في اسواق السودان، اما المقيمان بالسودان فكانتا يبعثان بمختلف مواد المنطقة مثل الجلود والعاج والجوز والتبر^(٢)، ونتيجة لهذه الشركة التي تتكون من خمسة اشخاص، فقد وفر افراد شركة المقرئ اموالا طائلة اشاد بها المقرئ الحفيد^(٣).

الوسطاء :-

لعب الوسطاء دورا مؤثرا في حركة السلع والبضائع داخل اسواق المدن المغربية وقد كانوا على نوعين، فقير الحال والثاني متنفذ في الاسواق. ومن الصنف الاول البراحين الذين ينادون في الاسواق عن السلع وكذلك الدالات اللاتي يحملن البضائع للتجار الى المنازل ويتقاضين اجورا عن البيع والقبض^(٤).

اما الصنف الثاني من الوسطاء فيتكون من الدالين والسماسرة وهم الوسطاء بين التجار والمشتريين، وقد يشمل عملهم بيع الدور وشرائها^(٥). وكان المرابطون يعرفون دخل التجار بواسطة الدالين، ومن خلالهم تقدر الدولة الضرائب على حوائيتهم، ولذلك ان بعض التجار يتفقون مع الدالين لكي يتجنبوا دفع المغارم. ولعل هذا هو السبب الذي

(١) ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج ٢، ص ١٩٣.

(٢) ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج ٢، ص ١٩١، ص ١٩٣.

(٣) المقرئ، نفح الطيب، ج ٥، ص ٢٠٥.

(٤) عز الدين، النشاط الاقتصادي، ص ٢٨٢.

(٥) ابن الزيات، التشوف، ص ١٣١. البادسي، المقعد الشريف، ص ٧٩، ص ٨٠.

حدى بالموحدين الى اتخاذ دار الاشراف المركزي لمبيعات التجار الغرباء، ويبدو ان دخل الدلال كان كبيرا فهو يتقاضى نصف الربح من التاجر^(١)، لذلك نرى ان بعض التجار اشتغلت بالدلالة والسمسرة معا^(٢).

وظهر صنف اخر من الوسطاء بين الدالين والتجار في العصر المرابطي، ويطلق عليهم الجلاسون الذين يفتحون محلاتهم ويتخذون دالين فيها وينزلون التجار الغرباء عندهم^(٣)، وكلما جاء احد يشتري السلعة الواردة زاد الجلاس عليه حتى يبلغ السعر اكثر مما حدده الدلال فيتقاسم الدلال والجلاس الزيادة^(٤)، او يشتري الجلاس مما وجده رخيصا من السلع الواردة في السوق الى اجل فيربح فيها ويرد السلف الى التاجر الغريب، ويبدو ان بعضهم قد حاول التعامل بالنقد والتسوية^(٥)، ويدعو السقطي^(٦) الى منع هؤلاء الجلاسيين من الأسواق.

كما كان للوكلاء دورا مهما بين التاجر والمستهلك، ففي العصر المريني استعان التجار بوكلاء لهم يتفقد احوال السوق لمعرفة البضاعة المفقودة، فيطلب الوكيل من التاجر ارسال تلك البضاعة المفقودة^(٧).

(١) المعيار، ج ٩، ص ١١٢، ص ١٣٨، ص ١٤٧، ص ٤٦٠.

(٢) ينظر امثلة في التشوف، ص ٤٠٣، ص ٤٠٤.

(٣) عز الدين، النشاط، ص ٥٥٥.

(٤) ابن عبد الرؤوف، رسالة في اداب الحسبة، ص ٨٥.

(٥) م، ن، ص ٨٥. المعيار، ج ٦، ص ١٨٦، ص ١٨٩.

(٦) السقطي، رسالة في القضاء، ص ٥٩، ص ٦١.

(٧) ابن الحاج، ابو عبد الله محمد بن عمر، المدخل الى تنمية الاعمال بتحسين النيات والتنبه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها =

وقد يذهب الوكيل نفسه لبيعها^(١). اما السماسرة فقد ارادوا دورا واضحا في رواج البضائع داخل الاسواق حيث كانوا وسطاء بين اصحاب الدكاكين والتجار ولا يتحدد دورهم في سلعة محددة بل شمل سائر البضائع والسلع المختلفة^(٢).

وقد عاد بعض الفقهاء السماسرة اكثر غشا بالقول من اصحاب السلع، وذلك انهم يزينون البضاعة في عين المشتري مع درايتهم بعيوبها^(٣)، وفي هذا الصدد يشير العقباتي^(٤) الى ان بعض السماسرة والدالين قد مارسوا عادات ضارة داخل الاسواق، ففي اسواق مدينة تونس وتلمسان في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، مارس هؤلاء عادة النجش او التناجش، أي يعطي السمسار او الدال قيمة للسلعة دون قصد في شرائها وذلك تغيرا بغيره، وسمي هذا العمل في عرف تجار تلمسان (البزم) حيث ياتي الدال بالسلعة لمن يعرف قيمتها فيستفتح به بما ينادي به في السوق وان كان لا يشتريها، وقد اجاز هذا العمل الفقيه ابن عرفة، حيث كان ياتي الى سوق الكتبيين بتونس ليستفتح به الدالون ياخذون بثمن دلالتهم.

= وقبحها، طبع على نفقة مصطفى الباجي الكتبي، المطبعة الشريفة

(القاهرة، ١٢٢٠ هـ)، ج ٣، ص ٧٥.

(١) المعيار، ج ٢، ص ٢٩٧، ج ٩، ص ١٢١.

(٢) م. ن، ج ٨، ص ٣٣٥، ص ٣٦٤. وانظر : امثلة اخرى ج ٨، ص ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢.

(٣) ابن الحاج، المدخل، ج ٣، ص ٣٥.

(٤) العقباتي، ابو عبد الله محمد بن محمد، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشريعة وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوشي (فرنسا، ١٩٦٧)، ص ٣١٦، ٣١٧.

ب-التجار الهلاليون :

اشتغلت بعض القبائل العربية الهلالية في القطاع التجاري وكان لبعضهم دور كبير في نقل السلع والبضائع من مكان الى اخر سواء كان في النقل الخارجي او الداخلي، فمن المعروف ان قبائل زناته المغربية كانت تسيطر على التجارة مع بلاد السودان في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي متخذة من مدينة اودغست مركزا لها، ولكن المرابطين قضوا على زناته وانهوا سيطرتهم على اودغست^(١)، وتحكموا بطريق التجارة مع بلاد السودان لفترة طويلة، الا ان قبائل ذوي حسان احتكرت هذا الطريق اعتبارا من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بعد سيطرتهم على السوس واقتسامهم جبايته من قبائل المعامدة وصنهاجة^(٢). وكان الملح اهم السلع التجارية المتبادلة بين السودان وبلاد المغرب، ففي المغرب الأقصى كان الملح يحمل من سجناسة وديار لمتونة وجدالة حيث مجالات عرب المعقل^(٣).

وفي افريقية كان معاش عرب ذياب من سليم الزين استقروا في منطقة طرابلس وما حولها من تجارة الملح مع مملكة برنو^(٤)، والدول النصرانية^(٥)، وبجانب توفر المعادن في المناطق التي انتقلت اليها واستقرت بها بعض هذه القبائل، فان المنطقة الممتدة بين طرابلس وبرقة، وجد بها معدن الكبريت التي تحمله قوافلهم الى غيره من

(١) البكري، المغرب، ص ١٥٨، ص ١٥٩، ص ١٦٨.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٦٩، ص ٧٠.

(٣) مجهول، الاستبصار، ص ٢٠٠، ص ٢٠٢.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٨٧.

(٥) التجاني، الرحلة، ص ٢٠٦، حيث يصف الطريقة التي يتم فيها استخراج الملح

ومن ثم تصديره الى اوربا.

البلاد^(١). كما سيطر العرب الهلاليون على بعض السلع والبضائع وتعاملوا في نقلها داخل الاسواق المغربية، فمثلا احتكروا تموين مدينة مرسى الخرز بما تحتاجه من الاغذية، مقابل ما تنتجه من صيد المرجان الذي كان يصدر الى جميع الجهات، كما آلت اليهم تجارة بونه وما تحققة من ارباح، وآمدوا مدينة تونس بما تحتاجه من الحبوب والصل، والسمن. وشاركوا تجارة قسنطينة فيما يتجرون حتى عمرت اسواقها واغنتى تجارها^(٢). وبجانب سيطرتهم على التجارة مع بلاد السودان ونقلهم العديد من البضائع والسلع بين الاثنتين وحمايتهم للطرق التجارية الصحراوية وعملهم في التجارة الداخلية واسواقها، سيطرا كذلك على العلاقات التجارية مع الديار المصرية، وفرضوا طاعتهم على الطريق التجاري من الاسكندرية الى طرابلس، حيث اقاموا فرقا من الفرسان للقضاء على ما يهدد امن هذا الطريق^(٣). ولا بد لنا من القول ان اغلب العاملين في التجارة من التجار المغاربة كانوا من ابناء الطبقة الوسطى وخاصة من الفقهاء ارباب الخطط الرسمية، او من كبار الملاكين لئلا يضي والصنائع^(٤) ونجد بعض التجار المغاربة من عامة الناس

(١) ابن سعيد، بسط الارض، ص ٨٠.

(٢) الاريسي، نزهة المشتاق، ص ٩٤، ص ١١١، ص ١١٦، ص ١١٧.

(٣) م. ن. ص ١٢٢.

(٤) ابن القطان، ابو على بن محمد بن عبد الملك، نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من اخبار الزمان، تحقيق محمود على مكي، منشورات كلية الاداب والعلوم الاسلامية، جامعة محمد الخامس المطبعة المحمدية (تطوان / بلا) ج ٦، ص ١٣٨. وكان اغلب الفقهاء يستثمرون اموالهم في الشركة في التجارة فيقرضوا اموالهم للآخرين على ان يكون الربح مناصفة وهذا -

البسطاء، حيث ان بعضهم احترّف مهنة الدلالة او السمسرة في السلع فيشير ابن الزيات^(١)، الى ان ابا علي حسين بن عبد الله كان دلالا في قيسارية مدينة مراكش. واخيرا يجب الاشارة الى مسألة مهمة حول معلوماتنا عن العاملين في الاسواق في العصر المرابطي والموحدي حيث كانت اغلبها مستمدة مما كان معروفا في بلاد الاندلس، لان مصادرها عن العاملين في الاسواق من التجار المغاربة سواء كانوا من الحرفيون ام العاملين في القطاع التجاري هي مصادر اندلسية وقليل منها مغربية معتمدة على ما كان متعارفا عليه في البلاد الاندلسية وخاصة الوئشربشي في كتابه المعيار المغرب.

ومع ذلك نقول انه ليس من المعقول ان تعرف بلاد الاندلس هذه التنظيمات الحرفية والمهنية والتنظيمات التجارية وترتكها في بلاد المغرب وهم تحت سيادة نظام وحكم واحد.

ج النجار من غير المغاربة

تعددت عناصر التجار من غير المغاربة بالعمل داخل الاسواق المغربية فمنهم العراقيين والمصريين والاندلسيين والأوربيين واليهود والسودانيين، الا ان اكثر العناصر انتشارا وتأثيرا في العمل التجاري هم اليهود. فمنذ القرن الاول الهجري/السابع الميلادي كانوا يمتلكون سوقا خاصا بالقيروان اسمها سوق اليهود^(٢)، حتى انهم كانوا يتقبلون المكوس

^١ النوع من الشركة فيه فوائد السلف دون الوقوع في الربا. انظر، ابن

الزيات، التشوف، ص ١٦٩، ص ١٧٠.

(١) ابن الزيات، التشوف، ص ٤٠٣.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٣٩، ص ٧٠، ص ١٠٩، ص ١٩٥،

ص ٣٢١. الخشني، طبقات، ص ٢٢٢.

في الاسواق^(١). وهذا مما يدل على نفوذهم الواسع في ميدان العمل التجاري.

ويرى المستشرق اشتور^(٢)، ان اليهود الذين كانت لهم سوق بالقيروان كان يطلق عليهم بالرهادنة، ويشير الى ان هذا اللفظ لم يكن يقتصر على اليهود فقط، بل كان بعض الرهادنة من المسلمين.

وانتشر اليهود في كل مدن بلاد المغرب وخاصة مدينة فاس التي كانت مركزا لهم منذ تأسيسها، على الرغم من المصاعب الكثيرة التي عاشوها^(٣)، وقد عملوا في حقل التجارة منذ عصر المرابطين وخاصة في التجارة الخارجية مع اسبانيا ومصر، وعن طريق مصر الى الهند الا ان سيطرة الايطاليين على سواحل البحر المتوسط، اقصى اليهود من ممارسة هذه المهنة^(٤).

(١) حسن حسني عبد الوهاب، ورفات، ج ٢، ص ٥٣.

(٢) اشتور، التاريخ الاقتصادي، ص ١٢٤. ويذكر انه تم العثور في بقايا مقابر القيروان على اسماء عدد من التجار الرهادنة، وعبارة الرهادنة ما تزال تستخدم في الدارجة في جميع مناطق الشمال الافريقي بشكل متحول بعض الشيء (رهاطنة) وتعني الرجل القادر على جمع المال وحسن المتاجرة به. انظر : م. ن، ص ١٢٤، ص ١٢٥.

(٣) انظر عن بعض المذابيح بحق اليهود، ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٦٩، الاستبصار، ص ٢٠٢. وكيف عمل المرابطون والموحدون والمرينيون من الحد في عبثهم بالقضايا التجارية. وانظر ايضا : مجهول، الحلل الموشيه، ص ٦٥.

(٤) الشرقاوي، عبد الحميد، الملاحة البحرية الاندلسية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، دار صادر (بيروت، بلا) ص ٥٩.

وتفيد بعض الروايات المغربية بأن اليهود برعوا في التجارة واستعمال الحيل فيها ولاسيما في مدينة فاس، وخاصة خلال عصر الموحدين والمرينيين الذين سمحوا لليهود بممارسة نشاطهم التجاري، سواء كانوا يهود مغاربة أو غير مغاربة، حيث اشارت بعض المصادر عن صلة يهود مرسيليا بيهود مدينة فاس وسبته الذين تمكنوا من تحقيق حضور لليهود مرسيليا في العمل بتجارة الذهب مع السودان^(١) خصوصا وان لهم مساهمات واسعة في تجارة القوافل مع بلاد السودان، فقد " تحكّموا في الطريق الرابط بين مراكش وسجلماسة، أي في طريق الذهب ^(٢) ".
 اما العنصر الثاني المهم من التجار غير المغاربة فهم الاوربيون وخاصة تجار المدن الايطالية الذين بدأ اعدادهم تزداد منذ عصر الموحدين. حيث اعطوا بعض الامتيازات في التجارة المغربية عن طريق عقد العديد من الاتفاقيات التجارية بينهما وبين الحكومة المغربية المختلفة كما مر بنا سابقا، مما ساعدهم على السيطرة ليس فقط على بعض من تجارة المغرب الخارجية وانما كان لهم دور كبير في نقل البضائع والسلع التجارية بين اقاليم المغرب الثلاثة حيث كانت سيطرتهم على مراسي وموانئ البحر المتوسط عاملا مساعدا في تشجيعهم على النقل البحري من مرسى الى اخر ^(٣).

(١) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الأقصى، ص ٧١. لقد كان اغلب اليهود في العصر المريني يشتغل في حقل الصياغة وسك النقود، انظر، الحكيم، الدوحة، ص ١١٥، ص ١١٦، ص ١٤٨.

(٢) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الأقصى، ص ٧٢.

(٣) انظر : ابن جبير، الرحلة، ص ٨، ص ٩، ص ٨٣، ص ٣٠٩.

وكان تجار مدينة جنوة الإيطالية هم اول من استخدم عقود المبادلة التجارية مع تونس الحفصية، كما ان تجار مرسيليا رصدوا اموالا كثيرة في حقل التجارة والنقل وتدل العقود العشرين التي امضاها اصحاب رؤوس الاموال التجار المسمون مندو وال (Manouel) بين عامي (١٢هـ - ٦٤٦هـ / ١٢١٢-١٢٤٦م) على انهم باعوا بمدينة بجاية وسبته ووهران وتلمسان نقودا عربية قيمة نصف درهم وكاتوا بضربونها في مونبليه (Montpellier) قصد التصدير^(١).

ويشير جوليان^(٢)، ان تجار مدن البندقية وفلورانس والارغوان كانوا يقومون بدور هام في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، فكان لال اكسيولي (Acciaiaoli) وبروجي (Perruzzi) من فلورانس الذين فتحوا في تونس وكالات خاصة لهم سمح لهم بها لممارسة بعض المهام التجارية كالتأمين على المراكب ونقلهم لاي نوع مختلفة من السلع والبضائع الى الاسواق المغربية.

وفي اشارة للنميري^(٣)، عن التجار الاوربيين في بلاد المغرب يذكر ان هناك عدد كبير منهم منتشرا في مدن المغرب

(١) جوليان، افريقية الشمالية، ج ٢، ص ١٦١.

(٢) م. ن، ج ٢، ص ١٩٦، وليس ادل على تجار المدن الاوربية داخل الاسواق المغربية هو وجود العديد من الفنادق الخاصة بهم والتي ساهمت بعض الحكومات في بنائها، انظر، الفقرة الخاصة بالفنادق في الفصل الاول من هذه الدراسة وكذلك العلاقة التجارية بين بلاد المغرب والبلدان الاوربية في الفقرة الخاصة بهذا الفصل.

(٣) فيض العباب، ص ١٧٥، ص ١٧٧، وانظر : التازي، عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ اقدم العصور الى اليوم (المحمدية، بلا)، ص ١١٨.

المختلفة كالجنوبيين البزنسيين والفلورنسيين والميورقيين والقطلاتيين الارغونيين والفرنسيين.

اما العنصر الاخر من التجار غير المغاربة، فكانوا السودان من مناطق غانة فلم يكن يعملون في التجارة عبر الصحراء وخاصة في العصر المرابطي الا عدد قليل منهم^(١)، بينما دخلوا في ميدان هذه التجارة في العصر الموحي ومع بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، اصبحت لهم جاليات كبيرة من التجارة في مدينة سجلماسة^(٢).

وكان للاتدلسيين المهاجرين الى المدن المغربية دور مؤثر في العمل التجاري، فقد شهدت طانغة منهم في منطقة المغرب الادنى (افريقية) العمل بهذا الميدان، فقد ذكر لنا الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل النمطي في كتابه الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم " حيث زار مدينة تونس في نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي أي في حدود عام (٨٦٦هـ / ١٤٦٢م) حيث حل ضيفا عند كبير التجار في تونس الحاج ابي القاسم البنيولي الغرناطي نزيل تونس وكبير التجار فيها. وذلك على عهد المتوكل على الله الحفصي (٨٣٩-٨٩٣هـ / ١٤٣٦-١٤٨٨م)^(٣).

ان لقب كبير التجار الذي حمله ابو القاسم البنيولي الغرناطي لدلالة على ان قطاع التجارة قد هيمن عليه الاتدلسيون وربما يكون هذا

(١) انظر، عنهم، البيذق، اخبار المهدي، ص ٦١، ص ٧٣، ص ٩٩.

(٢) المقرئ، نفع الطيب، ج ٣، ص ١٠٥.

(٣) برانشفيك، تاريخ افريقيا في العهد الحفص، ج ١، ص ٢٠، ص ٢٢ وانظر :

الطالبي، محمد، دراسات في تاريخ افريقيا وفي الحضارة الاسلامية في العصر الوسيط، منشورات الجامعة التونسية (تونس، ١٩٨٢)، ص ٢٠٢.

التاجر الكبير من بين عدد آخر من التجار الذين لم تذكرهم المصادر التاريخية، خاصة إذا ما اعتمدنا على إشارة وردت عند الفبريني^(١)، مفادها ان ابا بكر محمود بن محرز كان يرأس الجماعة الاندلسية في بجاية، وربما يكون ابو بكر من التجار الكبار ايضا في مدينة بجاية، وهناك عدد آخر من التجار الاندلسيين في العصر المريني^(٢).

كما ان التجار المشاركة كانوا يدخلون في بلاد المغرب لغرض العمل التجاري وخاصة المصريين والعراقيين منهم، واستقر بعضهم في مدن مختلفة من البلاد مثل سجلماسة وفاس واغامت وغيرها^(٣).

(١) عنوان الدراية، ص ١٧١.

(٢) منهم على سبيل المثال اسماعيل بن الخشاب والطرطوشي. انظر عنهم، مزاحم علاوي شاهر، الاوضاع الاقتصادية على عهد المرينيين (٦٦٨-٧٥٩هـ / ١٢٦٩-١٣٥٨م) رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، ١٩٩٤. ص ١٢٤. وانظر : روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص ٥١.

(٣) انظر عنهم، ابن القطان، نظم الجمان، ج ٦، ص ١٤١. ابن سعيد، الجغرافية، ص ٦١، ص ٦٤. ابن الزيات، القشوف، ص ١٧٨. مجهول، الاستبصار، ص ١٣٠.

الفصل الثالث

وسائل التعامل وطرق البيع والشراء داخل الأسواق المغربية

أولا : النظام النقدي

١- العملة المستخدمة في الأسواق

يجد الباحث تنقفا مبعثرة من تاريخ النقود المغربية في كتب التراث الإسلامي، ومع ذلك فإن هناك من دون في هذا الباب، كالحكيم في الدوحة المشتبكة، والوزان في وصف إفريقيا، وابن بطوطة، في كتاب الرحلة، والمقرئزي في شذور العقود، فضلا عن الآثار والنقود التي يعثر عليها داخل المناطق الاثرية في مدن المغرب عموما.

ومن المعروف، ان العملة المغربية، وخلال القرون الاربعة الهجرية الاولى، انتشرت في انحاء العالم، وخاصة خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد واصبح الدينار المغربي نقدا دوليا مستعملا في المعاملات التجارية والمالية، وحل محل الدينار البيزنطي الذهبي، وخاصة في الايام الاخيرة لحكم الفاطميين لبلاد المغرب، حيث اكثر الفاطميون من سك العملات الذهبية، فسكوا الى جانب الدينار الذهبي عملات اخرى، اهمها الدينار الرباعي (أي ربع الدينار)، وصدروا منه كميات كبيرة خارج البلاد، حتى انتشرت عملتهم على نطاق واسع في انحاء العالم الاسلامي، ووصلت الى اوربا عن طريق صقلية والى جزيرة مدغشقر^(١).

(١) موريس لمبارد، الذهب الاسلامي من القرن السابع الى الحادي عشر، ضمن بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة، توفيق اسكندر، مطابع دار النشر للجامعات المصرية، (القاهرة، ١٩٦١)، ص ٦٥. وانظر، الخربوطلي، =

وبذلك أصبح الدينار المغربي نقدا دوليا يحمله لتجار أينما ذهبوا، وذلك للقوة الشرائية الكبيرة التي يتمتع بها، وإذا ناتج من التدفق الكبير للذهب السوداني على بلاد المغرب.

واستمر الدينار المغربي يحتل مكانة كبيرة في العال الاسلامي حتى فترة دراستنا حيث عملت الحكومات التي تعاقبت على حكم البلاد، من ضرب عملات مختلفة في اغلب المدن الافريقية، الا ان المشكلة الوحيدة التي تعاني منها العملة المغربية، هي مسألة التوحيد في ضرب وقيمة هذه العملة من اقليم الى اخر، وحيانا يدخل الاختلاف في الوزن داخل المدينة الواحدة، وهذا بطبيعة الحال يؤدي الى عدم استقرار الاسواق، وتقلب اسعار السلع والبضائع المتداولة فيها، وسنحاول التعرف على اهم العملات المتداولة في فترة هذه الدراسة داخل الاسواق المغربية. في ضوء اهميتها في عملية البيع والشراء^(١).

أ- العملة المرابطية :

في عهد المرابطين، كانت العملة تقوم على اساس المعدنين، الدينار او المثقال الذهبي، والدرهم الفضي، ومن الدراهم قد يضربون انصافا وارباعا واثماتا، او قد تضرب منه وحدات تعرف بالقراريط

= علي حسين، الاسلام في حوض البحر المتوسط، دار الملايين (بيروت، ١٩٧٠)، ص ٩٥.

(١) لن نستعرض هنا انواع العملات المغربية من الناحية التاريخية الاثرية، لان هذا بحد ذاته يحتاج الى دراسة مفصلة، وما يهمنا هو استخدام هذه العملة داخل الاسواق المغربية، واستخدامها في عملية البيع والشراء.

والخراريب^(١). ان اقدم سكة عرفت ايام المرابطين، كانت على عهد ابي بكر بن عمر (٤٤٨هـ - ٤٥٣هـ / ١٠٥٤م - ١٠٥٩م)، سنة (٤٥٠هـ / ١٠٥٢م)، حيث حملت اسمه الى جانب اسم الخليفة العباسي^(٢). ثم ضرب يوسف بن تاشفين (٤٥٣هـ - ٥٠٠هـ / ١٠٥٩م - ١١٠٦م) الدنانير في سنة (٤٦٤هـ / ١٠٦٦م)^(٣).

لقد كان من نتيجة تدفق الذهب والفضة من مناجم المرابطين بكميات كبيرة وتدفعه من بلاد السودان، قد فاق وزن الدينار المرابطي في عهد يوسف بن تاشفين. الوزن الشرعي للدينار في فجر الاسلام، الذي كان يزن ٤.٢٥ غم. في حين بلغ وزن الدينار الذهبي ما بين (٤.٠٥ و ٤.٣٠ غم)^(٤). كما فاق وزن الدرهم الفضي المرابطي الذي كان يزن ما بين (٣.٩٢ و ٦.٢٠ غم) فضة، الوزن الشرعي للدرهم في فجر الاسلام الذي كان يزن (٢.٩٧ غم)^(٥).

(١) المراكشي، المعجب، ص ٢٠٧، وانظر. ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٤٢. واخرويه تسلاوي وزنا قيراطا، أي ٢٤/١ من المثقال. ويساوي ٠.١٩٥ غم. اما القيراط، فيساوي ٢٤/١ من المثقال، ويتألف من خمس حبات، والحنة تساوي ١٠٠/١ من المثقال، أي ٤٤٦% غم وهي تختلف باختلاف وزن الدرهم، فالتر، هنتس، المكاييل والاوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، (عمان، ١٩٧٠)، ص ٢٥، ص ٤٠.

(٢) عبد العزيز بن عبد الله، مظاهر الحضارة المغربية، (الدار البيضاء، بلا)، ج ١، ص ٧٥، وانظر، الجنحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي، دار المغرب الاسلامي، (بيروت، ١٩٨٦)، ص ١٠١، ص ١٠٣.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٤٦.

(٤) الهرفي، دولة المرابطين، ص ٢٨٨.

(٥) م. ن، ص ٢٨٩.

والى جانب الدنانير الذهبية والدراهم الفضية، ضرب المرابطون ايضا، القراريط (١٦/١ من الدراهم) او الرباع، (٤/١ من الدراهم)، والدوانق (٦/١ من الدرهم)، فضلا عن القطع الثمينة التي كانت تساوي (٨/١ من الدينار الذهبي)^(١)، وهي عملات صغيرة تضرب عادة من الفضة والذهب يتعامل بها الناس في البيع والشراء، وذلك لسهولة تداولها، وقد وجدت في بين دار المسنمين بعد وفاة يوسف تاشفين، ثلاثة الاف ربع من الورق، وخمسة الاف واربعون ربعا من الذهب، وكان المستعين بن هود، قد اهدى الى يوسف سنة (٤٩٦ هـ / ١١٠٤م) اربعة عشر ربعا من انية الفضة فضربها جميعها قراريط مرابطية^(٢).

وكانت دور الضرب المرابطية كثيرة، بحسب تعدد العمال والولاة الذين كان بإمكانهم ان يضربوا العملة باسم امير المؤمنين في اقاليم المغرب ومدنه المختلفة، كفاس، ومراكش وسجلماسة واغامت وتلمسان وغيرها^(٣). ولقوة اقتصاد دولة المرابطين، احتفظت العملة المرابطية بعد نهاية دولتهم بقيسة نقدية كبيرة، حتى اصبح النقد المرابطي نقدا دوليا^(٤).

(١) ابن رشد، مسائل بن رشد، ج٣، ص٣٠٨، ص٣٠٩. عن الهرفي. دولة المرابطين. ص٢٨٩.

(٢) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، المطبعة الوطنية (الرباط، ١٩٤٣)، ص٢٥١.

(٣) ابراهيم، حركات المغرب عبر التاريخ، تقديم عمر الفاسي (الدار البيضاء، ١٩٦٥)، ص٢٣١، السانح، الحضارة المغربية، ج١، ص١٧٠.

(٤) لقد عرفت اسواق القسطنطينية العملة المرابطية، وتشير العديد من النصوص اللاتينية على ان الاوربيين كانوا يتعاملون فيما بينهم بالعملة المرابطية، التي كانوا يحصلون عليها من دولة المرابطين نتيجة التعامل التجاري معها =

وعلى الرغم من المكانة المرموقة التي احتلتها العملة المرابطية في الاسواق العالمية، إلا أن العديد من المصادر، تشير إلى فقدان القيمة الشرائية لهذه العملة في التدرج في أواخر حكم المرابطين، وخاصة أواخر حكم علي بن يوسف (٥٠٠ هـ - ٥٣٧ هـ / ١١٠٦ م - ١١٤٣ م) حيث انتشر الغش فيها، حتى أن قضية التعامل بالدينار والدرهم المغشوشة بالنجاس أصبحت من القضايا التي تشغل بال الناس في هذا العهد، وهذا يتضح من خلال الاسئلة التي كانت تطرح على الفقهاء بهذا الخصوص^(١).

ويبدو أن هذا ناتج من المشاكل الداخلية التي كانت تعاني منها الدولة المرابطية كالثورات في الأندلس أو غزوات الأسبان النصراني المتكررة على الأندلس أيضاً، كما أن الدولة نفسها عندما قل احتياطها

= فمثلاً في عام (٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م)، تزوج أمير نصراني من فتاة لبنانية. ولكي يدبروا أمر معاشهما، باع الزوجان لفرسان المعبد أراضي لهما في ضواحي مدينة عكا بمبلغ مائتي دينار مرابطية، ثم نجد أن ملك قشتالة، ألفونسو الثامن (٥٥٣ هـ - ٦١١ هـ / ١١٥٦ م - ١٢١٤ م)، يسك عمله تحمل اسمه على نمط السكة المرابطية، بعد استبدال الآيات القرآنية بشعارات نصرانية، حتى أن الفرنسيين ظلوا يسمون الدنانير القشتالية، بالدنانير المرابطية أي (المربواتا)، انظر، فيليب حتي، تاريخ العرب المطول، ج ٥، ص ٦٤٥، ومارك بلوك، مشكلة الذهب في العصر الوسيط. ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي، ص ٤، ص ٥، ومزيداً من المعلومات عن قوة العملة المرابطية، انظر : المطليبي، توفيق. النقود العربية، غزت أوروبا في العصور الوسطى، مجلة العربي، العدد ٢٧٦، السنة ١٩٨١، ص ١١٣، ص ١١٤.

(١) ابن رشد، مسائل بن رشد، ج ٥، ص ٧٩٢. عن الهرقي، دولة المرابطين، ص ٢٨٥، ص ٢٩٠.

من الذهب الخالص، قامت بسك عملات نحاسية لتسديد نفقات تجهيز الجيش ودفع مرتبات الجند^(١).

ب- العملة الموحدية :-

أما العملة الموحدية، فتشير المصادر، الى ان العملة الموحدية، كانت تمتاز بارتفاع قيمتها ليس فقط في بلاد المغرب، وإنما في المشرق الاسلامي ايضا، ونسبت اقوى العملات الموحدية الى عبد مؤمن بن علي (٥٢٤هـ - ٥٥٨ هـ / ١١٤٥م - ١١٦٦م) فكان يقال الدينار المؤمني والدرهم المؤمني^(٢).

وبعد ابو عبيد الله المهدي (٥١٥ هـ - ٥٢٤ هـ / ١١٥٢ - ١١٦١م)، القائم بأمر الموحدين اول من ضرب الدراهم المركنة، وكانت الدراهم قبل ظهور الموحدين كلها مدورة، وكان حسابها في عهد الموحدين عشرين منها في الاوقية، وثلاثة منها في الدينار^(٣). كما سك المهدي عملة مربعة استعملت على هذا الشكل الى عهد المؤمن (٦٢٤هـ - ٦٣٠ هـ / ١٢٢٥م - ١٢٣١م) الذي الغاها، واعاد السكة المدورة، كما ان المنصور يعقوب بن يوسف (٥٨٠ هـ - ٥٩٠ هـ / ١١٧٦م - ١١٩٦م)، سك عملة ثقيلة كان وزنها ما يعادل (٤.٧٢٩ غم). ولم يتجاوز قبل الدينار الذهبي (٣.٩٦ غم)^(٤). كما

(١) الهرفي، دولة المرابطين، ص ٢٩١.

(٢) الحكيم، الدوحة المشبكة، ص ٤٩، ص ٥١.

(٣) الحكيم، الدوحة المشبكة، ص ٥٣.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٢١١. المراكشي، المعجب، ص ٢٣٠، المنوني،

محمد، العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين (تطوان. ١٩٥٠)،

ص ٢٥٨.

ضرب المنصور يعقوب بن يوسف، عملة كان يطلق عليها بالديناتير اليعقوبية^(١).

ومن النقود الجيدة في العصر الموحيدي، هي النقود المحمدية المنسوبة إلى محمد الناصر (٥٩٥ هـ - ٦١٠ هـ / ١١٩٦ م - ١٢٠٢ م)، رابع الخلفاء الموحدين، والتي استمر التعامل بها حتى في عصر المرينيين^(٢).

لقد كان الدينار الذهبي الموحيدي كبيراً في النقود الذهبية في الإسلام، حيث يتجزأ إلى نصف دينار، وربع دينار، وأحياناً إلى ثمن الدينار، واختلف في وزنه، فقد كان يزن (٤,٤٦ غم)، ثم انخفض إلى (٣,٣٥ غم)، ثم تضاعف في عهد المنصور، فكان يزن (٤,٧٢ غم)، واستمر هذا الوزن الكبير في قيمة الدينار الذهبي طيلة حكم الموحدين^(٣).

ج- العملة المرينية :-

وفي عهد المرينيين في المغرب الأقصى، تعددت العملات المستخدمة في داخل الأسواق. فكان الدينار الذهبي، والدينار الفضي، والدرهم الكبير، والدرهم الصغير والفرنس. فالدينار الذهبي في العصر

(١) المراكشي، المعجب، ص ٢٥٦.

(٢) الحكيم، الدوحة المشبكة، ص ٥٩، ص ١١٨.

(٣) الحني، عبد الرزاق، الكني واللقاب على نقود دولة المرابطين والموحدين في شمال إفريقيا والاندلس، مجلة سومر العدد ٣، السنة ١٩٧٤، ص ٢٢٣، وانظر هنتس، المكايل والاوزان، ص ١٠، الذي يشير إلى أن الدينار الموحيدي لم يظاها في القيمة أي دينار آخر.

المريني، وزن أربع وثمانين حبة من حبوب الشعير، ومتوسط وزنه (٤,٥٦ غم)^(١).

أما الدينار الفضي، فتركب من عشرة دراهم صغار^(٢)، التي يزن الواحد منها ثمانتي حبوب من الشعير^(٣).

وشهدت الأسواق المغربية، أنواعا مختلفة من الدراهم الفضية الشائعة في التداول بين الناس، فقد كانت الدراهم القرطبية (نسبة إلى مدينة قرطبة الأندلسية) والدراهم البجائية (نسبة إلى مدينة بجاية في المغرب الأوسط) والدراهم البصرية (نسبة إلى مدينة البصرة المغربية)، والدراهم اليهودية (نسبة إلى هود)، والدراهم المحمدية (نسبة إلى محمد رابع الخلفاء الموحدين)، والدراهم المؤمنية (نسبة إلى عبد المؤمن بن علي). فضلا عن الدراهم الجنوبية (نسبة إلى مدينة جنوة الإيطالية)^(٤)، فنتيجة هذا الاختلاف في الدراهم الفضية، وما تركه من أثر في عملية البيع والشراء داخل الأسواق، قام يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦ هـ - ٦٨٥ هـ / ١٢٥٨ م - ١٢٨٦ م). بضرب الدراهم، أطلق عليها بالدراهم اليعقوبية، التي يزن الواحد منها، تسعة وستين درهما عاديا^(٥). كما جعل يعقوب بن عبد الحق في الدرهم المحمدي الشائع في الواحد

(١) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ٨٦، وانظر، ج - د - بريت، النقود والأوسمة المغربية (الدار البيضاء، ١٩٣٩)، ص ١٨٠، ص ١٨١.

(٢) السلاوي، الاستقصاء، ج ٢، ص ١٢٨.

(٣) المنوني، محمد، ورقات من الحضارة المرينية، (الرباط، ١٩٧٩)، ص ٩٨.

(٤) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ٨٨، ص ٨٩.

(٥) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ٨٨.

منه ثلاثة دراهم صغيرة، ليسهل عملية التبايع داخل الاسواق، وذلك سنة (٦٧٤ هـ / ١٢٦٢ م)^(١).

وكان الدرهم الفضي الكبير يزن اربع وعشرين حبة من حبوب الشعير ويتكون من ثلاثة دراهم صغار^(٢)، التي يزن الواحد منها كما ذكرنا ثماني حباب، وهناك جزنيات لهذا الدرهم الصغير، فيتجزء الى نصف درهم الذي هو نفس القيراط ووزنه ثلاث حبات^(٣).

وضرب ابو الحسن علي بن عثمان (٧٣١ هـ - ٧٥٢ هـ / ١٣٣١ م - ١٣٥١ م) انواعا مختلفة من النقود، حيث اعد بدار السكة بمدينة فاس، الف دينار من الذهب المطبوع، والـ ألف اوقية من الدراهم المطبوعة^(٤)، ويقصد بالمطبوع، أي المحتوم بختم دار السكة.

وسك ابو عثمان (٧٥٢ هـ - ٧٥٩ هـ / ١٣٥١ م - ١٣٥٩ م)، دينارا ذهبيا كبيرا يزن مائة دينار ذهبي عادي، لتقدمه لبعض الشخصيات المروقة، كذلك سك دنانير ذهبية اخرى وزن الواحد منها ديناران عاديان، وقد وردت هذه الدنانير في رسالة شكر بعث بها ابن ابي حجلة الى ابي عثمان، وفيها يذكر العملة التي تزيد في السك للدينار ديناراً، ويصفها باتساع دائرتها عن الدنانير الأخرى، وبأنها صفراء فاقعة اللون من الذهب الخالص^(٥).

والنقود المرينية كلها مستديرة الشكل، باستثناء الفلوس، فهي نقود فضية مربعة الشكل ومستطيلة الشكل، ويبدو ان النقود المرينية

(١) الوزان، وصف أفريقيا، ج١، ص ٨٩.

(٢) المنوني، ورقات، ص ٩٨.

(٣) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٢١٧.

(٤) الحكيم، الدوحة المشبكة، ص ٧٨.

(٥) المنوني، محمد، نظم الدولة المرينية، ص ٢٤٣.

كانت تضرب من الذهب والفضة في الاعم الاغلب، فالمعروض من النقود الفضية قليل، والموجود من النقود الذهبية فهو كثير، وخاصة الدينار والنصف والربع.^(١)

بمرور الزمن ومن تفاقم الازمات السياسية في بلاد المغرب، فقدت النقود المرينية الكثير من قيمتها ونقاوتها بعد عام (٧٣٦ هـ / ١٣٣٥م)، حيث اخذت تظهر نقود مشوشة ضربت من قبل اليهود، وقد قاوم هذه الظاهرة بشدة كل من ابي الحسن وابي عثمان وبعد وفاتهما، فقدت النقود المرينية قيمتها، وقل موجودها فصارت النقود قليلة^(٢).

واخيرا لا بد لنا ان نذكر ما اشار اليه العمري من مقارنة العملة المرينية بعملات الدول المجاورة، كمصر والشام، وكذلك قيمة الدنانير والدراهم المرينية، فيشير العمري^(٣) ان معاملتهم (أي المرينيين)، بالمثقال الذهبي. وكان يساوي مائة وعشرين من الدراهم الصغار، وهي ستون درهما من الكبار الا ان كل درهم من الكبار بدرهمين من الصغار. وكل درهم من هذ الدراهم الكبار يكون نظير درهم اسود في مصطلح اهل مصر، والدرهم الاسود في مصر، هو ثلث درهم نفرة من معاملة مصر والشام، وكل ثلاثة دراهم كبار بدرهم واحد نفرة من معاملة مصر والشام، واما الدراهم الصغار فكل درهم منها. نصف درهم اسود، يكون سدس درهم نفرة من معاملة مصر والشام، وحيث يقال درهم ويسكت،

(١) ج - بریت، النقود والاسمة المغربية. ص ١٦٩، ص ١٦٩.

(٢) بریت، النقود والاسمة المغربية. ص ١٦٨.

(٣) مسالك الابصار، ص ١٢٦.

يراد به الا درهم الصغير، وهو سدس الدرهم، الا بمراكش وما جاورها، حيث قيل درهم لا يراد به الا الدرهم الكبير^(١).

ويبدو لنا مما كتبه العمري، ان كل درهم من الدراهم المرينية الكبار يساوي ثلث الدرهم المستخدم في مصر والشام، بينما الدرهم الصغير كان يساوي سدس الدرهم المستخدم بمصر والشام، وبما ان المثقال الذهبي المريني يساوي ستين درهما كبيرا، فهذا يعنى ان المثقال المريني يساوي عشرين درهما من دراهم النقرة في مصر والشام.

د- العملة الحفصية والزانية

اما بالنسبة للحفصيين في تونس، فقد ضربوا ايضا الدنانير الذهبية والدراهم الفضية، والفلوس النحاسية المعروفة باسم (الحدوس)، فالحفصيون هم اول من طبع الدرهم التونسى المسمى بالجديد، وكذلك الدينار التونسى، وكانت معاملتهما بالدراهم بنوعين، احدهما يسمى القديم، والاخر الجديد ووزنهما واحد، ولكن نقد الجديد خالص ونقد القديم مغشوش بالنحاس، وان التفاوت بينهما، ان كل عشرة دراهم عتيقة بثماتية دراهم جديدة، أي ان كل عشرة دراهم عتيقة، تساوي دينار واحد، وهذا الدينار مسمى لا حقيقه له^(٢). ووضح لنا الجزيري^(٣)، القيمة النقدية للعملة الحفصية، فيشير الى ان الحفصيين

(١) م، ن، ص ١٢٦، ص ١٢٧. وانظر، القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٠٨، ص ١٠٩.

(٢) العمري، مسالك الابصار، ص ٨١، ص ٨٢، وانظر : القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٠٩.

(٣) الجزيري، عمر بن الرشيدى، ابتسام نعروس ووشي الغروس في مناقب سيدي احمد بن عروس (تونس، ١٣٠٣ هـ)، ص ٢٨٠، وانظر العامري، تاريخ المغرب، ص ٣٣.

هم اول من طبع الدرهم التونسي المسمى بالجديد، والدينار التونسي، ففي سنة (٦٨٦ هـ / ١٢٨١م) كان النصاب الشرعي من الدرهم التونسي المسمى بالجديد ثلاثمائة درهم، وستة وثمانين درهما، وستة اجزاء من ثلاثة عشر جزءا من درهم، وعلى ما اختاره الفقيه ابن عرفة سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٥٩م)، اربعمائة درهم وعشرين درهما، وان الاختلاف بين التقديرين ناشيء من عدد حبات الدراهم في التاريخين، ففي الاول ستة وعشرون حبة من الشعير الوسط المقطوع الذنب، وفي الثاني اربعة وعشرون حبة.

اما نصاب الدينار الذهبي، بالدينار الحفصي، فثمانية عشر في سنة (٦٨٤ هـ / ١٢٨١م) وعلى رأى ابن عرفة سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٢٩م) سبعة عشر وتسعة وعشرين جزءا من ثلاثة وثمانين جزءا^(١). ويعد الحفصيون اول من طبع نقودا نحاسية من بين حكام المغرب في فترة دراستنا وكتاتوا يسمونها الحندوس (يعني السوداء اللون)، وهي فلوس نحاسية يتصرف بها الناس داخل الاسواق، وذلك لصغر حجمها ولسهولة تداولها، وكان ذلك على عهد المستنصر بالله الاول (٤٦٧ هـ - ٦٧٥ هـ / ١٢٤٩م - ١٢٧م) فقد اخبرنا ابن خلدون^(٢)، قائلا - واستحدث السلطان (المستنصر بالله الاول)، سكتة من النحاس مقدرة على قيمة من الفضة يحكى بها سكة الفلوس بالمشرق الاسلامي، وتسهيلا على الناس في المعاملات باصرافها وتيسيرا

(١) الجزيري، ابتسام العروس، ص ٢٨١. وانظر العامري، تاريخ المغرب،

ص ١٣٣، ص ٣٤.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج ٨، ص ٦٥٨. الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ٣٨.

الغبريني، عنون الدراية، ٩٢، هامش رقم ٤.

لاقتضاء حاجاتهم، ولما لحق سكة الفضة من غش اليهود المتناولين لصرفها وصوغها، وسمى سكته التي أحدثها بالحدوس (يعني السوداء)، ثم أفسدها الناس بالتدليس، وخرّبها اهل الريب ناقصة على الوزن وفشا فيها الفساد... وأعلن الناس النكير في شأنها وتنادوا بانسلطان في قطعها... فزال السلطان تلك السكة.

وفي عهد ابي عزم عثمان (٨٣٩هـ - ٨٩٣هـ / ١٤٣٥م - ١٤٨٨م)، جدد ضرب الدرهم أنفسي وأطلق عليه اسم الناصري، وجرّنه الى خمسي، وهو خمس اسداس الدرهم، والى خروبة وهو اربعة اسداس الدرهم، والى نصف ناصري (يعني $\frac{2}{3}$ من الدرهم)، والى قفصي وهو القيراط (يعني سدس الدرهم)^(١). ويضيف العلامة حسن حسني^(٢): استنادا الى الوثائق والآثار التي بحوزته معلومات اخرى عن العملة الحفصية المستخدمة داخل الاسواق، فيذكر ان وزن الدينار الحفصي كان يساوي (٤.٣٣ غم) وهو نفس وزن المنقال الشرعي. اما وزن الدرهم الحفصي فكان غراما واحدا ونصفا. يعني انه كان يساوي وزنا نصف الدرهم الشرعي، ويذكر حسني ايضا ان جميع العملات الحفصية مربعة الشكل ومستطيلة الشكل وخاصة التي ضربت في مدن قابس وقفصة وتوزر وطرابلس، وكذلك التي ضربها النواب الحفصيون في مدينة بجاية وبونه وقسنطينة^(٣).

(١) حسن حسني، ورقات من الحضارة العربية، ج ١، ص ٤٦٠. وانظر، ابن عامر،

الدولة الحفصية، ص ٢٥.

(٢) م، ن، ص ٤٥٩.

(٣) حسن حسني، ورقات، ج ١، ص ٤١٦.

أما بنو عبد الواد في تلمسان، فقد ضربوا عملات ذهبية وفضية، وكانت هذه العملات متداولة في الأسواق الداخلية، وفي إشارة من العمري^(١) ذكر فيها أن العملة الزيانية المستخدمة في عملية البيع والشراء، هي نفس العملة المتداولة في تونس الحفصية، إلى جانب بعض العملات المرينية، ومع ذلك فقد ضربوا نقودا خاصة بهم وكتبوا عليها عبارة (ما أقرب فرج الله)^(٢)، ويبدو أن هذه العبارة لها مقاصد سياسية، هي التخلص من السيطرة المرينية.

وأخيرا لابد لنا من القول، على أن هنالك عوامل عديدة، أدت بشكل، وبآخر إلى عرقلة عملية التداول النقدي داخل الأسواق المغربية، وبالتالي خلقت تأثيرا واضحا في تباين واختلاف أسعار البضائع والسلع داخل الأسواق وكذلك في عملية العرض والطلب. ويمكن تلخيص هذه العوامل إلى النقاط الآتية :

- ١- تختلف أسعار العملة باختلاف أسعار الذهب والفضة من وقت لآخر.
- ٢- لم تقدم الحكومات المغربية على توحيد العملة، داخل البلد.
- فالمرابطون لم يوحدوا العملة في دولتهم، بل كانوا يضربونها في مختلف أقاليم دولتهم مختلفة الوزن والعتار، وفي عصر الموحدين استمر اختلاف العملة، حيث كانت الدراهم الموحدية الأكثر استعمالا في الأسواق، تضرب في جميع الولايات بمختلف الأوزان والعتارات حتى داخل المدينة الواحدة، وكما مر بنا سابقا^(٣).

(١) مسالك الأبصار، ص ٨١، ص ٨٢.

(٢) أبو زيان الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات (الجزائر، ١٩٦٣)، ص ٢٣٠، ص ٢٣١.

(٣) انظر، عز الدين، النشاط، ص ٢٩٨.

٣- استمر الاختلاف في الوزن في العصر الذي تلى عصر الموحدين، فلم يعمل بنو مرين على توحيد عملتهم، بل ان اتفق لم يكن موحدًا حتى داخل الاقليم الواحد، فعلى سبيل المثال، كانت مدينة مراكش تأخذ بعملة تختتم بها وعملها وما قاربها خطة دون بقية العدة على الاطلاق^(١).

٤- كثرة دور السك في اغلب المدن المغربية، حيث نجدها في مراكش وسجلماسة وفاس، وسبتة وطنجة وتلمسان وتونس، وغيرها. وكان لهذا التعدد في دور السكة اثار سلبية على حركة الاسواق، حيث ساعدت على فتح المجال لتزييف العملة. وقد عمل الصرافون على تحديد وزن العملة ونوعها ومكان طبعتها، باعتبارهم خبراء في نقاوة الذهب والفضة، فاصبحت لهم معرفة كبيرة في هذا المجال، حيث كانوا يتحكمون في قيمة الدرهم الى الدينار، واستغل الكثير منهم جهل الناس من جهة او حدوث فتن سياسية او ازيمات اقتصادية من جهة اخرى، فكثر تزييف العملات، وخاصة الصغيرة منها: كأجزاء الدراهم، حيث يحتاجها الناس في الاسواق لسهولة التعامل به^(٢)، فاصبحت بعض العملات "تباع عددا لا وزنا"^(٣).

وان اكثر ما يوضح عملية الغش وتزييف العملة الناتج من اختلاف الوزن هو ابن الخطيب^(٤)، الذي عاش في الفترة المرينية، فعلى

(١) العمري، مسائل الابصار، ص ٢٩٨، العبدري، الرحلة، ص ١٢.

(٢) عز الدين، النشاط، ص ٣٠٢.

(٣) المعيار، ص ٣٠٥، ٣٧٣، ٣٧٧، على الرغم من عدم جواز البيع عددا.

(٤) ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص ١٥٩.

سبيل المثال اشار الى " تضارب بعض السكان على الاثمان الزبوق بالسيفوف ."

والى جانب هذه العوامل، هناك عامل اخر مهم، هو ما يتعلق بضرب العملة من قبل بعض العناصر الغير مسلمة، وخاصة اليهود الذين احتكروا ضرب العملة في العصر المريني، وذلك بسبب استحواذهم على تجارة الذهب مع بلاد السودان^(١). ولعل احسن ما يعزز هذه الظاهرة بالامثلة الحسن الوزان^(٢)، الذي لاحظ " ان بقرب دار السكة سوق في دكاكين الصاغة وامينهم هو الذي يحتفظ بقالب المعادن وختم النقود ومعظم الصاغة من اليهود".

والى جانب العملات المغربية المختلفة التي اشرنا اليها، عرفت ايضا الاسواق المغربية بعض العملات الاجنبية في عملية البيع والشراء. والتي غالبا ما كانت تعادل قيمة العملة المغربية المستخدمة في السوق، ففي عهد الحفصيون راجت العملة الاسبانية المسماة (بالدوكة)، وهي تعادل الدينار الحفصي، وكذلك (الكرونة) والتي كانت تساوي وزنا الدرهم الحفصي ايضا^(٣). كما شاعت العملة الجنوبية الايطالية في اسواق فاس ايام بني مرين. حتى ان يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦ هـ - ٦٨٥ هـ / ١٢٥٨م - ١٢٨٦م)، كان ينهي كثيرا على

(١) ابن قنفذ، ابو العباس القسنطيني، انس الفقير وعز الحفير، تحقيق محمد الفاسي ودولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي (الرباط، ١٩٦٥، ص٧.

(٢) وصف إفريقيا، ج١، ص٢١٩.

(٣) احمد بن عامر، تونس عبر التاريخ، دار الكتب (تونس، ١٩٧٢)، ص٢١٨.

عدم رواج أي عملة اجنبية اخل الاسواق المغربية، الا عندما تكون على قدر العملة الوطنية في السك والقيمة والوزن^(١).

(١) المنوتي، ورقات من الحضارة المرينية، ص ١٢٤. ومن الملاحظ ان هناك العديد من الاراء حول وزن وقيمة العملة المغربية، خلال فترة هذه الدراسة فالبعض يرى ان العملة المرابطية والموحدية، غزت العالم واصبحت عملة عالمية، وفاقتهها كذلك عملة المرينيين والحفصيين فيما بعد، ولكن الشيء الملفت للنظر، ان الدول المجاورة الى بلاد المغرب كانت عملتها تفوق العملات المغربية بالقيمة خلال فترة هذه الدراسة، فبالإضافة الى ما ذكره لنا العمري والقلقشندي والتي سبق الإشارة إليها، حول مقارنة العملة المرينية والحفصية بالبلاد المجاور وانخفاض قيمتها، تذهب بعض المصادر الى القول في انخفاض قيمة العملات الاخرى، فالدينار المرابطي، كان اقل من الدينار الفاطمي في مصر. (انظر عنه، منصور بن بكرة، كشف الاسرار العملية بدار الضرب المصرية، تحقيق عبد الرحمن فهمي، مطبعة النذير، (القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٥)، وكان الدينار الاميري العرقي يساوي دينارا وثلاثا مرابطيا. (انظر، النطيلي، بنيامين بن يونه، رحلة بينامين ترجمها عن الاصل عزرا حداد، المطبعة الشرقية (بغداد، ١٩٤٥، ص ١٥٤)، اما الدينار الموحي فكان يعادل نصف دينار مصري من ضرب صلاح الدين الايوبي (انظر ابن جبير، الرحلة)، ص ٢٤، ٣٠. ويبدو ان هناك وجهتي نظر مختلفتين، حول قيمة العملة المغربية، الاولى يمثلها الكتاب القداسي، كالرحالة والجغرافيين العرب، الذين اشاروا الى انخفاض قيمة العملة المغربية مقارنة بعملات الدول المجاورة. اما الثانية، فيمثلها المؤرخون المحدثون الذين اتفق بعضهم، على ارتفاع قيمة العملة المغربية بنظيرتها للدول المجاورة، من خلال اطلاعهم على بعض الآثار لهذه النقود. وبدورنا نعتقد ان وجهتي النظر صحيحتان، فالرحالة، اعطوا معلوماتهم من خلال زيارتهم لعديد من الدول في فترة زمنية معينة، ربما لم تمثل عصر دولة او نظام حكم بكامله، فكانت معلوماتهم صحيحة في نطاق زمني محدد، حيث ليس من السعول ان يعاصر رحالة مثلا و يعمر طيلة =

الأوزان والمكاييل والمقاييس

٢- الأوزان والمكاييل :

اتصف نظام المكاييل والأوزان بتنوع وحداته وتباينها من مدينة إلى أخرى، ونظرا لما لهذا النظام من أهمية كبيرة في التعامل المالي والتجاري في عملية البيع والشراء داخل السوق، أوكلت الدولة في عصورها الإسلامية المختلفة مهمة مراقبة هذا النظام إلى شخص يتصف بالورع والتقوى، وله معرفة بأحوال السوق، ذلك هو المحتسب. وذهب

فترة حكم بني مرين أو بني حفص. خاصة ونحن نعرف أن العديد من الحكام قاموا باصلاحات نقدية عديدة في شأن ارتفاع قيمة عملتهم. أما المؤرخون المحدثون، فمن خلال واقع الحال للاحداث السياسية وتنازع الصلاحيات الحكام. وعلاقاتهم التجارية، وكثرة الذهب المتدفق على بلادهم، وعوزهم على قطع نقدية عديدة، بعضها محفوظ في متاحف العالم. وبعضها محفوظ في المتاحف العربية أو المتاحف الخاصة كل هذا ايقنهم بارتفاع قيمة العملة المغربية على مر العصور. واعتبروها عملة دولية بدون منازع. واخير: يمكن القول. اننا يجب ان نميز بين قيمة العملة المغربية وبين وزنها، فاذا كان وزنها اقل من وزن عملات الدول المجاورة، فلربما تكون قيمتها المعدنية مرتفعة على قيمة تلك العملات، حيث ان المصادر المتوفرة تشير كثيرا الى نقاوة العملة المغربية، حيث كانت تضرب من الذهب الخالص وليس الردي. ولدينا اشارتان تعودان الى العصر المريني. فأين بطوطة يؤكد على ارتفاع قيمة الدراهم المغربية في عصره فيقول: "دراهم المغرب صغيرة وفوائدها كثيرة". (انظر: الرحلة، ص ٧٥٨). كما ان العبدري لاحظ فعالية العملة المرينية وتداولها ولها بمدينة تلمسان اiban قوة الدولة الزيانية، حيث يقول " ان سكة فاس تجد رواجاً كاسحا لها مقابل العملات الاخرى المضروبة على اساس ذهبي ردي " (انظر : الرحلة، ص ١٢).

السامر^(١)، الى ان تباين واختلاف الاوزان والمكايل بتباين واختلاف البضاعة دليل على دقة التنظيم الاقتصادي.

ويبدو ان الاختلاف في الموازين والمكايل داخل حدود الاقلسيم او الدولة قد يؤدي في كثير من الاحيان الى مشاكل كثيرة بين البائع والمستهلك، حيث غالبا ما يستغل المشتغلون في الاسواق هذا الاختلاف فيقشون في مقاديرها، فيستعملون الحجارة بدلا عن الصنح الحديدي، وهذا ما نجده خلال العصر المرابطي، بينما نرى ان هذه التفوضى قد اختلفت بعض الشيء في عصر الموحدين وبني مرين، مما يدل على ان الحكومات، قامت بضبط عملية البيع والشراء داخل الاسواق^(٢).

ان معلوماتنا عن المكايل والاوزان في بلاد المغرب والخاصة بفترة دراستنا تكاد تكون غير متوازنة، وذلك لاختلاف الكبير في انواعها من مكان الى اخر. الا ان اكثر ما يستخدم في بلاد المغرب من الموازين، هي القيراط، والواقية، والرطل والقطار، ومن المكايل، المد، والوسق، والقفيز، والصفحة، والخرويه، والربع، ونصف الربع، والقسط والوبيه، والقادوس، والقنفل، والبرشالة، والغرارة. لقد اعتمد اهل السوق في ايام المرابطين في الوزن القيراط^(٣).

(١) فيصل السامر، ملاحظات في الاوزان والمكايل، مجلة كلية الاداب، العدد ١٤، المجلد الثاني (بغداد، ١٩٧٠-١٩٧١)، ص ٦٩٩.

(٢) انظر، ابن عيرون، رسالة في القضاء، ص ٣٣، ص ٤٤، ص ٥٤، السقطي، رسالة في الحسبه، ص ١٠، ص ١٢، ص ١٢، ص ١٦، ص ١٨. الحكيم، الدوحة المشنكة، ص ٨٦، ص ٨٨.

(٣) القيراط، استخدم القيراط كوزن بضاعة، وهو يساوي ٢٤/١، من المثقال، او ١٦/١ من الدرهم ويساوي غالبا خمس حبات (والحبه، هي وزن حبة شعير=

والأوقية^(١)، والرطل^(٢)، والقنطار^(٣). أما في الكيل فقد استخدموا
الوسق^(٤).

= وهي لا تلعب في الواقع الهملئ سواء دور القيمة التقريبية، وتعتبر في
الاعم الأغلب وزن عملة لا وزن بضاعة) والحب تساوي ١٠٠/١ من المثقال،
أي تساوي (٠٠٤٤٦ غم) وهي تختلف باختلاف وزن الدرهم، انظر،
الشيرازي، عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق، السيد
الباز العريني، دار الثقافة (بيروت، بلا) ص ١٦، وانظر. هنتس، المكايل
والاوزان، ص ٢٥، ص ٢٦، ص ٤٤.

(١) الأوقية : وهي وحدة وزن متداولة في توزيع البضائع. والوزن الشرعي لها
يساوي ٤٠ درهماً ويساوي ١٢٥ غم. إلا أنها تختلف من دولة إلى أخرى.
ففي بلاد المغرب كانت تساوي ١٢ درهماً. أي (٣٧.٥ غم). بينما كانت
تساوي في دمشق على سبيل المقارنة خمسين درهماً. انظر. الشيرازي، نهاية
الرتبة، ص ١٦، ص ١٧، وهنتس، المكايل، ص ١٩، ص ٢٠.

(٢) الرطل : وهو وحدة وزن. وهو أكثر وحدات الوزن استعمالاً، وكان يساوي
١٢ أوقية ويساوي كذلك ١٠/١ من القنطار. وهو يختلف من بلد إلى آخر
أيضاً، فمثلاً في دمشق كان يساوي ٦٠٠ درهماً، بينما في بلاد المغرب، كان
يساوي ١٤٠ درهماً في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي
(٣٧.٥ غم). بينما بلغ في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي
أوزاناً مختلفة، ففي مراكش بلغ (١٥٠ درهماً) ويساوي (٤٤٨.٧٥ غم) بينما
في مدينة فاس بلغ ١٨٠ درهماً أي (٥٦٢.٥ غم) وأحياناً وصل إلى ٣٣٦
درهماً أي (١١٠٨.٨ غم) انظر هنتس، المكايل والاوزان، ص ٣٧، وانظر.
الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ٨٣، هامش ٢.

(٣) القنطار، كان يساوي ١٠٠ رطل، وإذا اطلق على الذهب فيساوي (١٠.٠٠٠)
دينار) ويساوي ٤١.٣٣ كغم من الذهب، هنتس، المكايل، ص ٤١.

(٤) الوسق، يعني ستون صاعاً، بصاع النبي (صلى الله عليه وسلم) على السواء،
انظر. القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٧٢.

والصفحة^(١). وهي مقادير اصطلاحية تختلف من اقليم الى اخر، واحيانا مدينة الى اخرى، واستمرت نفس هذه الموازين والمكاييل طيلة حكم الموحدين، ولم يطرأ عليها تغيير الا فيما يخص القفيز، حيث جعل الموحدون القفيز قدر السوق تيسيرا لمعرفة قدر النصاب الشرعي^(٢).

وفي عصر المرينيين حدث تغيرا واضحا على الاوزان والمكاييل، حيث حاول عدد من الحكام ايجاد بعض الاوزان الثابتة، فقد قام يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦ هـ - ٦٨٥ هـ / ١٢٥٨م - ١٢٦٦م) بتحديد الرطل المريني بمقدار تسعة وستين درهما من الدراهم الصغيرة^(٣)، وكان الصاع المريني عبارة عن اربعة امداد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو يعادل كيلا ٤,٩٢٤ لتر^(٤). وذلك بعد التعديل الذي امر به يوسف بن يعقوب (٦٨٥ هـ - ٧٠٦ هـ / ١٢٨٦م - ١٣٠٦م). سنة

(١) الصفحة : تساوي ثمانية واربعون فادوسا، والقادوس يساوي ثلاثة امداد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم)، أي يساوي ١٥١,٤ لترا، والمد في فجر الاسلام يساوي ربع صاع. أي ان الصاع يساوي اربعة امداد، وفي بلاد المغرب كان مد القمح يساوي ١٨٠ اوقية، وكل اوقية تساوي ١,٦ غم، أي تساوي ٣,٣٢٨ كغم، ويقابل حوالي ٤,٣٢ لتر، انظر، هنتس، المكاييل، ص٧٤، ص٧٥. ومد النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يساوي اربع حفقات بحفنة الرجل الاوسط، انظر، الشرباصي، احمد، المعجم الاقتصادي الاسلامي، دار الجيل (بيروت، ١٩٨١)، ص٤١٣.

(٢) العامري، تاريخ المغرب، ص٢٣، هامش رقم ١.

(٣) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص١٤٧، والدرهم الصغير، كان يساوي الواحد منها ستة عشر اوقية، انظر المنوني، نظم الدولة المرينية، ص٢٤٧.

(٤) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص١٤٧، ص١٤٨، المنوني، نظم الدولة، ص٢٤٧، ص٢٤٨. وانظر، هنتس، المكاييل، ص٩٣.

(٦٩٣ هـ / ١٢٩١ م)^(١)، للصاع والوسق الذي كان يسمى بـ"المغرب بالصفحة"، وهو يعادل كيلا سعته ٢١٥,٥٥٤ لترا^(٢). وقد استمر الصاع المريني مستخدما في الاسواق المغربية الى ايام هذه الدولة، وحتى المائة العاشرة للهجرة^(٣). ومن مظاهر اهتمام المرينيين بتحقيق المكايل المغربية، ان عدل عدد من حكاهم امدادا نبوية نموذجية، تكون مرجعا في تحقيق الصاع والوسق، وهكذا عدل يوسف بن يعقوب مدا نبويا في جمادي الاول سنة (٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م)، ثم قام ابو سعيد الاول (٧١٠ هـ - ٧٢٢ هـ / ١٣١٠ م - ١٣٢١ م) بتعديل مد اخر على مد يوسف المذكور^(٤).

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٩٣.

(٢) الحكيمة، الدوحة المشتبكة، ص ١٤٧، القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٥١٧٧. ويشير هنتس، ان الوسق يعني حمل يعير ويساوي ٦٠ صاعا ويساوي ٢٥٢,٣٤٥٦ لترا او ١٩٤,٣ كغم من القمح، انظر، المكايل والاوزان، ص ٧٩.

(٣) الكتاني، عبد الحى بن عبد الكير، التراتيب الادارية (بيروت، ١٣٤٦ هـ)، ج ١، ص ٤٣٣، ص ٤٣٦، ومزيلا من المعلومات عن معرفة الصاع النبوي وانواعه في الدولة العربية الاسلامية، انظر، عثمان اسماعيل، المد النبوي، العلوي، مجلة دعوة الحق، العدد ٢٢٦، (المحمدية، ١٩٧٩)، ص ٦٢، ص ٦٥.

(٤) الكتاني، التراتيب الادارية، ج ١، ص ٤٣١. ولا يزال يوجد لحد الان مدان من الصفر عدلهما ابو الحسن المريني على مد يوسف بن يعقوب والمدان محفوظان بمتحف البطحاء بمدينة فاس المغربية مؤرخان سنة (٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م). انظر، المنوني، ورقات من الحضارة المرينية، ص ١٠٥.

وقد استمر العمل بالاهتمام بتحقيق المكيال المغربي حتى اواخر عهد هذه الدولة ففي سنة (٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م)، اعيد النظر في تحقيق المد النبوي باقتراح من الوزير المريني يحيى بن زيان^(١). ومن المعروف ان أكثر ما استخدمه اهل السوق ايام المرينيين هو الرطل، وقد تعددت اרטالهم بحسب طبيعة السلعة، فكان الرطل العطارى يساوى ١٦ اوقية، والرطل الخضاري يساوى ١٨ اوقية، وكذلك الرطل الذي كان يستخدم للمواد الدسمة والفواكه المجففة، وهو يساوى ٢٤ اوقية^(٢)، وكثيرا ما استخدم المرينيون الصفحة لكيل الحبوب^(٣).

وقد دخلت على المكايل المرينية بعد انضمام المغرب الاوسط الى دولتهم، في عهد الاسرة الحاكمة بتلسمان، بني عبد الواد، عددا من المكايل المعروفة في هذه الدولة، ومن اهمها البرشالة التلمسانية، ومقدارها كما جاء عند ابن خلدون، اثنا عشر رطلا ونصف، أي ما يقارب مثقالان ونصف^(٤)، وقد قدرها يحيى بن خلدون، بان كل ستين برشالة تساوي مدا كبيرا وزنتها ١٣ رطلا^(٥). كما استعمل ايام المرينيين

(١) السلاوي، الاستقصا، ج ٢، ص ١٢٩.

(٢) الحكيم، النوحة المشتبكة، ص ٨٣، ص ٨٤.

(٣) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية في اخبار الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة (الرباط، ١٩٧٢) ص ٨٩. وانظر الياسي، المقصد الشريف، ص ٨٧.

(٤) العبر، ج ٧، ص ٩٥.

(٥) بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج ١، ص ١٤. وانظر هنتس، المكايل، ص ٥٩، الذي يذكر بان البرشالة تساوي ١٢ ١/٢ رطلا وتساوي ٢٠٠ درهم.

الغرارة^(١) لكليل الزيت، وقدرت بـ ١٦ قدحا، وكل قدح يساوي (١,٦٢ كغم)^(٢).

وفي زمن الحفصيين في أفريقية، قام بعض حكامها باصلاح مكاييل مدينة تونس العاصمة على مقتضى الشريعة الاسلامية في الزكاة، فصير السوق الشرعي في القدر كالفقير التونسي الذي عرف منذ عهد الموحيدين^(٣)، ويقدره العمري^(٤)، بـ ١٦ وبيبه^(٥) مصرية، وهو قريب من المد النبوي.

ومن الجدير بالاشارة الى ان البوادي المغربية، ظنت تتعامل في البيع والشراء داخل الاسواق على تلك المكاييل والموازن المعتمدة التي تتولى الدولة صناعتها، وربما قام بعض اهالي القرى بصناعة البعض منها في قراهم بعد مقارنتها مع الاوزان والمكاييل الرسمية للدولة والمحقة لدى الفقهاء^(٦).

(١) الغرارة. كان وزنها يساوي ٢٠٤,٥ كغم من القمح وهي تعني العدل من صوف او شعر). انظر، هنتس، المكاييل، ص ٦٤.

(٢) العبدري، الرحلة، ص ١٥٩، ص ١٦٠.

(٣) العامري، تاريخ المغرب، ص ٧٣، هامش رقم ١.

(٤) مسائل الابصار، ص ٨٢، القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٠١. والفقير كان يساوي في القيروان، ٣٢ ثمنا وكل ثمن ٦ امداد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم) ويساوي ٢٠١,٨٧٧ لتر واستمرت نفس قيمة الفقير في عهد الحفصيين. انظر هنتس، المكاييل، ص ٦٨.

(٥) الويبة، مكاييل مصري يعادل ١٢,١٦٨ كغم من القمح، وفي القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، كانت الويبة تساوي ١٦,٦ كغم من القمح. انظر، هنتس، المكاييل، ص ٨٠.

(٦) المعيار، ج ٥، ص ١٠٧ - ص ١١١.

٣- المقاييس :-

كان هناك بصفة عامة ذراعان مهمان في المقاييس، احدهما خاص بالاقمشة والاخر خاص بالاراضي، وما يهمنا هو الذراع الخاص بالاقمشة، كاحد المقاييس المهمة المنتشرة في اسواق بلاد المغرب، وهذه الذراع تتفاوت بين اسواق المدينة واخرى، فضلا عن بعض المقاييس الاخرى التي استخدمت كوحدات قياسية من قبل بعض الحكومات المغربية.

يشير احد الباحثين الى ان المرابطين والموحدين استخدموا في قياس الاطوال الذراع الذي كان يساوي ٢٢ اصبعاً. كما استخدموا القامة التي كانت تساوي اربعة اذرع، او متراً وستين سنتمتراً، كما استخدموا القمبة، التي كانت تساوي ١٩٢ اصبعاً، وهي مقاييس يستخدم بعضها تجار الاقمشة المختلفة^(١).

ان معلوماتنا عن المقاييس تكاد تكون محصورة في العهد المريني، حيث اظهر العديد من الحكماء اهتماما واسعا في هذا المجال، فقد انفرد ابو عنان (٧٥٢ هـ - ٧٥٩ هـ / ١٣٢١ م - ١٣٢٨ م) من بين الحكماء المرينيين بضبط المقاييس المغربية، فقد وضع على جدران مدينة فاس العاصمة مقياسين اثنين للذراعين المستعملين لذرع مختلف الاثواب حتى يسهل الرجوع اليها عند الحاجة.

فالذراع الاول، لصقه دخل المكتب القديم للمحتسب على حائط ارتفاعه خمسون سنتمتراً عن ارض، وقد رسم هذا الذراع على رخامة بيضاء، وطول هذه القالة ستة واربعون سنتمتراً ، وهي قالة خاصة

(١) حسن السائح، الحضارة المغربية، ج ١، ص ١٧١، ومزيديا من المعلومات عن

هذه المقاييس، انظر، هنس، المكايل والاوزان، ص ٨١، ص ٨٥.

بباعة الثياب الصوفية، وتسمى بالقاللة الادريسية، نسبة الى ادريس الاول مؤسس مدينة فاس، او في بعض الاحيان تسمى بالقاللة الدرازية (أي مقياس المنسوجات)^(١).

اما الذراع الثاني، فقد وضعه في سوق العطارين بفاس، وهو مرسوم على رخامة بيضاء، وطول هذه القالة خمسة وخمسون سنتمترا، ويستعملها تجار الجوخ، ونساج الحرير، والكتان، ولهذا تسمى بالقاللة الكتانية^(٢).

كما عرفت الاسواق المرينية مقياس، اخرى، مثل الباع المعروف بالخطوة، وهو يقدر بمدينة سبتة بثلاثة اقدام^(٣)، واستخدامها ايضا الشبر الكبير والشبر الصغير^(٤). وهي من المقياس العامة.

اما الأسواق الحفصية، فكانت تستخدم بعض المقياس، مثل القالة التي تتراوح بين ١,١٥ لترا الى ١,٧٠ لتر، الشهر كان يساوي ٠,٢٤ لتر^(٥).

(١) المنوني، نظم الدولة المرينية، ص ٢٥٠، ورفات من الحضارة المرينية، ص ١٠٧، ص ١٠٨.

(٢) المنوني، نظم الدولة المرينية، ص ٢٥١ وانظر :
Al-Fred , BEL - in seriltion. Arabes-de , Fes-hournal.
Siatique - March Arbil , 1917. P.303.373.
عن المنوني، ورفات، ص ١٠٨.

(٣) السبتي، اختصار الاخبار، ص ٤٧، وانظر. هنتس، حيث يقدر بـ ٢ متر ويسميه بالقامة، المكايل، ص ٨٢.

(٤) فتحية محمد، جوانب من الحياة الاقتصادية بالمغرب، ص ١٧٠.

(٥) نجاة باشا، التجارة في المغرب الاسلامي من القرن الرابع الهجري الى القرن الثامن الهجري، منشورات الجامعة التونسية (تونس، ١٩٧٦)، ص ٨٨.

ثانيا : طرق البيع والشراء في الأسواق :

كان التعامل في الأسواق المغربية يقوم على اساس البيع المطلق، أي بيع العين بالثمن - وتورد المصادر المتوفرة لدينا، نصوصا مبشرة عن عمليات تجارية كانت تجري بالنقد، سواء كان ذلك فيما يخص العمليات التجارية البسيطة او الصفقات التجارية الكبرى الخاصة بالتجار الكبار .

كما ان المصادر التاريخية لا تعين كثيرا على تحديد نوعية وحجم عمليات البيع والشراء التي تجري بالنقد، هل كان بالعمارة بالوزن، علما ان التعامل بكليهما ربما كان موجودا.

١- البيع بالنقد :

لقد كانت المعاملة بالنقد كما ذكرنا اكثر شيوعا، حيث سادت تلك المعاملة سائر اوجه الحياة المعاشية، وشملت مختلف المواد كالغذاء^(١)، والدور^(٢)، والحيوانات^(٣)، والملابس بمختلف انواعها^(٤).

وقد ارتاد المدن المغربية تجار من سائر البلاد، كان النقد الوسيلة الاكثر سهولة في التعامل التجاري معهم، ومما يعكس رواج النقد والتعامل به، انتشار الكثير من انواع النقود في سائر البلاد المغربية ، فقد تداولت عملات مختلفة كثيرة، وغالبا ما وقع التخاصم بين الناس بسبب اختلاف وزن تلك العملات، ونذكر منها على سبيل

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٣٨٢، ص ٤٠٩، ص ٤١٠.

(٢) ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص ١٤٣.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٦٩١، ص ٦٩٩.

(٤) الغبريني، عنوان الدراية، ص ١٦١.

المثال القرطبية، والجنوبية، والمرابطية والمؤمنية أو المحمدية، واليعقوبية وغيرها^(١).

ويمكن القول، ان استخدام النقد بالتعامل، كان هو الاكثر شيوعا وسيادته في عملية البيع والشراء داخل الاسواق المغربية.

٢- البيع بالسلف :

كان السلف من انواع البيوع المستخدمة في الاسواق المغربية، خاصة فيما يتعلق بعملية البيع والشراء، وربما كان السلف نقدا بنقد او نقدا بسلعة او قد يتخذ بيع السلم الذي لا يجوز عددا او مفاضلة وانما يجوز وزنا^(٢).

والظاهر ان بيع السلف ساعد اهل السوق على استغلال المزارعين، واحتكار الطعام فخان التجار مثلا يسلفون المزارعين. مستفيدين من اختلاف السعر في اول الموسم واخره فيخزنون وقت رخصها ويبيعونها عندما يرتفع السعر، ومن هذا النوع من الاستغلال المرتبط بالاحتكار، شراء التجار ايرادات الجند المرابطي قبل خروجه مستغلين حاجة اولئك الجند للمال^(٣).

وغالبا ما تظهر اضرار السلف واضحة على اهل البادية والقرى الريفية لحاجة هؤلاء الى بضائع اسواق المدينة، من طعام وملابس، معتمدين في تسديد عملية تسليفهم من التجار على موسم الحصاد. وقد يحصل في بعض السنوات ان يعجز هؤلاء عن التسديد نقدا، ويرغبون

(١) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ٦٨، ص ١٠٥، ص ١٠٦.

(٢) المعيار، ج ٧، ص ٩٧١، ١٣٥، ٢٤٩.

(٣) عز الدين، النشاط، ص ٢٩٦.

بالتسديد عينا، وقد عد الفقهاء ذلك من البيوع المباحة شرط الا يزداد في الثمن ولا ينقص منه^(١).

وقد استقل اليهود هذا النوع من البيوع في عملية البيع والشراء، وفي بعض اوجه المعاملات التجارية بالتسليف مع استخدام الربا، وجاء عنهم، انهم اعتمدوا التسليف القائم على الرهن الذي يترتب على تأخير فائدة مالية^(٢).

٣- البيع بالمقايضة

تعامل المشتغلون في عملية البيع والشراء في داخل الأسواق المغربية في البيع بالمقايضة ايضا، وخاصة في النشاط التجاري مع بلاد السودان، والسودان كما هو معروف مصدر الذهب الاساسي بالنسبة لبلاد المغرب، وقد كانت اكثر المقايضة تقوم على الذهب مقابل الملح وللنحاس المتوفر في الصحراء المغربية^(٣).

اما التجارة مع المشرق الاسلامي والبلاد الاوربية، فقد كانت قائمة على المقايضة في بعض الاحيان، والبيع النقدي في احيان اخرى، فالوزان^(٤) يشير الى ان سكان منطقة باديس تعاملوا مع تجار المدن الايطالية، وخاصة البندقية بالمقايضة فضلا عن البيع نقدا القائم على اساس العملة الذهبية، فعندما يدخل التجار المغاربة الى الاقطار الخارجية يحملون معهم العملة المغربية الى دور الضرب ويسكونها

(١) المعيار، ج ٦، ص ٣١٠، ٣١٤.

(٢) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ١٣٦، ص ١٣٩.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص ١١ ن الاستبصار، ص ٢١٥، ص ٢١٧.

(٤) الوزان، وصف افريقيا، ج ١، ص ٣٢٩، ومزيلا من المعلومات عن عملية البيع بالمقايضة انظر ما سبق شرحه في الفصل الثاني من العلاقات التجارية لبلاد المغرب.

لتعادل سكة البلد الذي يتاجرون فيه^(١)، وخاصة في عصر المرابطين والموحدين. كما ان التجار الاجانب كانوا يفعلون نفس الشيء ذاته عندما يدخلون الى بلاد المغرب، وخاصة خلال العصر المريني^(٢). واعتقد ان السبب في ذلك يعود الى الاختلاف في قيمة ووزن العملات المغربية والأجنبية والتي اشرنا اليها انفا.

٤- الحوالة على الصرافين :-

الحوالة، عبارة عن نقل الدين من ذمة المدين الى ذمة شخص اخر، أي نقل الشيء من محل الى اخر، وان الهدف من نظام الحوالة، هو لتأمين نقل الاموال من مكان الى اخر دون تعرضها الى مخاطر التفرق.

ان المصادر التاريخية المتوفرة لدينا لا تعطينا صورة واضحة عن الاساليب التي كان يتعامل بها التجار بالحوالات، وكيفية صرفها، ونسبة الصرف، وكثيرا ما استخدمت في بلاد المغرب في المعاملات التجارية الداخلية بين الريف والمدينة، حيث يقوم في اغلب الاحيان اصحاب البضائع بدفع غلاتهم ومحاصيلهم من الدراهم اليهم (أي الصرافون)، ويكتبونها عندهم دناتير ثم يحيلون ما يشترونه من التجار عليهم بالدناتير، وقد انكر ذلك الفقهاء لما وقع فيه من اوجه الربا^(٣). حيث كان الفقهاء يرون ان الحوالة، ربا فحرموا التعامل بها^(٤).

(١) عز الدين، النشاط، ص ٣٠٣.

(٢) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص ٥٥، ص ٥٦، ص ٧٦.

(٣) المعيار، ج ٦، ص ٢٨٩، ٢٩٠، ص ٣٠٦.

(٤) د. ن. ج ١٢، ص ٦٤.

٥- البيع بالمزايدة :

وردتنا بعض الاشارات تفيد على ان هذه الطريقة في البيع كانت معروفة فابن قنفذ^(١)، يؤكد على ظاهرة البيع والشراء داخل الاسواق المغربية كانت تتم عن طريق المزايدة.

ويقدم لنا روجيه^(٢)، معلومات مهمة عن عملية المزايدة داخل اسواق مدينة فاس فيشير، الى ان القاعدة العامة تنص على ان البيع والشراء كانا عمليتين حرتين لكن في الواقع ان الانتاج الصناعي في مدينة فاس كان يباع غالبا بالمزاد العلني، لقد كان لصناع مدينة فاس الحرية الكاملة في ان يبيعوا منتوجاتهم الى أي فرد يرغب في ذلك او الى التجار مباشرة، وكانوا على العموم يفضلون البيع بالمزاد العلني، حيث المزاد يعقد في فتراب معينة في كل يوم، للاقمشة والصوف الخام، وجميع المواد الخام والمنتوجات اللازمة للاستهلاك الدائم، اما الاشياء الاخرى، فكان يعقد مرة او مرتين في الاسبوع، حيث كان للمزاد مكان ثابت، وغالبا ما يكون في الشارع او الميدان ن حيث كانت تقوم حوانيت التجار، وقد يستمر المزاد ساعتين في اليوم وذلك بعد صلاة العصر، وهناك ثلاثة اشخاص يقومون بتمثيل الادوار في هذه المزايدة، وهم البائعون والمشترون والدالون الذين يقيمون العلاقات بين البائع والمشتري^(٣).

وكانت المواد المعدة للبيع مقسمة الى وحدات تختلف من مزاد الى اخر، وكان الدالون يمرون امام المشتري لعرض السلع امامهم،

(١) انس الفقير وعز الحقيير، ص ٩، ص ١٠.

(٢) فاس في عصر بني مرين، ص ١٥٥، ص ١٥٦.

(٣) روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص ١٥٧.

ويطلبون السعر بصوت عال، فإذا أبدى المشتري رغبته في الشراء كان على الدلال ان يبحث عن البائع ليتأكد من قبوله بالسعر المعروض، فإذا رضي المشتري تمت عملية البيع^(١)، واعطت البضاعة الى المشتري، واغلب الاحيان كان البيع بالمزايدة يتم عن طريق الدفع النقدي، او يطلب المشتري ان يسمح له بالدفع الاجل، اما الاسعار في هذه المزايدات، فكانت متقلبة حسب عملية العرض والطلب، وزياد الطلب على الشراء ايام الاعياد، او في نهاية الموسم الزراعي عندما يكون المال متوفرا عند الفلاحين بعد بيع منتوجاتهم، بينما تهبط الاسعار بعد الاعياد مباشرة، وكذلك في نهاية الربيع عندما يكون الفلاحون قد استهلكوا المال السنوي^(٢)

ويبدو لنا من خلال ما نقله روجيه. ان البيع بالمزايدة، كان يتم داخل الاسواق الثابتة، وان المكان الذي تتم فيه هذه المزايدات غالبا ما يكون الشارع الذي تقع فيه حوانيت التجار، او في زاوية من زوايا السوق، بينما تقوم المزايدة في احيان اخرى داخل الساحات او الميادين التي تكتظ بالمتبضعين.

وفي اشارة للوزان^(٣)، في نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، يذكر فيها على ان البيع بالمزايدة داخل سواق فاس كان شائعا، وخاصة في سوق العسل، وسوق الاقمشة الصوفية

(١) الوزان، ص ١٥٨.

(٢) م. ن. ص ١٥٨.

(٣) وصف إفريقيا، ج ١، ص ١٨٦. ومزيذا انظر وصف الوزان لاسواق فاس،

ص ١٨٤ - ١٩٢.

المستوردة من اوربا، حيث كان الدلالون ينادون على سلعهم وبضائعهم امام دكاكين التجار.

٦- بيوع اخرى :

فضلا عن البيوع السالفة الذكر، فان هناك بيوعا اخرى، كانت تتم داخل الاسواق، وهو التعاقد المباشر الذي يفضلته العديد من التجار واصحاب طوائف المهن والحرف وغالبا ما يتم بين المستهلك والمنتج^(١). أي بمعنى انه يكون بعيدا عن ايادي الدلالين والسماسرة، واعتقد ان هذا النوع من البيوع، هو اكثر فائدة من البيوع الاخرى للمستهلك. لانه يكون بعيدا عن التضارب الذي يفرضه الدلالون والسماسرة ومن المؤكد انه الاكثر شيوعا ايضا.

ومن طرق التعامل في عملية البيع والشراء. وهي طريقة البيع بالاجل^(٢). والتي كانت مستخدمة منذ عصر الموحدين. وكذلك طريقة ائبيع بالنقسيط التي اشار اليها الوزان^(٣). في سوق الاحذية وسوق الملح في مدينة فاس في العصر المريني، حيث كانوا يشترون بضائعهم بالجملة ويبيعونها بالنقسيط.

ومهما تكن المعلومات التي وصلتنا، لكنها لا تكفي باعطائنا صورة واضحة عن عملية البيع والشراء داخل الاسواق، حيث كثيرا ما

(١) روجيه، فاس في عصر بني مرين، ص ١٥٨.

(٢) يشير ابن ابي زرع، - انه في سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٧م)، توفي الشيخ الفقيه

العالم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم، واصاف فاس مجاعة، وكان عنده فيها

الف وسق من القمح، فباعها كلها الى اهل الشعف بوثائق واخرهم بالثمن،

انظر، روض القرطاس، ص ٢١٨.

(٣) وصف افريقيا، ج ١، ص ١٨٤.

نشاهد في كتب الجغرافية والرحلات عبارة (باع واشترى)، ولكن كيف تتم هذه العملية، لا نعلم، حيث لم يوضحوا لنا ذلك.

ثالثا :- الاسعار^(١)

شهدت اسواق بلاد المغرب خلال فترة هذه الدراسة، ارتفاعا حادا في اسعار بعض السلع الضرورية وذلك في سنوات الفحط وعدم الاستقرار السياسي، حيث لم تفرض الأنظمة الحاكمة ضوابط لتسعير السلع والبضائع المتداولة في الاسواق، على الرغم من ان بعض الفقهاء اجاز في كتب الحسبة تسعير السلع في حالة الاضرار، وهي حالة وقوع الضرر بالناس، هذه مسألة نظرية، ولكن من الناحية الواقعية، لم يكن هناك حاجة للجوء الى تسعير البضائع دائما، لان المنافسة الحرة تؤدي عادة الى تخفيض الاسعار. ونستشهد بنص ابن تيمية^(٢)، حيث اشار الى عدم جواز التسعير في حالة الارتفاع الطبيعي للأسعار بقوله: فاذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم وقد ارتفع السعر اما نقلة الشيء او لكثرة الخلق فهذا الى الله فالزام الخلق ان يبيعوا بقيمة بعينها اكراد بغير حق، الا انه ينص على ضرورة تحديد الاسعار، بل اجبار اصحاب السلع على بيعها عند اشتداد حاجة الناس الى السلعة حيث يقول ' لولى الامر ان يكره الناس على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس اليه ^(٣).

(١) السعر، عبارة عن اتفاق بين الطرفين المتبادلين في بيع وشراء سلعة، اما في السوق فيمثل المشترون الطلب، ويمثل البائعون العرض، انظر، النجفي، حسن، القاموس الاقتصادي. (بغداد، ١٩٧٧)، ص ٢٤٨.

(٢) ابن تيمية، تقي الدين احمد بن عبد الحليم، الحسبة في الاسلام، (القاهرة:

١٣١٨ هـ). ص ١٦

(٣) م، ن، ص ١٥، ص ١٦.

ولمعرفة اسعار بعض البضائع والسلع المتداولة في الاسواق المغربية، لابد لنا من معرفة بعض الاسباب الجوهرية التي قد تؤدي الى ارتفاع الاسعار في اغلب الاوقات. ومن اهم هذه الاسباب هي :-

١- الظروف السياسية :-

لقد شهدت اسواق بلاد المغرب حالات متعددة ارتفعت فيها اسعار السلع والبضائع ارتفاعا حادا. وكان للظروف السياسية اثرا كبيرا في ذلك، حيث غالبا ما نتعرض مدن واقاليم البلاد الى اضطرابات سياسية وحروب عسكرية، مما يؤدي الى وقوع السلب والنهب، فتتعرض الاسواق، وتزداد احوال الناس سوءا، حتى تصل الحالة عندهم في اغلب الاحيان الى اكل الحيوانات المحرمة، فمثلا خلال الحصار الذي فرضه الموحدون على خصومهم المرابطين في مدينة مراكش على عهد عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ هـ - ٥٥٨ هـ / ١١٢٨ م - ١١٦٤ م) سنة (٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) عانى اهلها الكثير من الشدائد، يصورها لنا صاحب الحلل الموشية^(١) بقوله و طال الحصار عليهم واشتد الجهد بهم، ولكثرة خيلهم ورجلهم نفذ طعامهم، وفنيت مخازنهم، حتى اكلوا دوابهم، ومات منهم بالجوع ما ينيف عن مائة وعشرون الفا... ولما طال عليهم الحصار... اكلوا الجيف واكل اهل السجن بعضهم بعضا، وعدمت الحيوانات كلها والحنطة باسرها وفرغت المخازن، فلم يوجد فيها شيء، وعجزت عساكر اللمتونيين حينئذ عن الدفاع والامتناع،

(١) مجهول، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، (تونس، ١٤٢٩ هـ)،

وواضح ان صاحب الحل قد بالغ في عدد القتلى، واستمر الحصار لمدة سبعة اشهر، حتى وصل سعر الربع من الدقيق الى مثقال ذهبي^(١). وفي حصار المهديّة من قبل عبد المؤمن بن علي سنة (٥٥٣هـ / ١١٥٥م)، حيث قام عليها مع اصحابه، فاصابتهم شدة عظيمة من الغلاء في الاسعار في داخل المدينة وخارجها، حتى ان اصحاب عبد المؤمن انفسهم اشتروا الباقلاء في العسكر، سبيع باقلاّت بدرهم مؤمنى، وهو نصف درهم النصاب^(٢)، وبلغ سعر الشعير ثلاثة دنانير ذهبية للسطل الواحد، وبلغ رطل الحطب دينار ذهبي^(٣).

وكان لعامل الاستعداد العسكري اثرا واضحا في ارتفاع الاسعار، حيث ان الاستعداد لبعض الحملات كان يصحب ذلك انه ينداد الاقوات والمون للجيش المحارب، مما يؤدي الى ارتفاع الاسعار. وقلة الطعام، فقد غلت الاسعار بمدينة مراكش سنة (٥٧٩هـ / ١١٨٣م). وهي السنة التي تم فيها تجهيز جيش يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨هـ -

٥٨٠هـ / ١١٦٤م - ١١٨٤م). لغزوته الكبرى لبلاد الاندلس. والتي انتهت بهزيمة عند اسوار شنترين، واصابته اصابة قاتلة سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م)^(٤).

كما حدثت مجاعة لمراكش سنة (٥٦١هـ / ١١٩٤م)، وهي نفس السنة التي حدثت فيها معركة الارك، وانتصار الموحدين على جند الروم في الاندلس، وقد سبق الغزو حشد كبير للجنود واعداد المون

(١) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٢٣٥.

(٢) المراكشي، المعجب، ص ٢٣٠.

(٣) البيهقي، اخبار المهدي بن تومرت، ص ٥٨، ابن ابي زرع، روض القرطاس،

ص ١٨٢، ص ١٨٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٤، ص ٤٩.

والطعام، وكل ما يلزم المعركة^(١)، ومن الطبيعي ونتيجة هذه الاجراءات، ان يقل المعروض من السلع في الاسواق. وبالتالي تزداد اسعارها.

وخلال العصر المريني، حدث نفس الشيء، فخلال حصار مدينة تلمسان الذي استمر اكثر من سبع سنوات من قبل الناصر ابي يعقوب يوسف المريني (٦٨٥ هـ - ٧٠٦ هـ / ١٢٨٦ م - ١٣٠٦ م) سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م)، استفحل الغلاء وارتفعت اسعار المواد الغذائية ارتفاعا باهضا، حيث بلغ ثمن الدجاجة على سبيل المثال عشرة دناتير سن الذهب^(٢)، وبلغ ثمن كيل سن القمح ثلاثين مثقالا. ومن الملح ثلاثة مثاقيل للكيل الواحد، وبلغ رطل اللحم عندهم مثقال من الذهب^(٣).

وقد احسن السلوي^(٤)، في وصف اسعار المواد المتداولة في المدينة المحاصرة تلمسان. فقدم لنا قائمة مفصلة باسعار تلك المواد. يشير الى ان مكيل القمح بلغ مثقالين ونصف من الذهب النعين. وبلغ ثمن البقرة ستين مثقالا، والظان سبعة مثاقيل ونصف، وثمان رطل اللحم بثمان مثقال ذهبي، وبلغ الرطل من جلد البقر ثلاثين درهما. وبلغ سعر الفار عشرة دراهم، وسعر الهر مثقال ونصف، والكلب مثقال ونصف. والحية بمثل ذلك وبلغ سعر الدجاجة ثلاثين درهما، والبيضة الواحدة ستة دراهم، والافقية من الزيت باثني عشر درهما، والافقية من الشحم عشرين درهما، والملح عشرة دراهم، والخيار بثلاثة اثمان الدينار، والبطيخ ثلاثين درهما، والأجاص بدرهمين...، ومن خلال هذا النص

(١) الوزان، ج ٤، ص ٢٢٣.

(٢) ابن قنفذ، انس الفقير، ص ٧٠.

(٣) الوزان، وصف إفريقيا، ج ٢، ص ١٨.

(٤) الاستقصا، ج ٢، ص ٤٢.

نستطيع ان ندرك مدى شدة الحصار على المدينة تلمسان، بحيث ان الناس اكلوا حتى الحيوانات المحرمة، كالفأر والكلب والحية.

وقد اكد ابن خلدون^(١)، على شدة حصار مدينة تلمسان مقدرا عدد القتلى فيها، باكثر من مائة وعشرين الف شخص، وذكر لنا، بان الناس اكلوا الجيف والكلاب والقطة والفئران واشلاء الموتى.

وخلال حصار مينة مراکش من قبل المرينيين، نقل لنا ابن ابي زرع^(٢)، حوارا بين السكان في المدينة وحاكم تلك المدينة ابي دبوس، وهو حوار يعكس مرارة المحنة اتى عصفت بهم، اما الحوار فهو " قالوا كم نقعد عن حرب بني مرين وتجبين عن لقائهم، اما ترى بلادنا قد خربت واموالنا قد نهبت...".

ومن خلال هذه الظروف السياسية التي مرت بها بعض المدن المغربية، والتي عرفت فيها الناس محنا صعبة، منها اكل الجيف والحيوانات المحرمة واشلاء الموتى. وهذا ناتج عن قلة الاقوات التي ادت بشكل لا يقلل الشك الى ارتفاع اسعار المواد الغذائية، وغيرها، واثرت بشكل وباخر على حركة البيع والشراء داخل الاسواق.

٢-الظروف الطبيعية :-

كان للظروف الطبيعية في بلاد المغرب اثر كبير في اندام الاقوات وبالتالي زيادة الاسعار، وكانت هذه الظروف، قد تخمضت عنها ازمة جادة وقحط شديد في الزرع والضرع فمثلا الزلزال الذي اصاب

(١) العبر، ج ٧، ص ٩٥، ص ٩٦، كما اكد هذا العدد من الموتى يحيى بن خلدون في بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج ١، ص ١٢٥.

(٢) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص ١١٧. وانظر ابن الاحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص ٢٠.

المغرب سنة (٤٧٢هـ - ١٠٨٠م) باضرار بالغة، يقول ابن أبي زرع^(١) : وفي ربيع الاول منها أي (سنة ٤٧٢هـ / ١٠٨٠م)، كانت الزلزلة العظيمة التي لم يرى الناس بالمغرب مثلها هدت البنيان، ومات فيها خلق كثير تحت الردم، ووقعت الصوامع والمنارات.

كما اصاب مدينة طنجة سنة (٥٢٣هـ / ١١٣٧م) سيل عظيم، مات فيه خلق عظيم من الناس والدواب^(٢).

وشكل الجراد خطرا كبيرا على المزروعات، حيث هاجمت فصائل الجراد مدينة اغمات في العصر الموحي، وأتلفت العديد من المزروعات^(٣).

وكان للجفاف اثرا كبيرا في انعدام الاوقات وارتفاع الاسعار. وثلة المعروف في الأسواق، ففي عهد المنصور الموحدي (٥٨٠هـ - ٥٩٥هـ / ١١٧٦م - ١١٩١م)، ضرب الجفاف مدينة مراكش العاصمة، مما جعل الخليفة المذكور يبادر إلى مطالبة الناس بالخروج للاستسقاء. وغالبا ما اعقب كل قحط مجاعة قصف بارواح الالوف من المستضعفين لعل اهمها تلك المجاعة التي حدثت في عهد الخليفة الرشيد الموحدي (٦٣٠هـ - ٦٤٠هـ / ١٢٣٣م - ١٢٤٤م)، واثرت في حركة الأسواق ونظرا للتنازع الوخيمة التي خلفتها على عامة الناس تثبتتها بنصها كما اوردها لنا ابن عذاري^(٤)، " لما توجه الرشيد في حركته المذكورة، وخرج امام الخلط من الحضرة تحير الناس وكثر فيهم

(١) الروض القرطاس، ص ٢٠١.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٩٦.

(٣) ابن الموقت، محمد: السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية

(فاس، ١٣٣٦هـ)، ج ١، ص ٦٦.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٢٢٥.

الرهج وعظمت عليهم المصيبة بإسلامهم وعدم الاقنات والمرافق، ولم يبق لاحد سيد ولا ليد ولا طارف ولا تالد ولا ذخيرة ولا مال ولا عقل، واستولت المجاعة على جمهور الناس ورأوا محنا يستعاذ بالله منها، وانتهى المد الواحد من القمح الى سبع دراهم كيار من الطبع... واما الدرهم من الفضة فكان يصرف بنصف درهم وكان هذا عرفا بين السوق... واما اسواق المدينة... فلم يكن بها ما ينطق عليه اسم شيء بوجه من الوجوه والحوانيت مغلقة وما بقي بها ما يلبس ثوبا يساوي عشرة دراهم الا الاطمار المتغيرة الخلقة، ويضيف نفس المؤرخ موضعا نتاج هذه المجاعة على قلة التغذية قائلا " اذا ظهر في السوق بعد ايام كثيرة شيء من خبز الشعير يعثر الناس عليه وانهم لقيام ينظرون. وما يصل اليه الا الكفاة الذين لهم التجلد على الاقتحام وصبر، ثم لا يعدم الذي يتوصل اليه ان يجتمع عليه العشرون واكثر من الضعفاء والمساكين حتى ينتزعوه عنه قهرا، واما الشيخ او العجوز او الطفل او الضعيف فانه لا يصل الى شيء ولا على لقمة منه سائر الايام، انما يظهر في الاسواق ما يكرر طحنة من فيتور الزيتون وغيره فهو كان غذاء الناس لانه كثيرا بالبوادي الخالية فتجلبه الضعفاء ويقتلون منه^(١). فضلا عن المجاعات، انتشرت الوبئة والامراض في صفوف عامة الناس، ففي سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) وسنة (٥٧٢ هـ / ١١٧٧ م)، ابتليت مدينة مراكش على عهد الموحدين بوباء الطاعون، فكان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه وموضعه في براءة ويجعلها في جيبه فان مات حمل الى موضعه واهله، وانتهى عدد الاموات بمراكش وحدها

(١) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٢٢٥، ص ٢٢٦.

الى ألف وسبع مائة رجل^(١). ولشدة هذا الوباء، قال عنه ابن عذاري^(٢)، لم يعهد مثله فيما تقدم من الازمنة قبله " وحسب عدد الاموات فيه فوصل " في كل يوم مائة وستون شخصا او اكثر^(٣). كما اسهمت الفيضانات هي الاخرى، في اشتداد الغلاء في الاسعار فمثلا قبل وفاة علي بن يوسف (٥٠٠ هـ - ٥٣٧ هـ / ١١٠٦ م - ١١٤٣ م)، دمرت الفيضانات مدن مغربية عديدة اهمها مدينة فاس وجزيرة مليله ومدينة طنجة، واشتد الغلاء حتى بلغ ثمن السطل من الشعير ثلاثة دنانير^(٤).

ونتيجة لهذه العوامل التي اشرنا اليها، حدثت مجاعات كثيرة في بلاد المغرب، وارتفعت اسعار البضائع والسلع ارتفاعا كبيرا نتيجة لذلك. ففي سنة (٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) تعرضت مدينة طرابلس الافريقية الى مجاعة فضيعة وكانت الاحداث الناشئة عن هذه الكارثة مهدت للنورمان عملية احتلال المدينة، بعد ان تدعر الناس من فقدان المواد الغذائية وارتفاع اسعارها^(٥).

وفي سنة (٦٠٩ هـ / ١١١٢ م) وسنة (٦١٠ هـ / ١١١٣ م)، تعرضت بلاد المغرب الى وباء عظيم، فهلك خلق عظيم^(٦).

(١) ابن الابار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق ابراهيم الاياري، نشر دار الكتاب اللبناني، الدار الافريقية المصرية (مصر، ١٩٨٣)، ص ١٠٧. ص ١٠٨. وانظر ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٢٦٧.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ١٣٦.

(٣) م، ن، ج ٤، ص ١٣٧.

(٤) م، ن، ج ٤، ص ٩٩.

(٥) اتوري، لبيبا منذ الفتح الاسلامي، ص ٨٩.

(٦) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٢٧٢، الذخيرة السنية، ص ٤٩.

وفي سنة (٦٧٩هـ / ١٢٧٩م)، أصبح القمح في بلاد افريقية فريكا ثم عدم في سنبله ولم يجمع منه شيء يذكر، فقلت الاقوات وارتفعت الاسعار نتيجة لذلك^(١).

وفي سنة (٧٥٣هـ / ١٣٢٣م)، كان في بلاد المغرب القحط والحطب، حتى بيع الفحم بمدينة فاس درهمين للرطل الواحد، وفي هذه السنة احترق سوق العطارين بفاس ايضا^(٢).

واصاب مدينة فاس قحط ومجاعة عامة سنة (٧٢٤هـ / ١٣٥٤م)، حيث اصبح ثمن المد الواحد من القمح خمسة عشر درهما^(٣).

وفي سنة (٧٥٥هـ / ١٣٥٥م)، ارتفع سعر الطعام بمدينة تونس الى ان بلغ سعر القفيز من القمح احد عشر دينارا ذهبيا، وبلغ سعر الشعير نصف ذلك^(٤).

وفي سنة (٨٦٢هـ / ١٤٥٨م)، اصاب مدينة تونس غلاء في الطعام، حتى بلغ سعر القفيز من القمح اربعة دنانير ذهبيا، والشعير على الشطر من ذلك^(٥).

(١) الزركشي. تاريخ الدولتين. ص ٤٥.

(٢) الاستقصا. ج ٢. ص ٨٨.

(٣) روض القرطاس، ص ٢٩٤.

(٤) الزركشي. تاريخ الدولتين. ص ٩٥. ابن ابي دينار، المؤنس. ص ١٤٧.

ويشير القلقشندي الى اسعار مدينة تونس فيذكر: ان كل قفيز قمح بخمسين درهما، والشعير دون ذلك، وسعر اللحم للظان عندهم كل رطل بدرهم قديم، وفي الربيع ينحط السعر عندهم. ويقصد بهم القلقشندي، الحفصيون حكام تونس، انظر صبح الاعشى. ج ٥، ص ١١١.

(٥) الزركشي، تاريخ الدولتين: ص ١٥٠، السراج، الحلل السندسية، ص ١٠٨٨.

ويشير الغبريني^(١)، انه في مدينة بجاية في المغرب الاوسط ،
 اصاب الناس قحط عظيم وقلت الاقوات والمياه، ووصل الزق الى اربعة
 دراهم . ومن الجدير بالاشارة، اى ان العديد من المسؤولين في
 الحكومات المغربية اتخذوا بعض الاجراءات في سبيل الحد من ارتفاع
 الاسعار للمواد الضرورية لحياة السكان وخاصة من القمح والشعير .

ففي مدينة تونس عاصمة افريقية، اصيب الناس سنة (٨٦٢ هـ /
 ١٤٥٨م) بغلاء الاسعار، وشكا الناس من قلة الطعام المعروف
 وغلاءه الى السلطان الحفصي ابي عمر عثمان (٨٣٩ هـ - ٨٩٣ هـ /
 ١٤٣٥م - ١٤٨٨م). فأمر بان يخرج من المخزن او الاهداءات (وهو
 مطاير تحت الارض نوضع فيها المواد الغذائية تحسبا للمجاعات
 العامة، نتيجة لظروف سياسية ام طبيعية يتعرض لها البلد)، فأخرج ابو
 عمر عثمان الحفصي كل يوم ما يصنع سنة الف خبزة. وامر بان تفرق
 على الفقراء والمساكين من الناس. واستمر هذا الاجراء حتى رخصت
 الاسعار^(٢).

واتبع بعض الحكام المرينيين هذا الاسلوب في الحد من ارتفاع
 الاسعار، ففي مجاعة (٧٢٤ هـ / ١٣٢٢م) في مدينة فاس، اخرج ابو
 سعيد الاول (٧٠٦ هـ - ٧٣١ هـ / ١٣٠٣م - ١٢٧٣م) القمح من

(١) عنوان الدراية، ص ١٤٩.

* الزق، يساوي رطلين، انظر، ابو عبيد، القاسم بن سلام، كتاب الاموال،
 مؤسسة ناصر للثقافة (بيروت، بلا) ص ٢٠.

(٢) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ١٥٠، ص ١٥١، السراج، الحلال السندسية،
 ص ١٠٨٨.

مخازن الدولة، حتى صار يباع القمح بأربعة دراهم للمد الواحد، بدلا من خمسة عشر درهما للمد الواحد من القمح^(١).

٣- الاسعار السائدة في وقت الرخص :-

ان ما اشرنا اليه من الاسعار، يمثل نصف الصورة للاسعار السائدة آنذاك في بلاد المغرب، ولكي تكتمل لدينا الصورة، لابد لنا من معرفة اسعار بعض المواد الغذائية وغير الغذائية في أيام الرخاء والرخص.

ويبدو لنا ان كثرة المحاصيل في أي مدينة يعنى حالة من الرخاء والرخص بالاسعار، فحدثنا الادريسي^(٢)، عن جبل درن بقوله وفيه الجوز واللوز والسفرجل والرمان... كان يباع الحمل منهما بغير انا واحد. وكان الغالب على اسعار مدينة اغمات في العصر المرابطي، هو الرخص في كل شيء^(٣). وكان الرخص في مدينة سلا الغالب على المأكولات لكثرة وجودها^(٤). ومدينة فاس كانت رخيصة الاسعار في زمن الادريسي^(٥)، وخاصة الحنطة، فيشير الى ذلك بقوله والحنطة بها رخيصة جدا دون غيرها من البلاد القريبة منها، حيث بلغ سعر ثلاثين خبز بدراهم.

وتلمسان كانت خيراتها كثيرة ولحومها شحيحة وبالجمله انها حسنة لرخص اسعارها ونفاق اشغالها ومراجيح تجارتها، ولم يكن في

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٢٩٢.

(٢) الادريسي، وصف، ص ٤١.

(٣) د. ن. ص ٤٣.

(٤) د. ن. ص ٤٨.

(٥) د. ن. ص ٥١.

بلاد المغرب بعد اغمات وفاس أكثر من أهلها أموالاً...^(١) وبلغ ثمن ثمانية صيعان من القمح في تلمسان أيام الرخاء ديناراً واحداً، والشعير ستة عشر صاعاً بدينار أيضاً^(٢).

ويروى لنا الزياني عن أحمد الشيخ القسطيني، بان مدينة مراكش، هي من أعظم مدن المغرب، وقد تعجب من رخص أسعارها على أيام المرابطين^(٣).

ويشير السلوي^(٤)، إلى أن الأسعار على عهد المرابطين، كانت رخيصة فبقوله " وكانت أيامهم أيام دعة ورغاهية ورخاء متصل وءافية وأمن، تناهى القمح في أيامهم إلى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال، وبيعت الثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال، وأنقضي لا تباع ولا تشتري ". وفي سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، في عهد يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦هـ - ٦٨٥هـ / ١٢٥٨م - ١٢٨٦م) كان الرخاء المفرط بالمغرب، فكان يباع بمدينة فاس الرقيق الربع منه بدرهم، وأنقمح ستة دراهم للصفحة، والشعير ثلاثة دراهم للصفحة، أما القطن، فلم يكن لها ثمن لكثرةها، والحصل ثلاثة أرتال بدرهم، واللوز الصاع بدرهم، والملح حمل بدرهم، ولحم بقر مائة أوقية بدرهم، ولحم الضأن سبعون أوقية بدرهم، والكبش بخمسة دراهم^(٥).

(١) ابن الزياني، التشويق إلى رجال التصوف، ص ١١٧.

(٢) ابن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ١٢٥.

(٣) الزياني، الترجمانه الكبرى، ص ٧٨.

(٤) الاستقصا، ج ١، ص ١٢٨.

(٥) السلوي، الاستقصا، ج ٢، ص ٤٣.

وفي مدينة دكالة بالمغرب الأقصى القريبة من اسفي، بلغ سعر قفة العنب بدرهم كبير، وهو ثلث الدرهم التونسي الجديد^(١).

أما المواد الغير الغذائية، فقد كانت متفاوتة في السعر ايضا، فمثلا بلغ سعر جبة مستعملة ايام المرابطين في مراكش عشرة دنانير، وبلغ سعر كفن للميت ثلاثة دراهم وفي مدينة فاس بلغ سعر ثوب مستعمل عشر دراهم ايضا^(٢).

وبلغ ثمن سرير مستعمل في مدينة مراكش ايام المرابطين والموحدين ستة عشر ونصف درهم^(٣). وبلغ ثمن دار في مدينة اغمات على ايام المرابطين والموحدين خمسمائة دينار^(٤)، وبلغ كراء دار في اغمات، ايضا على ايام الرخص عشرة دنانير في العام الواحد^(٥).

وفي عهد المرينيين، بلغ سعر الدار في مدينة مراكش على ايام الرخص ألف دينار من الذهب^(٦). وبلغ سعر ثوب في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي بمدينة فاس عشر دراهم^(٧).

وأخيرا لابد لنا من الاستشهاد بما نقله لنا الرحالة والجغرافيين العرب، حيث اتفقوا جميعا على حدوث رخاء اقتصادي في بلاد المغرب، تدل عليه وفرة المواد ورخص الاسعار، وقد اشار بهذا الرخاء كل من ابن فضل الله العمري في "مسالك الابصار"، وابن الخطيب في "نفاضة

(١) ابن قنفذ، انس الفقير، ص ٧١.

(٢) ابن الزيات، التصوف الى رجال التصوف، ص ١٢٨، ص ٣٢٠، ص ٣٩٢.

(٣) م، ن، ص ٢٢٢.

(٤) م، ن، ص ١٣١.

(٥) م، ن، ص ١٢٥.

(٦) الاستقصا، ج ٢، ص ٤٨.

(٧) ابن قنفذ، انس الفقير، ص ١٤.

الجواب و " معيار الاختيار " في مواضع عديدة من مؤلفاتهم، ونستشهد ببعضها، فأبن الخطيب^(١)، يشير كثيرا عن الرخاء المفرط بالمدن التي زارها، ومنها مدينة أنفا التي كان " كيلها وافر وسعرها عن وجه الرخاء سافر .

وأشار العمري^(٢)، إلى رخص أسعار السكر في بلاد المغرب إلى درجة أن حمل من القصب يباع بثلاثة دراهم .

وشاطر العمري وابن الخطيب، الرحالة ابن بطوطة، الذي أشار الرخاء في بلاد المغرب في فترة هذه الدراسة، حيث يرى أن بلاد المغرب، هي من أحسن البلدان، وأرخص البلاد أسعارا، وأكثرها خيرات، وقارن أسعارها مع أسعار بلاد مصر والشام، حيث أشار إلى أن اللحوم والأغنام في مصر تباع بحساب ثمانى عشر أوقية بدرهم نقرة (والدرهم النقرة ستة دراهم من دراهم المغرب)، وبالمغرب يباع اللحم إذا غلا سعرة ثمانى عشر أوقية بدرهمين، وهما، ثلث النقرة، وأما بلاد الشام، فالفاكهة بها كثيرة، إلا أنها ببلاد المغرب أرخص منها ثمنا، فإن العنب يباع بها بحساب الرطل من أرطالهم بدرهم نقرة (ورطلهم ثلاثة أرطال مغربية)، ودرهم المغرب يساوي ثمانية " فلوس في بلاد الشام^(٣).

ومن هذه المقارنة بين أسعار السلع والبضائع في بلاد المغرب، وأسعار في البلاد المجاورة، كمصر والشام، يظهر لنا أنها كانت أرخص البلاد أسعارا وأكثرها رفاهة، وذلك بسبب الازدهار الاقتصادي الذي شهدته البلاد في تلك الفترة التاريخية.

(١) نفاضة الجراب، ص ٥١، معيار الاختيار، ص ١٥٨.

(٢) مسالك الأبصار، ص ٢٩٩.

(٣) ابن بطوطة، ص ٥٧٩، ص ٥٨٠.

الفصل الرابع

اشراف الدولة على الاسواق

بداية اشراف الدولة على الاسواق

يكتنف الغموض ظهور وظيفة الاشراف على الاسواق المغربية، وذلك بسبب قلة المعلومات التي تذكرها المصادر، ولكن يبدو، ان الخطوة كانت من صلاحيات ولاية المغرب، ويؤكد ذلك نص اوردده صاحب رياض النفوس^(١) عندما قال " اول ما نظر سحنون في الاسواق " وانما كان ينظر فيها الولاية دون القضاة "، كما ان تنظيم الاسواق وفق التخصص، قد ارتبط بالوالي يزيد بن حاتم المهلبي (١٥٥هـ - ١٧١هـ / ٧٧٢م - ٧٧٨م)، سنة (١٥٥هـ / ٧٧٢م)، الذي عرف انه حسن السيرة، فقدم افريقية واصلاحها ورتب اسواق القيروان، وجعل كل صناعة في مكانها^(٢). ومن هذا النص يبدو ان البذور الاولى لنظام الاشراف على الاسواق، او نظام الرقابة على التجار والصناع داخل الاسواق ترجع الى عصر الامراء المهالبة في افريقية (المغرب الادنى)، وخاصة في عهد الوالي يزيد بن حاتم، الذي استهل عهده بتنظيم اسواق القيروان، وخصص لكل صناعة سوقا على النمط الذي عرفته المدن العربية الاسلامية في المشرق كالقوفة والبصرة، حيث جعل المحلات صفا متصلا يقابله من الجهة الاخرى صفا اخر، وعين على كل صناعة عريفا من بين حذاق الصناعة، ويسمى امينا، ومهمته، اي العريف، ان يراقب سير العمل ويدافع عن حقوق الاجراء، ويحافظ على العلاقات الودية بين ارباب المهن والحرف، ويمنع الغش في الصناعة والاستبداد بالعمال

(١) المالكي، ج ١، ص ٣٧٥، ص ٢٧٦، ص ٢٧٧.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج ١، ص ٧٨.

الحرفيين^(١). وبذلك يمكن القول ان النظر في امور الاسواق كانت من اختصاصات ولاية المغرب، حيث كانوا يمارسون بانفسهم مهام المحتسبين وينتصبون للامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الاسواق والطرق والمؤسسات العامة حفاظا على الذوق العام وعلى مصالح المجتمع من المسلمين^(٢).

ومع ذلك فان وظيفة الحسبة في بلاد المغرب لم تظهر ضمن الوظائف الادارية المستقلة الا في عهد الامارة الاغلبية.

اولا ظهور وظيفة الحسبة في بلاد المغرب وتطورها حتى القرن

١١٠٠ هـ

عرفت وظيفة الحسبة في الاسلام، باتها الامر بالمعروف اذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله^(٣)، ولم يلبث ان تطور هذا المفهوم في البيئة العربية الاسلامية، وتعدى الى واجبات عملية تتفق ومصالح السكان، وبالاخص في المدن الكبيرة، حيث يشكل ارباب الحرف والمهنة، اغلب السكان، لذا لم تعد الحسبة مراقبة للسلوك والاخلاق. بل هي مراقبة مختلف الانشطة الاقتصادية في الحياة المدنية.

(١) ابن عذاري، البيان، ج ١، ص ٧٨. وانظر، البكري، المغرب، ص ٢٥. موسى، لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الجزائر ١٩٧١، ص ٣٩. وحسن حسني عبد الوهاب. ورقات من الحضارة العربية بإفريقية، ج ١، ص ٥٨، ص ٦٠.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ١٠١.

(٣) الشيرازي، عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشر السيد الباز العربي، مطبعة لجنة التأليف والنشر، (القاهرة، ١٩٤٦). ص ٩، وانظر، ابن خلدون، المقدمة، ص ١٥١.

لقد أدت الحسبة دورا مهما في الحياة الاقتصادية، واخذت تشكل جانبها أساسيا من جوانب الإشراف الحكومي على مختلف أوجه الأنشطة المهنية والحرفية في داخل الأسواق، من حيث تفقد عيار الأوزان والمكاييل، ومنع قيام الاحتكار والغلاء، ومراقبة الغش والتدليس في المعاملات ومنع تعاطي الربا في العمليات المالية، فضلا عن الإشراف على البضائع المختلفة، ويلتزم المحتسب الأسواق في كل وقت ويكشف الحوانيت والطرفات، ويصحب معه امينا عارفا ذا ثقة يعتمد على قوله، وإذا رأى من يحتكر صنفا لزمه ببيعه^(١)، وعادة يتخذ المحتسب له دكة بالسوق يراقب من خلالها العاملين فيه، فعلى سبيل المثال، كان للمحتسب بمدينة فاس دكة في سوق العطارين^(٢)، ولمحتسب مدينة تونس دكة في سوق العطارين أيضا^(٣).

وفي بلاد المغرب انيطت مهمة إدارة الأسواق من قبل الجهاز الحكومي إلى شخص يعرف بالمحتسب. كما هو الحال بالمشرق الإسلامي، حيث نم ينزك التعامل يسير وفق مصالح أهل السوق، بل نظمت تحت رقابة الدولة تنظيما دقيقا.

وسوف نتناول الجذور التاريخية لنشأة نظام الرقابة على الأسواق في بلاد المغرب قبل فترة دراستنا، ليتسنى لنا معرفة التطور التاريخي لنشأة هذا النظام.

(١) ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد الفريشي، معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق، محمد محمود شعبان، وصديق أحمد عيسى (مصر، ١٩٧٦)، ص ٣٢٠.

(٢) المنوني، ورقات، ص ١٠١.

(٣) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ٣٥.

فبعد قيام الامارة الاغلبية في افريقية، استمر بعض الامراء او من ينوب عنهم يمارسون وظيفة الحسبة بانفسهم، ولدينا بعض الشواهد في هذا المجال. ففي اشارة لابن عذاري^(١)، عن الامير ابي عقال (٢٢٣هـ - ٢٢٦هـ / ٨٣٧م - ٨٤٠م)، يذكر فيها انه حينما ولي الامارة سنة (٢٢٣هـ / ٨٣٧م)، امن الناس واحسن اليهم والى الجند. وغير احداثا كثيرة كانت قبله، واجرى على العمال ارزاقا واسعة وصلات جزلة وقبض ايديهم عن الرعية وقطع النيبذ من القيروان وعاقب على بيعه وشربه. اذن فأبو عقال قام بتغيير المنكر وازالة اسباب الشكوى من الناس.

وكان الامراء الاغلبية يعهدون امر الاشراف على الاسواق في كثير من الاحيان الى مساعديهم من القضاة واعوانهم ويفوضوا لهم النظر في الولاة والجباة والحدود والقصاص والعزل والولاية، والامر بقطع المنكر، في جمع مدن ولايتهم، وخاصة مدينة القيروان^(٢).

وهكذا بقي امر الاشراف على شؤون الحسبة للامراء او لمن ينوب عنهم من العمال او القضاة، حتى ولي محمد بن الاغلب (٢٢٦هـ - ٢٤٢هـ / ٨٤٠هـ - ٨٥٦م) سحنونا القضاة في ولاية افريقية سنة (٢٣٤هـ / ٨٤٦م)، واعطاه كل السلطات التي تخوله الحكم حتى فيما يخص بصل الامير^(٣).

ولما استلم سحنون مهمته الجديدة باشر بشؤون القضاة والحسبة معا، " فاجتمع في شخصه"، وكان منصب القضاة من قبله لمن

(١) ابن عذاري، البيان، ج ١، ص ١٠٧.

(٢) المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٣٨١.

(٣) المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٢٧٢، ص ٢٧٣.

يعينهم الامراء من القضاء والحسبة من اختصاص الولاة وحدهم، وذلك حينما قام بفصلها من منصب القضاة وافرادها بولاة وعمال مستقلين ساهمهم المحتسبين او امناء الاسواق، والدليل على هذا ما اشار اليه المالكي بقوله " كان يجعل الامناء على ذلك ^(١) .

اما اهم ما قام به سحنون فيما يتعلق بالاسواق، فاته نظر في انواع المعاش وما يغش من السلع، وادب على الغش بالنفي من الاسواق، وكان بحق اول قضاة افريقية الذين نظروا في الحسبة وشؤون الاسواق. ونصب الامناء على الاسواق ليراقبوا سير الحياة التجارية وانواع السلع وتصرفات التجار، وامرهم بتغيير المنكر ^(٢). وقد كان هؤلاء الامناء يساعدون القضاة في صميم عملهم الرئيسي الا وهو القضاة ويبرز ذلك بوضوح في عهد القاضي سليمان بن عمران حينما نظر في احدى القضايا، وقبل اصدار الحكم فيها طلب من غلامه بشران ان يذهب الى صاحب احدى الاسواق ليطلب منه مساعدة القاضي في تنفيذ الحكم من الاحكام وذلك ما اشار اليه الخشنى بقوله ثم قال لغلامه يابشر اذهب الى صاحب سوق الجمال وقل له، كي يبعث باربعة اجمال حتى اطوف عليها رجالا شهدوا عندي بالزور ^(٣).

ومن الجدير بالاشارة ان سحنونا عندما تولى القضاة في افريقية، احدثت ولاية المظالم، وعين لها حبيب بن نصر التميمي، وهو اول صاحب مظالم في القيروان، وذلك سنة (٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م)، وحدد

(١) المالكي، رياض النفوس، ج ١، ص ٢٧٦. لقبال موسى. الحسبة الذهبية.

ص ٤٢، ص ٤٣.

(٢) م. ن. ج ١، ص ٢٧٩، ص ٢٨٢، م. ن. ن ص ٤٣، ص ٤٤.

(٣) علماء افريقيا والمغرب، ص ١٨٢.

له وظيفته بالحكم بين الناس فيما يحدث لهم في السوق، وجعل له النظر مدنياً ليبلغ عشرين ديناراً^(١). فصاحب السوق في هذا التنظيم، وهو والي المظالم.

ولما ولي عيسى بن مسكين القضاة بإفريقية، عين أبا الربيع سليمان بن سالم والياً للمظالم وأذن له أن ينظر في مائة دينار^(٢). كما أن عيسى بن مسكين عين شخصاً آخر، اسمه محمد بن محمد الطرزي للمنصب نفسه، لذلك يعرف ابن ناجي المظالم، بأنها أحكام السوق : ، حيث ينقل عن أبي العرب، بأن عيسى بن مسكين قد ولي أسواق القيروان الطرزي، ويؤكد ابن ناجي، بأن الطرزي لم يل أسواق القيروان اضبط منه^(٣).

أذن فولاية المظالم هذه التي أحدثها سحنون، كان أمر تسميتها راجعاً للقاضي المحتسب ونلاحظ، أن السنة التي أحدثت فيها ولاية المظالم، هي نفس السنة التي عين فيها المحتسبين أو ولادة المظالم أعلاه.

وعلى أي حال، فإن صاحب السوق في نظر سحنون هو والي المظالم، لذلك نرى أن يحيى بن عمر عندنا وضع كتابه أحكام السوق^(٤)، كان مشتملاً على موضوعات خارجة عن نطاق الأسواق،

(١) الديباج، معالم الإيسان، ج ٢، ص ١٩٨، ص ١٩٩، أبو العرب، طبقات، ج ١، ص ٤٣.

(٢) الديباج، ج ٢، ص ٢٠٧، أبو العرب، طبقات، ج ١، ص ١٥١.

(٣) معالم القيروان، ج ٣، ص ٧، أبو العرب، طبقات، ج ١، ص ١٥٢.

(٤) انظر، كتاب أحكام السوق، ليحيى بن عمر في المعيار للونشريسي، ج ٦، (طبعة، ١٩٨١)، ص ١٠٦.

ومندرجة في شؤون ولاية المظالم، وهو أول تأليف ظهر في العالم الاسلامي يبحث في شؤون الاسواق وينزل الاحكام الفقهية عليها.

ونرى في بعض الاحيان، ان وظيفة المحتسب لا تقترب فقط من ولاية المظالم وتتدرج ضمن مهامها فحسب، بل كانت سلطات المحتسب متداخلة مع ولاية الشرطة ايضا، لذلك نرى بان هناك بعض المحتسبة، قد جمع بين الحسبة والشرطة، فعبد عبد المنعم محمد الخزرجي، ولي القضاة بعدة من وجمع له النظر في الحسبة والشرطة^(١).

وظهر الاهتمام بوظيفة الحسبة في اقاليم المغرب الاخرى، حيث الامارات المعاصرة للاغالبية، فالمغرب الاوسط، حيث الامارة الرستمبة التي يتركز محور الدولة فيها على قواعد الكتاب والسنة حسب اجتهاد المذهب الاباضي تحت اشراف رئيسها الاعلى الملقب بالامام. إذ لا خلافه وراثية عندهم. والامام يتعين في منصبه هذا بالانتخاب والكفاءة. أو العهد اليه من سلفه، وله مستشارون ومحتسبون وامناء عن الاسواق. وفي بيوت الاموال، وتشير المصادر ان هذه الخطة كانت معروفة منذ بداية حكم الاباضية في بلاد المغرب. قال ابن الصغير^(٢) لقد حدثني غير واحد انه كان للعجم مقدم يقال له ابن ورد، قد ابتنى سوقا يعرف به فكان صاحب الشرطة افلح بن عبد الوهاب اذا تخلل بالمدينة لم يجسر ان يدخل سوق ابن ورد ولا يتخلله هيبة منه. كما ان منطقة جبل نفوسة كانت تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الاموال وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على القضاة^(٣).

(١) يحيى بن عمر، احكام السوق مع المعيار، ٦، ص ٤١٢.

(٢) ابن الصغير، اخبار الامة الرستميين، ص ٦٨، ص ٧٣.

(٣) م: ن، ص ٦٩، ص ٧٤.

ويبدو لنا من خلال روايات ابن الصغير هذه، ان صاحب الشرطة كانت له صلاحيات واسعة داخل الاسواق، ولربما كانت من مهماته الاساسية مراقبة السوق ومتطلباته العامة، اما عبارته الثانية حول نفوسه، فيبدو لنا ان منطقة نفوسه هي المنطقة التي كانت تستخدم فيها عملية الاحتساب، او مراقبة الاسواق في عهد افلح بن عبد الوهاب، او هي من خلال مشايخها نحدد المحتسب وصلاحياته.

وعندما رجع ابو اليقضان بن افلح (٢٦١هـ - ٢٨١هـ / ٧٨٤م - ٨٩٤م)، من المشرق لم ينكر على اخيه ابي بكر بن افلح (٢٥٨هـ - ٢٦١هـ / ٨٧١م - ٧٨٤م) شيئا ولا ادعى امارا، بل ظهر القيام له والحسبة بين يديه، وكان ابو بكر يحب الذات ويميل الى الشهوات. فصرف النظر في المدينة واحوازها الى اخيه ابي اليقضان^(١). وهذا يعنى ان الحسبة كانت معروفة عند الرستميين قبل الامام ابي بكر، وربما كان يتولاها الامام بنفسه او من ينوب عنه.

ويبدو لنا ان ابا اليقضان طبق نظام الحسبة المتعارف عليه في المشرق من خلال تواجده في دولة بني العباس، حتى انه لم نسمع من المصادر المتوفرة لفظة محتسب الا في البلاد الرستمية، عكس ما لمسناه من التسميات المتداولة كالامين وصاحب المظالم وصاحب السوق وغيرها من الصفات^(٢).

(١) ابن الصغير، اخبار الائمة، ص ٨٨.

(٢) يشير الاستاذ لقبال موسى، بان الحسبة في عهد الرستميين كانت تعرف باسم المشرف على السوق ويعزو هذه الكلمة لابن الصغير، ويقول باتها كثيرا ما ترد في تاريخه، والحقيقة، لم نجد لها ذكرا اطلاقا عند ابن الصغير، بل وجدنا كلمة الحسبة او الاحتساب كثيرا ما ترد عند ابن الصغير، انظر، الحسبة الذهبية، ص ٣٣.

وقام ابو اليقضان بهذه المهمة احسن قيام، فكان يركب دابته ويطوف في المدينة حتى اقصاها، يحكم في الامر الضروري، ويأمرهم اذا حدث حادث ان يوافوه داره، فلذا احكم جميع ذلك انصرف الى داره، فاذا كان بالغداة غدا الى باب اخيه والحسبة بين يديه^(١). ويبدو ان لابي اليقضان طغتان احداهما في الصباح والاخرى في المساء، وهذا يدل على مدى اهتمامه بامر السوق ومتطلباته، بحيث لا يترك اصحاب السوق يسرون وفق هواهم.

وعندما دخل ابو اليقضان مدينة تاهرت امر قوما من نفوسه يمشون في الاسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. قالوا فان رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه^(٢)، ويبدو ان اهل نفوسه اختصوا بمراقبة الاسواق. لان قبيلة نفوسه حسبا يذكر ابن الصغير هي التي اقامته في دينها وتحليلها وتحريمها^(٣). ونعنه يريد هنا ان يعبر عن مدى طاعة اهل نفوسه للامام ابي اليقضان لا غير بحيث انهم افتتوا له وامنوا به. وهو كذلك، بحيث جعل بعضهم عند ذهابه الى مدينة تاهرت قوما في الاسواق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. ولربما وجد فيهم الكثير من عمق ايمانهم. وفي اشارة للباحث بحاز ابراهيم، يوضح فيها، ان سبب قيام ابي اليقضان على نظام الحسبة في تاهرت تعود الى فتنة ابن عرفة وما خلفه من فساد، فضلا عن ذلك سعة مدينة

(١) ابن الصغير، اخبار الامة الرسميين، ص ٨٨.

(٢) ابن الصغير، اخبار الامة الرسميين، ص ٨٩.

(٣) مثلما قامت النصراني عيسى بن مريم، ابن الصغير، ص ٨٨، ولا نعرف اوجه التشبه بين الامام ابي اليقضان واهل نفوسه. وبين عيسى بن مريم وانصاره من النصراني، فهذا تشبيه غامض نوعا ما، ولكنه يعبر كما اشرنا الى مدى طاعة اهل نفوسه للامام ابي اليقضان.

تاهرت وتعدد اسواقها، بحيث جعل الامام يعهد امر مراقبتها الى مجموعة من الاشخاص من اهل جبل نفوسة^(١).

والشيء الملفت في رأى بحاز هذا، هو، هل تعيين عدة محتسبين في آن واحد وهل كثرة الاسواق في مدينة ما تتطلب تعيين اكثر من محتسب. ان الشيء الذي نفهمه من نص ابن الصغير، ان ابا اليقضان لم يعين محتسبا بالمعنى المتعارف عليه وانما اكتفى بتعيين امناء او عرفاء للاسواق، على الرغم من عدم التصريح بهذه العبارات جهارا عند ابن الصغير، اما وظيفة الحسبة فلم يعين لها الامام شخصا معيناً، بل كان هو نفسه محتسبا، والدليل على ذلك، اننا نرى تعثر على اسم محتسب في الدولة الرستمية، الاشارة الشماخي^(٢)، التي يذكر فيها ان نفوسي يدعى ابو يوسف، كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في اسواق مدينة جادا في جبل نفوسة، وهذا دليل على ان المحتسبين لم يكن يقتصرؤا على مدينة تاهرت فقط، بل في بعض اسواق الدولة الرستمية الاخرى.

وعلى أي حال، فان الاستاذ لقبال موسى، يرى ان مجتمعا مثل مجتمع الاباضية انذاك لابد ان يحرص افراده على قضية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة العادات السيئة، وبالتالي مراقبة الاسواق والمعاملات المالية والتجارية القائمة فيها^(٣).

(١) بحاز ابراهيم، الدولة الرستمية، ص ٢٧٠.

(٢) الشماخي، ابو العباس احمد بن سعيد، كتاب السير، طبعة حجرية، قسنطينة،

(الجزائر، ١٣٠١هـ)، ص ٣٣٣، ص ٣٣٤.

(٣) نقباء موسى، الحسبة المذهبية، ص ١٦.

ولم تمدنا المصادر، بأي نوع من المعلومات عن خطة الحسبة عند الادارسة في اقليم المغرب الأقصى، ويجزم الفاسي^(١)، بقوله، انه من المؤكد هناك نوعا من الرقابة على الاسواق في مدن المغرب الأقصى، لكن المعلومات لم تصل الينا مع الاسف.

كما ان محمود اسماعيل^(٢)، يشير الى ان وظيفة الحسبة كانت معروفة على عهد امارة الادارسة، وخاصة في طورها الاول، أي عصر الازدهار، ولكنها فقدت اهميتها، وفقد المحتسب صلاحياته في الاشراف على الاسواق في طور انهيار الامارة الادريسية. ولم تصلنا الا بعض الاخبار القليلة عن نظام الحسبة عند الفاطميين في بلاد المغرب فقلما ترد كلمة محتسب بحكم منصبه، وذلك راجع ان الحسبة كانت مجرد فرع من القضاء وان القاضي هو نفسه المحتسب. الا ان هناك اشارة من الخشني^(٣)، يذكر فيها اسم الخلافي (كذا) كاول محتسب في الدولة الفاطمية الذي عذب على يد القاضي المروري. وهذا يعني ان خطة الحسبة في الدولة الفاطمية كانت منفصلة عن القضاء حسب اشارة الخشني هذا، الا انه في اغلب الاحيان، كانت الحسبة في العهد الفاطمي في عموم ولاية صاحب الشرطة^(٤). ويشير الفاسي^(٥) الى ان المحتسبين

(١) الفاسي، خطة الحسبة، ص ٨٠.

(٢) محمود اسماعيل عبد الرزاق، الادارسة في المغرب الأقصى: حقائق جديدة.

مكتبة الفلاح للنشر، (الكويت، ١٩٨٩)، ص ٩٣.

(٣) الخشني، علماء طبقات افريقية والمغرب، ص ٢٣٠.

(٤) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ١٩٥٨)، ص ٣٢٤.

(٥) حسن ابراهيم، ص ٥٧. وفي اشارة للعلامة حسن حسني، يذكر فيها ان من اشهر المحتسبين في العصر الفاطمي في بلاد المغرب، هو ابو -

الفاطميّين في بلاد المغرب ذو اختصاص واسع في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كان المحتسب يركز في رفع المنكر على محاربة المذاهب الاخرى، واجتذاب اتباع وانصار لمذهب الدولة، ومن ثم اتسعت سلطته حتى كانت ولاية الشرطة تحت اوامره، وكان يخلق عليه عند التعيين، وكان نه نواب يطوفون في الاسواق، وبذلك اشبه موكبهم في الطواف بالمدينة، تلك الصورة الاندلسية التي توحى بالرهبنة واتساع النفوذ، وحزامة الخطة على مستوى عظمة الدولة.

ومما يؤكد على وجود خطة احتسابه في العهد الفاطمي في بلاد المغرب. هو ان ابا عبد الله الشيعي، داعي الدعاة للفاطميّين، كان اصله من الكوفة في العراق، وكان محتسبا في سوق الغزل في مدينة البصرة العراقية^(١). كما ان ابا عبيد الله المهدي (٢٩٦هـ - ٣٢٢هـ / ٩٠٨م - ٩٣٤م)، كان يكلف ونده وولي عهده ابنه القائم ابو القاسم محمد (٣٢٢هـ - ٣٣٤هـ / ٩٣٤م - ٩٤٦م)، لمراقبة الاسعار وارتفاعها وعملية البيع والشراء^(٢). فضلا عن ذلك. ان الفاطميّين حينما انتقلوا

= القاسم الطرزي. حيث ولي الحسبة في القيروان. ولكن الشيء الذي نعرفه عن الطرزي بانه ولي النظر في ولاية المظالم في عهد القاضي عيسى بن مسكين في عهد الامارة الاغلبية كما اثبتنا الى ذلك. انظر حسن حسني، ورقات من الحضارة العربية، ج ١، ص ٥٨، ص ٦٠، وانظر عن الطرزي، الدباغ، معلم الايمان، ج ٣، ص ١٠. ولكن ربما يكون رأي العلامة حسن حسني صحيحا خاصة اذا ما عرفنا بان الطرزي توفي سنة ٣١٧هـ / ٨٣١هـ، أي في عهد الدولة الفاطمية، ولكنه لم يشير الى مصدر هذه المعلومة.

(١) ابن حماد، اخبار الملوك بني عبيد وسيرتهم، ص ١٩. القاضي النعمان، افتتاح

الدعوة، ص ٥٩.

(٢) م، ن، ص ٢٥.

الى مصر باشروا بتعيين بعض الاشخاص في هذه الوظيفة ومنهم بعض المغاربة الذين رحلوا معهم، ومن اشهرهم سليمان بن عزة المغربي^(١). وهذا دليل على ان الفاطميين في بلاد المغرب عرفوا نظام الحسبة في كل الاحوال، ولكن المصادر لم تسعفنا بالمعلومات الكافية عن تلك الوظيفة.

ثانيا :- (الحسبة في بلاد المغرب ما بين ٩٥٥هـ / ١١١٠م) الى (٩٩٥هـ / ١٥٠٠م).

ما بين (٩٥٥هـ / ١١١٠م الى ٩٩٥هـ / ١٥٠٠م) حصل تبلور واضح في وظيفة الحسبة، وظهرت بعض المؤلفات الخاصة بهذه الوظيفة في العالم الاسلامي، ولكن الشيء الملفت للنظر، ان اغلب المصادر التاريخية في هذه الفترة اغفلت ذكر وظيفة الحسبة في بلاد المغرب، الا في اشارات غالبا ما ترد عرضية، كذكر اسماء بعض المحتسبين، من دون التعرف على اختصاص هذه الوظيفة، وان اغلب المحدثين الذين كتبوا عن الحسبة في بلاد المغرب ثم يفحصوا لنا عن المعالم الرئيسية لهذا الجهاز التنظيمي، وخاصة الاستاذين لقبائل موسى في كتابه " الحسبة في بلاد المغرب " وعبد الرحمن الفاسي في كتابه " خطة الحسبة "، على الرغم من اعتمادنا عليهما في الكثير من الاحيان، ويبدو ان السبب في ذلك، يعود الى عدم وصول مؤلفات اصيلة عن وظيفة الحسبة في فترة هذه الدراسة في بيئات المغرب، اللهم الا كتاب

(١) المقرئ، تقي الدين احمد بن علي، شذور العقود في ذكر النفود، النجف، ١٩٦٧، ص ١٣٢. واتعاط الحنفا باخبار الائمة الفاطميين، الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيبان، (القاهرة، ١٩٤٨)، ص ١٦٦، ص ١٧٢.

واحد، هو كتاب العقباتي " تحفة الناظر"، من اهالي مدينة تلمسان، واغلب موضوعات هذا الكتاب هي معومات عامة عن الحسبة.

١- الحسبة في عهد المرابطين :

يشير المستشرق هوبكنز^(١)، ان ثمة مؤلفين عن الحسبة يعودان الى فترة حكم المرابطين واوائل حكم الموحدين، وهما كتاب السقطي المالقي، وابن عبدون، علما ان كليهما اندلسيان، ويضيف هوبكنز بتعصب الى ان المرابطين هم جماعات رحل من الصحراء وهم اميين لا يعرفون تطبيق العرف الادارية، لذلك ليس من المحتمل لاي امير او خليفة منه، اقامة نظام ادارة في ممتلكاته على غرار ما هو موجود من نظام للحسبة في بلاد الاندلس، لان تطبيق ذلك، كان يتطلب سنوات طويلة، وليس ثمة دليل انه كان لديهما اية سياسة مرسومة على هذا الموضوع.

ان هوبكنز لم يكن منصفاً للمرابطين حيث اعتبرهم مجرد قبائل رحل من الصحراء، وقاطعي طرق، ولم يفهموا بالاعراف الادارية الا ان المعروف عن المرابطين انهم قبائل من صنهاجة الصحراء، استطاعوا بفضل الفقيه عبد الله بن ياسين مؤسس الحركة، من الانبثاق الاقتصادي والسياسي. وترك صحراءهم والقدم الى المغرب الاقصى وتأسيس الدولة المرابطية التي وصلت درجة الامبراطورية، وهي اول دولة مغربية توحد مناطق واسعة تحت سيطرتها وشملت المغرب الاقصى، وبعض مناطق المغرب الاوسط، والصحراء الغربية، وافريقيا الغربية

(١) هوبكنز، ج، ف، ب، النظم الاسلامية في المغرب في العصور الوسطى، نقله الى العربية امين توفيق المظلي، الدار العربية للكتاب (تونس، ١٩٨٠)، ص ٢٢٩، ص ٢٣١.

والاندلس تحت سلطة دولة عربية مسلمة. يضاف الى ذلك ان دولة المرابطين قامت بمساعدة الفقهاء بل كانت نذار بسواعدهم، وهذا يوحي، بان نظامهم لم يكن يخلوا من منصب الحسبة، غير انهم بطبيعتهم اصحاب نقشف، فلجأوا الى الغاف في مناصبهم الادارية، واكتفوا بالقاضي المحتسب. ان عدم وصول معلومات تخص الحسبة في عهد المرابطين، يمكن ان يؤدي الى ضياع الكثير من المؤلفات التي تخص تاريخهم بفعل اعدائهم الموحدين^(١).

ان القاضي حسب قول الفاسي ولقبال، هو الذي كان يمارس مهمة الحسبة في الاسواق، الا اننا وجدنا ان داعية المرابطين عبد الله بن ياسين، حين، وصوله الى مدينة سجلماسة غير ما فيها من منكرات، رقتل المزاحير و احرق المتاجر التي تباع فيها الخمر^(٢). وقضى على مضاجر الجور وانتصف التي سلطها حكام مغراوي من زناته على السكان^(٣). وهذا العمل يعطينا فكرة عن الاسس التي سارت عليها دولة المرابطين في قضية الحسبة، فقد مارسها مؤسس حركتهم وفقههم عبد الله بن ياسين بنفسه.

ومن الجدير بالاشارة الى ان كثيرا من مدن المغرب الاقصى، كانت تعج بالنشاط الاقتصادي ايام المرابطين، كمدينة سجلماسة، المحطة الهامة للقوافل التجارية الصحراوية فانها، بلا ريب عرفت نظام المراقبة على الاسواق ومحاربة الغش وانواع المخلفات الاخرى وكذلك مدينة

(١) الفاسي. خطة الحسبة، ص ٨٤. وانظر. لقبال موسى. الحسبة المذهبية، ص ٤٩.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٨١.

(٣) السلاوي. الاستقصا، ج ١، ص ١٠٢. وانظر. ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٨١.

فاس ومراكش وسبته وطنجة واغامت وتلمسان وغيرها، فضلا عن ذلك، ان المرابطين مارسوا هذه الخطة على نطاق واسع في بلاد الاندلس، فليس من المعقول على رأي لقبال موسى^(١)، ان تترك هذه الخطة في بلاد المغرب، حيث كان هذا النظام يمارس في بلاد الاندلس على اشدّه، لان المحتسب كان يقوم بجولات تفتيشية في داخل اسواق المدن ويراقب سعر اللحم وبعض المواد الغذائية، حيث اجهر البائع على ان يكتب ورقة بالسعر على كل مادة معروضة للبيع، والويل لمن اهمل التسعير او تلاعب في وزن الخبز مثلا، فكان يعاقب بالنفي من السوق او التشهير به امام جمهور الناس^(٢). فاذا كان هذا حال الاندلس، فما بال حال مركز حكمهم، لاشك انه كان اكثر صرامة ودراية، ولكن المصادر المتوفرة بين ايدينا لم تسعفنا بمعلومات عن ذلك.

وعلى الرغم من كل هذا، يمكن القول، ان خطة الحسبة في عصر المرابطين، اوكلت الى شخص يعرف بصاحب السوق، وكان القاضي يولي محتسب السوق، ويشرف هذا الاخير على السوق، والتعامل داخله، وعلى سلامة السلع، والسراج ان المحتسبين على السوق واعوانهم في العصر المرابطي، لم يقوموا بواجباتهم كما ينبغي، اذ تكشف نوازل الفترة، على انتشار الغش داخل الاسواق^(٣). ويبدو ان المحتسبين في العصر المرابطي ترك العمل لاعوانهم ولم يراقبوهم، ولهذا يشدد السقطي على وجوب القيام المحتسب في العمل بنفسه،

(١) الحسبة المذهبية، في بلاد المغرب، ص ٣٥.

(٢) م، ن، ص ٣٥، ٣٦.

(٣) المعيار، ج ١، ص ٢٤٣ : ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص ٤١ - ص ٤٢.

وعدم ترك ذلك لاعوانه^(١). بينما نرى العكس في عصر الموحدين، حيث ان اعوان المحتسب، والذي يطلق عليهم بالامناء لم يتركوا يتصرفوا وفق مصالحهم، بل تشير المصادر ان المنصور الموحدي (٥٥٨هـ - ٥٨٠هـ / ١١٦٣م - ١١٨٤م) كان يراقبهم ويجتمع فيهم مرتين في كل شهر^(٢). ومن الخطط التي نذكرها كتب التراجم في ايام المرابطين هي خطة الاشراف على المدن، وينسبونها الى المحتسب، فقد ذكر ابن خاقان^(٣)، ان ابن ابي الخصال، كتب الى الوزير ابي بكر بن رحيم يهنئه بولاية خطة الاشراف وذلك في شوال من عام (٥١٥هـ / ١١٢١م)، ويبدو ان صاحب هذه الخطة كان يعين من قبل امير المسلمين مباشرة. وهو بمثابة المسؤول الاول عن كل ما يحدث في المدينة. واتصاله مباشرة مع الأمير. وهذا ما يفهم من رسالة ابن ابي الخصال الى صديقه الوزير الذي نولى هذه الخطة. ويعتقد الدكتور سلامة، ان هذه الخطة. تعني خطة الحسبة بل ويضعها ضمن اشراف وواجهات المحتسب^(٤).

٢- الحسبة في عهد الموحدين -

ان نظام الحسبة في عهد الموحدين، كان اكثر وضوحا من العصر المرابطي، حيث عثرنا في المصادر على اسماء بعض المحتسبين. الا ان هذه المصادر، لا تشير بصراحة الى وجود خطة الحسبة، على الرغم من ان الدولة في تكوينها قامت على مبدأ الامر بالمعروف والنهي

(١) السفطى، رسالة في الحسبة، ص ٩. ص ١٠. ص ١٢. ص ١٣. ص ١٤.

ص ١٦، ص ٢٦، ص ٤١.

(٢) انمراكشى، المعجب، ص ٢٨٥، حركات المغرب عبر التاريخ، ج ١، ص ٣٣٩.

(٣) ابن خاقان، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله الاشبيلى، فلاح العقيان في

محاسن الاعيان، (تونس، ١٩٦٦)، ص ٢٠٥.

(٤) دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص ٢٧٤، ص ٢٧٧.

عن المنكر، وكان تغير المنكر هذا حجر الأساس للصرح الديني الذي شيده القائم بأمر الموحدين، حيث مارس مهام الحسبة بنفسه خلال رحلة العودة الى المغرب الأقصى، فقام باحراق الدكاكين التي يتواجد فيها الخمر، وخاصة في مدينة ملالة كما اشار البيهقي^(١) الى ذلك بقوله " فلما كان في بعض الايام دخل المدينة حتى وصل باب البحر، فاحرق بها الخمر، فقال المؤمن تمار والكافر خمار... وقالوا له من امرك بالحسبة. فقال : الله ورسوله ثم رجع الى المسجد...، كذلك هاجم تلاميذ المهدي أثناء دخوله مدينة فاس واستقراره بها بعض الوقت، حوالت اللهو والطرب^(٢).

كان المحتسب في العصر الموحد يتولى وظيفة الحسبة نيابة عن القاضي. لأن الخطتين كانتا متداولتين بين القضاء والحسبة، فقد وجد من القضاء من زاول اعمال الحسبة، مثل القاضي علي بن سليمان، حينما احترقت اسواق مدينة فاس سنة (٥٣٩هـ / ١١٤٢م)، ونصبت بعض المحلات. فقام بالتشديد على اهل الريب، حتى اخذ منهم ما سرقوه من السلع والبضائع من داخل السوق وكثير من المتاع^(٣).

وفي اشارة الى ابن الزيات^(٤)، ان قاضي مدينة مراكش ابا يوسف حجاج بن يوسف استدعى احد الصالحين من مدينة فاس، وهو عبد الملك بن مروان اللمتوني (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) ليوليه وظيفة الحسبة في مدينة مراكش وذلك سنة (٥٦٠هـ / ١١٦٤م).

(١) البيهقي، اخبار المهدي بن تومرت، ص ٥٣.

(٢) م، ن، ص ٦٤، ص ٦٥.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ج ٦، ص ٢٤٦.

(٤) التشوق الى رجال التصوف، ص ٢٢٣.

ومما تجدر الإشارة إليه، ان ولاية الحسبة لم تكن طوعية في عصر الموحدين واتما اجبر بعض الاشخاص على ولايتها، ومنهم ابو يعقوب يوسف بن علي الذي اكره على ولاية الحسبة في بلدة داي بالمغرب الأقصى، فدخل محل اهله وهو يبكي ويقول " لو اراد الله بي خيرا ما عرفني احد " فبقى في منصبه الى ان اعفي من تلك الولاية^(١).

وفي ترجمة الفقيه ميمون الخطابي من اهل مدينة فاس (ت ٦٢٧ هـ / ١٢٣٠م) انه كان على حسبة الطعام بمدينة مراكش في العصر الموحدي. وان اصطلاح حسبة الطعام لم ترد حتى في المؤلفات الاندلسية، مما يدل على انه لم يكن محتسبا بالمعنى الفقهي المعروف باختصاصاته كلها، وانما مهمته مقصورة على الطعام فقط^(٢).
الا اننا نجد في اشارة من القلقشندي^(٣) يذكر فيها الى ان هناك محتسبا كان يدعى بصاحب الطعام بالعصر الموحدي. واعتقد ان مهام السنصب هذا كانت مقتصرة على اعداد الطعام في قصور الامراء والخلفاء. والتي يطلق عليه في كثير من الاحيان بالاستادار^(٤).

ويرى الفاسي^(٥)، ان بعض المؤرخين، فهموا ان الحسبة كانت بمكانه مرموقة عند الموحدين معتمدين في ذلك على ان دعوتهم قامت على الامر بالمرعوف والنهي عن المنكر، فضلا عن ذلك، ان البيهقي^(٦) قد ادرج كلمة المحتسبين في باب تمييز الموحدين على يد الامام المهدي

(١) التشوق الى رجال التصوف ، ص ١٤٦، ص ١٤٧.

(٢) انظر، الفاسي، خطة الحسبة، ص ٨٥.

(٣) صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٣٥.

(٤) م، ن، ج ٥، ص ١٣٦.

(٥) خطة الحسبة، ص ٨٥، ص ٨٦.

(٦) اخبار المهدي بن تومرت، ص ٣٥.

وشرح انسابهم وافخاذهم، حيث قال بعد ان ذكر القبائل " المحتسبون وفقهم الله لهم من القبائل احدى وعشرون " وهو يعنى بكلمة المحتسبين الذين احتسبوا اجرهم على الله في القيام بالغزو، وقد شرحها البيهقي نفسه فقال " وهم المسمون بالغزاة عن اذن امير المؤمنين ابي يوسف ". اما المراكشي^(١)، المعاصر للموحدين، فقد ذهب الى ان المحتسبين الموحدين هم اصحاب الخطط في الاسواق، وهم اول الصف في مجموعتهم وقيانهم، وربما ان المراكشي عرف عن كتب، ان الغزاة، هم القبائل التي اعتمد عليها الموحدون، كانوا يقومون بالاشراف على الاسواق ولربما كانوا من تلاميذ المهدي الذين استخدموا في تغيير المنكر في مدينة سجلماسة كما مر بنا.

وعليه فان الحسبة من هذا المنطلق كانت لها اهمية خاصة عند المرابطين والموحدين. وخاصة في نظامهم السياسي والاداري. وبعد تفكك دولة الموحدين، وقيام دولة بني مرين في المغرب الاقصى وبني عبد الواد في التمسان، وبني حفص في تونس، بقيت وظيفة الحسبة قائمة، الا ان مؤلفات الحسبة في هذه العصور اصبحت تقليدية اشبه ما تكون بكتب الفقه، ولم يصلنا غير كتاب العقباتي " تحفة الناظر " ولعله الوحيد من انتاج هذه العصور، ومطومات هذا الكتاب عامة في الفقه الاسلامي، على اثر غم من ان العقباتي كان قاضي القضاة في الدولة الزيانية، لكنه لم يقدم لنا ما يشفي الغليل في هذا الجانب بالرغم من انه خصص بابا عن الاسواق وعده اهم ابواب كتابه.

(١) المعجب، ص ٨٨، ص ٣٢٩.

٢- الحسبة في عهد بني مرين :-

لقد وصلت النظم الاقتصادية أيام المرينيين الى نضجها، حتى نجد ان لكل صنف من الصناعات والتجار، رؤوساء يختارونهم من بينهم ويسمون بالامناء^(١)، حيث كانت لهم حرية التصرف في مصالح المهنة التي يرأسونها، فقد أسس امناء التجار على سبيل المثال صندوقاً احتياطياً في مدينة سلا كان دخله من درهم واحد يأخذونه عن كل شقة صوف تباع، وقد رصدوا المتجمع في ذلك للاستعانة به فيما يحدث من ضرائب استثنائية غير عادية^(٢). وعلى هذا الاساس من التنظيم المهني، فقد ظهرت في العصر خطة الحسبة واضحة المعالم، فأبن الخطيب^(٣). يذكر ان ادارة الاسواق في بلاد المغرب خلال حكم بني مرين جعلت مسؤوليتها بيد المحتسب. كما ان ابن قنفذ^(٤)، اشار الى ان " السلطان المريني في زمانه هذا قد امر بتغيير المنكر بنفسه واقامة الحد على من يرى انه لا يحسن عليه بذلك، وظهر في ذلك ظهوراً تاماً.

(١) الامين. ليس اهتمامه بالسوق اهتماماً اخلاقياً، وانما هو بالدرجة الاولى جباية الضرائب المفروضة على المواد المتداولة في الاسواق. فهو غير واجبات المحتسب التي تكون مهمته لا تهدف الى تحقيق لخل من السوق لفائدة الدولة، وانم الغرض منها حمل الباعة على الالتزام بقوانين الاسواق واحياتاً تقويمهم اذا اخلوا بها. انظر. التوزاني. نعيمة هراج، الامناء بالمغرب في عهد مولاي الحسن، مطبعة فضالة (المحمدية، ١٩٧٩)، ص ١٨.

(٢) العقباني، تحفة الناظر، ص ٢٤٤.

(٣) الاحاطة في اخبار غرناطة، ج ٤، ص ٢٤١، ص ٢٤٢، نفاضة الجراب،

ص ٧٢.

(٤) انس الفقير، ص ٧٩.

وفي ترجمة الشاعر الشهير أبي فارس عبد العزيز بن عبد الرحمن البلزوي المكناسي (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)، قال البقني^(١) "وقد جعل له النظر في امور الحسبة ببلاد المغرب، ومن مظاهر ممارسته لهذه الخطة ما ورد في روض القرطاس على ان تعديل الصيعان المغربية وجمعها على المد النبوي كان على يد هذا المنزوي^(٢).

وممن اثبت جدارة بهذا المنصب، الطيب الغرناطي غالب بن علي اللخمي (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م)، الذي تقلدها في مدينة فاس على عهد ابي سعيد عثمان (٧١٠هـ - ٧٣٢هـ / ١٣١٠م - ١٣٣١م)، واستمر في هذا المنصب في عهد ابي الحسن علي ابن عثمان (٧٣٢هـ - ٧٤٩هـ / ١٣٣١م - ١١٣٨م)^(٣).

وفي اشارة لابن القاضي^(٤)، يذكر فيها اسم محتسب في مدينة فاس اسمه ابن علي محمد الشقوري الغرناطي (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م)، كذلك علي بن احمد الحسيني السبتي الشهير بالكفاد الذي كان يجمع الى جانب الحسبة النظر في احباس مدينة فاس.

وذكر ابن الخطيب^(٥)، انه لقي بمدينة اسفي بالمغرب الأقصى سنة (٧٦١هـ / ١٣٦٠م) محتسبا اسمه ابا الضياء، منير بن احمد بن محمد بن منير الهاشمي الجزيري.

(١) البقني. مختصر الاحاطة، ج٦، الوجه ٧٦، مصورة الخزانة العامة بالرباط.

رقم (١٥٨٢) عن المنوني، ورفات من الحضارة المرينية، ص ٦٣.

(٢) ابن ابي زرع، ص ٢٨٢.

(٣) ابن الخطيب، الاحاطة، ج ٤، ص ٢٤٢، ص ٢٤٣.

(٤) جذوة الاقتباس، ص ٧٥، ص ٨٠، المنوني، الحسبة، مجلة المناهل، العدد

١٤، السنة السادسة، ١٩٧٩، ص ١٧.

(٥) نفاضة الجراب، ص ٧٢.

ومن الفقهاء المشهورين الذين عملوا كمحتسبين في الأسواق
الفقيه الصالح ابا الحسن علي اللجاني " الذي كان يمشي حافي القدمين
لتغيير المنكر"^(١).

وفي " بلغة الامنية ومقصد اللبيب " نجد اسم ابي عبد الله بن
ابي الجهار محتسبا في مدينة سبتة^(٢).

وفي الطور الاخير ندونة بني مرين ذكر السخاوي^(٣)، ان يعقوب
بن عبد الله الخافاني الفاسي، انتصب سنة (٨٦٧ هـ. / ١٤٦٣ م)، للامر
بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكف ايدي الفساد في الأسواق، كما قام
بنفس الدور الفقيه حفص بن عمر الجراجي^(٤)، كما عرفنا ان محتسب
مدينة درعة في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، كان
احمد بن سعيد التونسي^(٥).

ومن خلال واقع مدينة فاس كعاصمة مهمة، فإن المحتسب على
عهد المرينيين كان يتولى الكثير من الاعمال، فهو يمر على صاحب
الدكان، فيسأله عن الاحكام التي ينبغي ان يعرفها مما يخص الصناعة،
او عن الابواب التي يدخل منها المنكر والربا على بيعه فان جهل ذلك
منعه من ممارسة مهنته^(٦)، كما اننا نجد محتسب مدينة فاس له دور

(١) ابن قنفذ، اس الفقير، ص ٧٧.

(٢) انظر عنه الفاسي، خطة الحسبة، ص ٨٩.

(٣) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع، منشورات

مكتبة الحياة، (بيروت، بلا)، م، ٥، ج ١٠، ص ٢٨٣.

(٤) التبتكي، نيل الايتهاج، ص ١٥٨.

(٥) ابن الفاضي، محمد بن احمد، درة الحجال في غرة اسماء الرجال، تحقيق

محمد عنوش (الرباط، ١٩٣٤)، ج ١، ص ٩١.

(٦) ابن الحاج. المدخل، ج ١، ص ٧٧.

في الاشراف على البهائم داخل الاسواق^(١)، ويشدد على الظواهر التي تقع داخل الاسواق كاجتماع النسوة بالرجال، كما هو الحال في سوق الغزل، لاحتمال وقوع حالات تنتافى والاداب العامة، ولهذا جعل المحتسب لهن مكانا خاصا واوصى بثقات السماسرة المسنين من الرجال بالتعامل معهن^(٢). ومنع محتسب مدينة فاس، الخرازين (صانعي الاحذية) في بسط جلودهم في الشوارع العامة، وكان شديدا على من يمارس انفض في البيه منهم^(٣).

ويصف روجية^(٤)، محتسب مدينة فاس في العصر المريني، بان وظيفته تشبه وظيفة القاضي في خدمة الشرع، ومهمته الرئيسية الاشراف على صحة البيع والشراء، وبهذا فهو يشرف على الحياة الاقتصادية اشرافا كبيرا، حيث كان عليه ان يراقب المكايل والاوزان، وقد ثبت في جدارية القيسارية ذراعا قياسية كانت تستعمل للقياس، ومن المؤكد انه كانت عنده موازين قياسية، وكان عليه ان يتأكد من صحة المواد المعروضة للبيع، كما انه يفصل في الخلافات التي تقوم بين الصناع والتجار، وكان له اعوان يساعدونه في القيام بواجبانه، الا ان عددهم كان محدودا، وان مسؤولية منصبه كانت تقع على عاتقه او كاهله.

وفي اشارة للوزان،^(٥) في بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، يذكر فيها، ان المحتسب في مدينة فاس، كان يسمى

(١) الوزان، وصف إفريقيا، ج ٣، ص ١٣٦.

(٢) العقباني، تحفة الناظر، ص ٢٦٣.

(٣) م، ن، ص ٢٧٤.

(٤) فاس في عهد بني مرين، ص ٦٥، ٦٦.

(٥) الوزان، وصف إفريقيا، ج ١، ص ١٩٦.

رئيس الامناء، " وكثيرا ما يتجول هذا الموظف في المدينة على ظهر جواده محفورا باثني عشر راميا لمراقبة الخبز، وتفقد الاوزان للجزارين وما يبيعونه من بضاعة، فيأمر بوزن الخبز، وإذا لم يجد فيه الوزن المطلوب، قام بتفتيته قطعا صغيرة، ونزل على عنق بائعه بلكمة تتركه متورما متوجعا، وإذا تكررت المخالفة امر بجلد البائع اما الجمهور". وهذا يعني ان استخدام المحتسبين لاسلوب القوة مع اهل السوق برأى الوزن مظهر من مظاهر تدهور خطة الحسبة في نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ويضيف الى ذلك ان السلطان المريني اخذ يسند وظيفة الحسبة الى الاعيان الذين يطلبونها منه " ولم تكن تسند في القديم الا لذوي الكفاءة والمقدرة والسعة الطيبة، اما الان فأصبح الملوك يوكلونها الى ناس عاميين جهلاء^(١).

ويذكر الفاسي^(٢)، ان المحتسب في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. كان يتقاضى راتبه من تجار الاسواق على نسبة معينة من المبيعات.

(١) الوزن ، وصف أفريقيا ، ج ١، ص ١٩٦، ص ١٩٧. وانظر، العقباتي، تحفة الناظر. ص ٢٢٥.

(٢) خطة الحسبة، ص ٦١. ومن الجدير بالاشارة الى ان وظيفة الحسبة وعلى مر السنين، فقدت اهميتها ليس في بلاد المغرب فقط. وانما في بقية العالم الاسلامي، فمثلا في مدينة دمشق، يلاحظ انه في نهاية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، لم تكن تراعى القواعد الصحيحة في اختيار المحتسب، فاخذ يتسلمها أي فرد يستطيع تقديم او بذل اموال كثيرة. ففي شعبان من سنة (٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م). عزل ابن مرني من حسبة دمشق وولي مكانة ابي القاسم من اهل الصاغة، قال بن حجي، وقد اتحت رتبة الحسبة الى هذا الحد، وابن مرني هذا من الفقهاء المشهورين =

ونستنتج من هذا كله، ان وظيفة الحسبة في العهد المريني، قد مورست على نطاق واسع، وان الاشارات التي وصلتنا عنها ما هي الا نتفا قليلة من المعلومات التي لم تصل إلينا.

٤- الحسبة في عهد الحفصيين والزيبانيين :-

لقد ذهب بعض الباحثين المحدثين الى القول، بان خطة الحسبة عند الحفصيين والزيبانيين، أوكلت الى وظائف ادارية اخرى، ولذا فان معانمها غير واضحة.

فالشريف محمد الهادي^(١)، يذهب الى ان سبب عدم الاهتمام بوظيفة الحسبة في الدولة الحفصية، يعود الى ان الحفصيين، اعتمدوا في العمل على الجاليات الاندلسية ذات الكفاءة والخبرة، وكان تشغيلهم يتم في جهازين اداريين هما ديوان الانشا (المراسلات)، وديوان الاشغال المالية، وكان الوالي هو المسؤول عن جميع الضرائب والمحافظة على الامن في الاسواق وخاصة في العاصمة تونس، اما المدن الاخرى، فهي تدير مسؤوليتها اليومية العادية عن طريق مؤسساتها التقليدية مستقلة عن الدولة.

-- بدمشق، بينما ابو القاسم لم يكن سوى رجل ميسور كثير المال. انظر في هذا الصدد، ابن قاضي شهبه، بدر الدين محمد بن تقي، تاريخ ابن قاضي شهبه، تحقيق عدنان درويش، (دمشق، ١٩٧٧)، ج ٣، ص ٣٥. كما ان المحتمسين كانوا يتعرضون للايذاء من قبل العامة في عهد المماليك بمصر، انظر، ابراهيم طرخان، مصر في عهد المماليك الجراسكة، ص ٢٧٤.

(١) الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، دار النشر التونسية، (تونس / ١٩٨٠)، ص ٥٦.

ويذكر العامري،^(١) ان المحتسب في عهد الحفصيين كان يسمى بصاحب الشرطة او الحافظ، وهناك امناء للاسواق ويرأسهم شخصية ذو نفوذ واسع يسمى امين الامناء، الا ان معلومات العامري هذه ينقصها التوثيق.

ومهما كن، فنحن نقول، ان الحفصيين قد اخذوا بنظام الحسبة، ودلينا على ذلك ان الزركشي^(٢)، يذكر انه في عهد السلطان الحفصي، المستنصر (٦٤٧هـ - ٦٧٥هـ / ١٢٤٩م - ١٢٧٧م)، كانت هناك مقصورة يجلس عليها المحتسب في سوق العطارين بمدينة تونس، حيث اشار في حوادث سنة (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)، ان السلطان المستنصر امر بقتل الاديب العالم الفقيه ابي عبد الله محمد بن ابي بكر القضاعي، المعروف بابن الابار، في مقصورة المحتسب بسوق العطارين بتونس، وهذه الاشارة من الزركشي، تدل بدون شك على وجود وظيفة الحسبة في عهد الحفصيين.

اما في عهد الزيانيين في المغرب الاوسط، فلم تردنا معلوما عن اسم محتسب او وجود خطة احتسابية في جهازهم الاداري. ولكن من المؤكد انهم عرفوا هذه الوظيفة فليس من المعقول ان تنجب مدينة تلمسان الفقيه المشهور العقباتي، صاحب المؤلف الوحيد الذي وصلنا في فترة هذه الدراسة عن الحسبة، وتفتقر الى وجود هذه الوظيفة، خاصة وانه يشير ويأسف الى تدهور هذه الخطة في حواضر بلاد المغرب، كمدينة تونس وفاس ومراكش وتلمسان^(٣).

(١) العامري. تاريخ المغرب، ص ٢٤٠، ص ١٧٤.

(٢) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص ٣٥.

(٣) العقبات، تحفة الناظر، ص ٢٢٥.

اعوان المحتسب :-

يضم الجهاز التفتيشي الذي يقوم على رأسه المحتسب، الاعوان ويطلق عليهم بالامناء او العرفاء، وهم يعينون من قبل المحتسب، ويمثلون الساعد الايمن له، ويسمون عادة امناء الاسواق او عرفاء الاسواق ويكون امين كل صنعه او حرفه خبيرا ببضائعهم بصيرا بفشوشهم وتدليسهم، مشهورا بالنقّة والامانة والشرف ويطلع الامناء المحتسب باحوال اهل حرفهم، وما يجلب الى اسواقهم من السلع والبضائع، وما تستقر عليه الاسعار وغير ذلك^(١)، ومما سهل للامناء او العرفاء القيام بمهامهم وواجباتهم، هو تجمع اصحاب كل حرفه في سوق خاص بهم، حيث يقوم الامناء بمعاونة الوالي والمحتسب في تنفيذ القوانين الخاصة بالاسواق^(٢).

وفي بلاد المغرب استندعت وظيفة الحسبة في مجال اشرافه على الاسواق ان بعزز ادارته بالنواب كما يطلق عليهم القلقشندي^(٣)، ولا سيما في الامصار الكبيرة ذات الضواحي الامتلاء بالسكان، لكي يطلعوه على خفي اسرار اصحاب الحرف والمهن، وحتى لا يخفي عليه من امور السوق كثيرا او قليلا^(٤).

وهؤلاء الاعوان، هم الذين يطلق عليهم بالعرفساء بالمشرق الاسلامي والامناء في المغرب الاسلامي^(٥)، وقد اصبح هؤلاء المساعدون

(١) ابن بسام، محمد بن احمد، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين

السامرائي، مطبعة المعارف بـ (بغداد، ١٩٦٨)، ص ١٧، ص ١٨.

(٢) م، ن، ص ١٨، ص ١٩.

(٣) صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٧٥.

(٤) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٢٠.

(٥) تمرأكشي، المعجب، ص ٢٨٥.

تحت اشراف المحتسب يكثرون ويقلون عند الحاجة، فقد ذكر المراكشي^(١) " ان ابا يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠هـ - ٥٩٥هـ / ١١٨٤م - ١١٩٩م)، كان قد امر ان يدخل عليه امناء الاسواق واشياخ الحضر كل شهر مرتين يسألهم عن اسواقهم واسعارهم واحكامهم. وكان المحتسب في العصر المريني، يحيط نفسه بجماعة من الاعوان من اهل المعرفة بشؤون الصناعات، كامناء الصنائع وعرفاء الاسواق^(٢).

ومما تقدم عن وظيفة الحسبة وتطورها في بلاد المغرب، نستطيع القول، ان الحسبة من حيث موضوعها، هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تختلف باختلاف الشعوب والامم والانظمة، لانها وظيفة دينية تتبع كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآنه وسلم).

كما يتضح انه ليس لاساليب الحسبة واوضاعها ومدى اختصاص متوليها حدا في الشرع لا تتعدد مهما اختلفت الاحوال، بل الحد في ذلك عرفي. فبينما تكون الحسبة مستقلة في بلد ما نجدتها قد اسندت الى القضاء في بلد اخر، او الى الولاة ومن ينوب عنهم، كما كان معمولاً به في افريقية قبل ان يفصلها القاضي سحنون كما مر بنا. وهذا يرجع الى العرف والعادة المتبعة عند كل اهل بلد او مدينة.

فالاختلاف الذي يبدو في نظام الحسبة في البلاد الاسلامية، انما هو اختلاف في الاساليب التطبيقية فقط، لان كل الاساليب والطرق تسعى

(١) المراكشي، المعجب، ص ٢٢٥، ص ٢٨٦.

(٢) الجيلالي، تاريخ الجزائر، ج ١، ص ٣٦٠. انظر روجيه. فاس في عصر بني مرين، ص ٧٧.

الى هدف واحد هو تطبيق شريعة وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثالثا : الضرائب على السلع والبضائع المتداولة في الاسواق :-

يدخل النظام الضريبي في كثير من الاحيان في اسس تكوين الدولة. يقول ابن خلدون^(١) " ان الدولة سواء قامت على سنن العصبية او الدين، تكون قليلة الضرائب كثيرة الجباية في اول عهدها، لان الرعايا ينشطون للعمل فيكثر الاعتمار، وعندنا ننقل الدولة الى الترف. تكثر الضرائب، فيقل ذلك على الناس، فيقل بذلك الاعتمار وتنقص الجباية. ولا يكون ذلك الا تدريجيا فان " اقوى الاسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على المعسرين ما يمكن . وكان ابن خلدون في هذه النظرية يستقرى السياسة الضرائبية التي سارت عليها الحكومات المتعاقبة على حكم بلاد المغرب^(٢).

ان نظرية ابن خلدون هذه، تشمل على كل انواع الضرائب التي تفرضها الدولة على اهل المهن والحرف. علما بان الضرائب على الزراعة كان لها تأثير كبير داخل الاسواق، حيث ان العديد من المحاصيل الزراعية تدخل كمادة اولية في الصناعة من جهة، وتستخدم كسلعة تباع وتشترى في الاسواق من جهة اخرى، لذلك سنشير الى بعض الضرائب الزراعية التي لها علاقة بموضوع دراستنا.

(١) المقدمة، ص ١٨١.

(٢) عز الدين، النشاط، ص ١٦٤.

في عهد المرابطين، يذكر ابن أبي زرع، ان الفترة المرابطية لم يفرض فيها خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا مكس على التجارة، لا في بادية ولا في حاضرة^(١).

ويبدو ان هذه الرواية كانت تشمل الفترة الاولى لحكم المرابطين، ولكن عندما اشتدت الازمة المالية في عهد علي بن يوسف (٥٠٠هـ - ٥٢٧هـ / ١١٠٦م - ١١٤٣م) بسبب الحروب التي خاضها المرابطون في بلاد الاندلس ضد الممالك الاسبانية، وخاصة بعد موقعة اقلش سنة (٥٠١هـ / ١١٠٨م)، وظف المكوس والقبالات على السلع التجارية والصناعية المتداولة في الاسواق^(٢)، وقد طبق في عهد علي بن يوسف نظام القبالة على الاسواق، والقبالة هي العقد الذي يبرمه الملتزم مع الدولة، وهي في الاصل ضريبة تدفع لبيت المال، وقد اطلق استعمال هذا اللفظ على الضرائب الزائدة على ما يقضى به الشرع^(٣). كما ان القبالة قد تأتي بمعنى الكفالة^(٤)، وخاصة في عهد المرابطين، وكان هذا النظام دقيقا ومحكما، ولكنه كان عبئا ثقيلا على اهل السوق^(٥)، وكان اكثر الصنع بمراكش متقبلة عليها مالا لازما، مثل سوق الدخان، والصابون والصفور والمغازل، وكانت القبالة على كل شيء يباع..".

- (١) روض القرطاس، ص ١٠٨. المراكشي، المعجب، ص ٢٧٧.
- (٢) محمود اسماعيل عبد الرزاق. مقالات في الفكر والتاريخ، (الدرا البيضاء، ١٩٧٩)، ص ٨٨.
- (٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٦.
- (٤) البينقي، اخبار المهدي بن تومرت، ص ٩٧. ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٩١.
- (٥) ويبدو ان سبب تطبيق نظام القبالة في عهد المرابطين، هو حاجتهم الماسة الى المال اللازم، حيث يوفر لهم هذا النظام موردا ماليا ثابتا.

وكان من نتيجة هذه الازمة المالية ان فرضت الدولة الضرائب على كل السلع^(١)، بل ان الضريبة كانت تؤخذ مرتين على السلعة، واحدة من البائع واخرى من المشتري، او تؤخذ اكثر من البائع، خاصة اذا كان مزارعا، فمرة تؤخذ على الثمار او الزرع، واخرى عند البيع، او تستوفى في كل مدينة تمر بها السلعة^(٢)، وقد اتسم تحصيل هذه الضرائب بشكل كثير من الظلم والتعدي، فترك امرها للمتقبلين الذين يرسلون أي شخص اخر لجبايتها ممن تجب عليه^(٣)، الامر الذي دفع ابن عبدون^(٤)، الى حملته الشديدة على ائمتقبلين. فجعلهم شر اهل الارض.

اما بالنسبة للسلع الاجنبية، فقد كان المرابطون يأخذون عنها العشر ١٠ % وخاصة على تجار المدن الايطالية كميزه وجنوة^(٥).

وفي عهد الموحدين، الغيت جميع الضرائب التي فرضت على السلع والبضائع الداخلية ايام المرابطين، وخاصة ضريبة القبالة.

(١) ابن عبدون، رسالة. ص ١١، ص ٣٣.

(٢) السقطي، رسالة، ص ١٠، ص ١١.

(٣) م، ن، ص ١٠، ص ١١، ص ١٦. من الجدير بالاشارة الى ان هناك كثير من الضرائب غير التجارية فرضت في عهد المرابطين في ايامهم الاخيرة، منها ضريبة المغارم التي كانت تفرض على الناس وتتسم بالتعدي على حقوقهم، انظر: ابن تومرت، اخبار المهدي، ص ٩٢. وهناك ضريبة المعونة او الوظيفة، وهي ضريبة تفرض على الرعايا للقيام بواجب الجهاد اذا كان بيت المال خاليا من الاموال، انظر، المراكشي، المعجب، ص ١٧٧. هذا فضلا عن الضرائب الاخرى المألوفة كالخراج على الارض والزكاة والعشر، انظر، عنهما ابن الزيات، التشوف، ص ٢٤٦.

(٤) رسالة، ص ٣٣، ص ٣٤.

(5) Mos , Lotric. P.40.

فالادريسي^(١)، يشير الى ذلك بقوله "... وصار الامر اليهم (أي الموحدين)، فقطعوا القبالات بكل وجه، واستعملوا قتل المتقبلين بها، ولا تذكر الان قبالة ذكرنا في شيء من بلاد المصامدة..."، فقد هاجم المهدي بن تومرت (٥١٥هـ - ٥٤٢هـ / ١١٧٦م - ١١٣٠م)، الضرانب التي احدثها المرابطون، حيث ثار عليهم، وأشار الى ذلك بقوله " اتهم احدثوا المغارم وفرضوا المكوس، واكلوا الحرام، وفرضوا على الناس ما لم يوجبه الشرع"^(٢)، كما ان المهدي خاطب اهل فاس قائلا " فما شبعتم الخبز الا في ايماننا، ولا كسبتم المال الا في دولتنا"^(٣)، وركز خليفته عبد المؤمن بن علي (٥٤٢هـ - ٥٥٨هـ / ١١٣٠م - ١١٦٣م)، على من كان في طاعة الموحدين "... لا يطلبون الا بما توجهه السنة وتطلبه ولا يلزمون. ومعاذ الله مكسبا ولا مغرما ولا قبالة..."^(٤)، وشدد على قطع كل جميع الضرانب المستحدثة ايام المرابطين^(٥). وقد التزم خلفاؤه من بعد بهذا النهج. ففي عهد المنصور (٥٨٠هـ - ٥٩٥هـ / ١١٧٥م - ١١٩٩م)، اشار ابن القاضي^(٦).

(١) نزهة المشتاق، ص ٧٠.

(٢) ابن تومرت، المهدي. اعز ما يطلب، تحقيق فولد نسيهر، (الجزائر، ١٩٠٣)، ص ٢٦١.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص ٣٣.

(٤) البيهقي، اخبار المهدي، ص ١٤٠. المراكشي، المعجب، ص ٢٢٧، ص ٢٥٦، ص ٣١٠، وانظر ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ١٢٣، ص ١٣٥، ص ١٣٨، ص ١٤٣.

(٥) انظر. رسالة العدل في نظم الجمان، ص ١٥٦-١٥٨.

(٦) المنقلى المقصور في مآثر الخليفة المنصور، ص ١٩٢. وانظر، المراكشي، المعجب، ص ٢٥٦، ص ٣١٠، ابن ابي زرع، روض القرطاس، =

الى انه حذف الكثير من الضرائب " وما جرت به عادة اهل المشرق من
توظيف الامكاس على احوال التجار عند الوصول الى كل مدينة وشبهه
ذلك من المسمى بالغفر عند العرب فليس في بلاده، ايده الله تعالى، أي
شيء من هذا القبيل اصلا، حتى ان الانسان يكون في احواله من التبر
والياقوت... ولا يعطي على ذلك كله الا ربع درهم على كل حمل في باب
المدينة....

كما خفض الموحدون نسبة الضرائب على التجارة الخارجية من
(١٠%) الى (٨%)، ويشمل هذا التخفيض التجارة مع بيزد وجنود^(١)،
كما ان الموحدين لم يأخذوا العشور التجارية من التجار المسلمين
الغرباء^(٢)، بينما اخذوا العشر على البضائع الواردة من تجار اهل الصلح
النصارى^(٣)، اما الجواهر واللائيء والزمرد والياقوت والنقود والفضة فقد
اخذوا عنها الخمس (٢٠%)^(٤).

وضمائنا لتحصيل الضرائب من التجار الاجانب. كان الدفع يتم
عن طريق ديوان الاشراف الحكومي، وكان المسؤول عن هذا الديوان
يسمى المشرف، وهو المسؤول عن التجار الاجانب في كل مدينة، فهو
الذي يكتب اليهم داعيا للتجارة او منها على مخالفة، ومسؤولا عن
الحقوق اللازمة عن الايراد والاصدار للسلع^(٥).

= ص ١٣٥، ص ١٣٨، ص ١٤٣، حيث اشار الى التزام الخلفاء الموحدين
بهذه السياسة اتضريبية.

(1) Mas , Latric. Traite de Paix P.49-90.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٦.

(3) Amari – Diplomi , P. 9-12.

(4) Ibid , P.92.

(5) Ibid , P.36 , 38 , 76.

وفي العصر المريني، فرضت السلطة المرينية ضرائب كثيرة على السلع البرية والبحرية وكانت نسبة الضرائب تقدر بحوالي (١,٠١) من قيمة السلع، كما حددها احد الباحثين^(١)، وخاصة على البضائع والسلع الاجنبية.

قد اعيد العمل بنظام القبالة الذي الغي في العصر الموحيدي، وفرضت ضرائب القبالات على اصحاب الحرف، والمهن وكذلك على بائعي السلع المختلفة في الاسواق المغربية، وكانت هناك ضرائب حتى على اللحوم المشوية في الشوارع، وعلى الخضر الطرية المطروحة للبيع في الاسواق، وهناك ضرائب على المكايل اسواق الجنوب^(٢).

وفي المقابل لم تترك الدولة النظام الضرائبي يسير وفق مصالح الاشخاص المكلفين بجبايتها، حيث غالبا ما قام بعض الحكام المرينيين بالغاء او بالحد من التسعف الذي يقوم به بعض العمال، فهذا ابو عنان

(١) ومن الجدير بالاشارة الى ان خطة الاشراف على الضرائب بجمهورية عامة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. كانت تنفذ تحت اشراف صاحب الاعمال وهو المصطلح المرابطي والموحيدي الرسمي نديوان الجباية، وكان يدعى احيانا بصاحب المخزن، انظر. عز الدين موسى، تنظيمات الموحيدين، ص ١٩٦، هامش رقم ٣، ص ١٩٨ فما بعدها، ويطلق بعض المؤرخين مصطلح دار الاشراف، وهي المسؤولة عن النواحي المالية في العصرين المرابطي والموحيدي، فابن سعيد. يذكر ان ابي عمران موسى كان يرأس دار الاشراف في مدينة مراكش على عهد الخليفة الناصر، انظر، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ١٠٧. كما وردة هذا المصطلح عند ابن عذاري، حيث اشار الى وجود دار للاشراف في مدينة فاس، انظر. البيان، ج ٤، ص ٢٣٣، ص ٢٣٤.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٣٧٥. وانظر، عبد العزيز بن عبد الله، مظاهر الحضارة المغربية، ص ٧٩.

(٧٤٩هـ - ٧٥٩هـ / ١٣٤٨م - ١٣٥٨م) كثيرا ما يستخدم الشدة مع الظلمة من الولادة، وكان يعذب الجناة والمتهمين بسرقة اموال الضرائب الداخلية، ومن هؤلاء على سبيل المثال خلف بن عبد الرحمن الصوافي المعروف بابن فاطمة، الذي اتهم بسرقة الاموال عندما كان واليا على الزاب^(١)، واسقط ابو عنان، الكثير من الضرائب والاتاوات التي كانت تفرضها القبائل العربية القاطنة في بعض مناطق المغرب الادنى والمغرب الاوسط، على السكان ومن هذه الاتاوات، اتاوة الخفارة التي كانت تقدمها الرعية لرؤوساء هذه القبائل مقابل عدم الاعتداء عليهم والاعارة على املاكهم، ففي رحلة ابي عنان لافريقية، قام بالغاء هذه الضريبة واحسن معاملة بعض الولاة في منطقة الزاب وسكره^(٢). كما اغى ابو عنان ضريبة الرتب التي كانت تؤخذ في الطرقات، وامر برفع ضريبة التضييف الذي كان عمال الزكاة وولاة البلاد يأخذونها من السكان^(٣).

واهتم بنو مرين بالضرائب الخارجية، فكثروا يتابعون التجار الاجانب، فيأخذون من قيمة السلعة المنقولة كالدخول الى فاس ومكناس... ومراكش لم يكن يسمح للتجار المسيحيين الا بعد تأدية ضريبة اخرى...^(٤) وبعد ان تتم عملية البيع والشراء كان يتحتم على التجار الاجانب دفع ضريبة تقدر بـ(١%) من قيمة السلعة تسمى

(١) النميري، فيض العباب، ص ٢٨٦.

(٢) م، ن، ص ٢٨٤. انظر الفتلاوس، استقصاء، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٦٦٣. على الرغم من ان هذه الضرائب لم تؤخذ في

الاسواق ولكنها كانت تؤثر في حركة السلع والبضائع داخل الاسواق.

(4) B.Chovin , Op. cit, P.27.

ضريبة الانطلاقة^(١)، والتي تعني بداية مغادرة التجار الاجانب اسواق المدن المغربية.

وقد حققت بعض الضرائب دخلا كبيرا للخزينة المرينية، خاصة تلك الضريبة التي كان يدفعها التجار على السلع والبضائع، والتي اطلق عليها اسم (اللوازم المخزنية)^(٢). كما ان السلطة المرينية كانت تحصل على دينار واحد من كل ربع قنطار من الصوف المصدر من ميناء كانفا^(٣). وكانت اغلب العائدات الكمركية تأتي الى فئة معينة من الناس، والتي تشمل السلطات والعائلة المالكة، والتي يطلق عليها ابن خلدون بالسوق الاعظم^(٤)، والقسم الاقل يذهب الى خزينة الدولة.

ونسوق هنا بعض الاحصاءات المهمة من العائدات الكمركية التي حصلت عليها الدولة المرينية في عصرها الاول، حيث بلغت هذه العائدات ابان عهد ابي يوسف يعقوب (٦٥٧هـ - ٦٨٥هـ / ١٢٥٩م - ١٢٨٦م). من خلال تعامل المغرب مع كاتالينا فقط (٦٠٠٠) دينار نعدة اشهر من السنة (٧٠٩هـ - ١٣٠٩م)^(٥).

ويبدو ان مدينة سبتة كان لها دور كبير ومؤثر بخصوص العائدات الكمركية، بحكم اهميتها الاقتصادية والتجارية بصورة خاصة. وهو ما يشهد عليه تعدد اماكن استخلاص الضرائب بها، اذ بلغ عدد

(1) Ibid , P.5-15.

(٢) ابن الخطيب، ازهار الرياض، ج ١، ص ٣٩.

(٣) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الأقصى، ص ١٨٥.

(٤) زنبير محمد، الحكم والاقتصاد عند ابن خلدون، مجلة الحياء الثقافية، العدد

السابع (تونس، ١٩٨٨ ، ص ٩٩.

(٥) نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الأقصى، ص ١٨٩.

ديار الاشراف فيها اربعة دور لاشراف على عمالة الديوان^(١). وكان ميناء سبته يصل ايراده من الضرائب في اليوم الواحد بين خمسمائة دينار الى سبعمائة دينار، ويصل احيانا الى الف دينار في اليوم الواحد^(٢).

ولم يخل العهد الحفصي بافريقية من الضرائب الثقيلة نسبيا، والتي كانت تثير المشاكل بين الحكومة والقضاة ائمتورعين الذين كانوا يقاومون جباة الضرائب المكاسين احيانا، ولا يسع الدولة الا عزل اولئك المقولمين من مناصبهم، كما حدث لقاضي القيروان ابي عبد الله بن شعيب، فقد وقعت على عهده معارضة بين المكاس وبين القبرواتيين ورفعوا الامر الى القاضي ابن شعيب، فقال : " ليس في الشريعة مكس، وضرب المكاس وطيف به، فأنتهى الامر الى السلطان الحفصي بتونس فأمر بعزل القاضي بن شعيب^(٣)، وهذا يعني ان الدولة الحفصية كانت في بعض الاحيان شديدة في فرض الضرائب على السلع والبضائع داخل الاسواق، حيث كانت هناك ضرائب كثيرة كانت مستخدمة على نطاق واسع خاصة في العاصمة تونس، وتؤخذ هذه الضريبة على السلعة التي تباع الى المستهلك.

لقد بلغت هذه الضرائب نسبا عالية على جميع اسواق العاصمة تونس، فيشير الزركشي^(٤)، في حوادث سنة (٧٩٦هـ / ١٣٩١م)، ان السلطان ابي فارس عبد العزيز الحفصي (٧٩٦هـ - ٨٢٧هـ /

(١) السبتي، اختصار الاخبار، ص ٤٠.

(٢) المقرئ، ازهار الرياض، ج ١، ص ٤٣، ص ٤٤.

(٣) العامري، تاريخ المغرب، ص ١٧٠.

(٤) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص ١١٧، وانظر، السراج، الحلل

السندسية في ذكر الاخبار التونسية، ص ١٠٧٢، ص ١٠٧٣.

١٣٩٤م - ١٤٣٤م) أبطل ضرائب عديدة كانت معروفة قبه على أسواق العاصمة تونس فيقول كان سوق الرهاندنه مجباه ثلاثة الاف دينار، اذ كان كل من يبيع شيئا من الامتعة واللباس يغزم نصف عشر الدينار، ومجبي فندق الملح، الف دينار ذهبا ونصف الاف، ومجبي فندق البياض الف دينار، ومجبي سوق الصوايين ستة الاف دينار، وعلى رحبة الماشية عشرة الاف دينار، وفندق الزيتون خمسة الاف دينار وفندق الخضرة ثلاثة الاف دينار، وعلى سوق العطارين مائة وخمسون دينار وفندق الاديم خمسون دينار، وفندق القمح الف دينار، وإدارة الاشغال ثلاثة الاف دينار، وسوق القشاشين مائتي دينار.

وكانت الضرائب الخارجية منتظمة تحت ادارة الكمارك. فقد كان التجار يدفعون بصفة عامة (١٠%) على قيمة البضاعة والسلع المستوردة من بيزة والبنديفة، وكانت تضاف الى هذه الضريبة. ضرائب اخرى تتراوح بين (٤١%) و (٢٥%) والى (١%)، بينما كانت تؤخذ من السلع الذهبية والفضية والاحجار الكريمة ضريبة الخمس (٥%)^(١). وكانت اغلب هذه الضرائب، تدفع على البضائع اذا ادخلت المدينة وعند ابوابها، وتؤخذ نسبة (١ ٤) درهم على كل جزرة صوف تدخل مدينة تونس او القيروان، وكانت هذه الضريبة تعرف بقصائد الصوف^(٢). وكانت الادارة الكمركية في العهد الحفصي تعمل عملا جديا في سبيل تشجيع التجارة، فكانت تعفي الحبوب من الضريبة لتمويل البلاد، وتمنح التجار الاجانب حقوق التصدير للبضائع ن معفاة من الضريبة بشرط ان تستورد لتونس بضائع تساوي البضائع التي يوردونها، واذا زادت

(١) العائري، تاريخ المغرب، ص ١٧٠.

(٢) م، ن، ص ١٧٣.

صادراتهم على وارداتهم، فالضريبة تكون نسبة (٤ ٪) على الفارق، وقد قدر المدخول الكمركي على العهد الحفصي سنويا بسـ (١٧٠.٠٠٠) ألف دينار من الذهب^(١). وهذا المبلغ على قدر ما فيه من مبالغة ولكنة يسجل لنا الاهمية الكبيرة لادارة الكمرك تونس الحفصية ودور هذه الادارة في جباية الضرائب على السلع الصادرة والواردة، كما ان هذا المبلغ ان صدق رقمه فهو يدل بدون شك، على ان تونس الحفصية كانت تستورد اكثر مما تصدر.

وفي المقابل لم تخل مدينة تلمسان في عهد الزياتيين من ايرادات كبيرة للضرائب التجارية، باعتبارها من المدن الرئيسية التي كانت محطة للقوافل التجارية الداخلة والخارجة الى بلاد السودان من افريقية ومصر وغيرها من البلاد، حيث يشير الجبلاي^(٢)، الى ان بداخل مدينة تلمسان بلغت في عهد بغمراسن الزياتي من الضرائب التجارية حوالي مائة الف دينار سنويا، بينما تحدت الرسوم الكمركية على البضائع الواردة من جنوة وصارت (١٠ ٪) بالنسبة لواردات مدينة بجاية و (٨ ٪) بالنسبة لواردات غيرها من المدن^(٣).

(١) م، ن، ص ١٧٤. كما ان جزيرة جربة كانت تعطي عشرين الف (وبل) من مداخيل الاتاوات والمكوس الى السلطات الحاكمة او التي كان يدفعها التجار الاجانب، الوزان، وصف، ج ١، ص ٩٥.

(٢) الجزائر، ج ٢، ص ١٥.

(٣) م، ن، ج ٢، ص ٢٥٠. وانظر، راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ٢٥٥.

الخاتمة

بعد تحبير فصول هذه الكتاب نقول، ان بلاد المغرب عرفت عدة انواع من الاسواق الحرفية والمهنية، وتاتي في مقدمتها الاسواق الدائمة والتي لا تكاد تخلو أي مدينة مغربية منها، الا ان التركيز في بناء الاسواق الدائمة انصب معظمه في المدن التي اتخذت عواصم للحكومات المتعاقبة على حكم البلاد. وبرزت على اساس هذا التركيز ظاهرة التخصص في الاسواق، بحيث نظمت بشكل جعل لكل سوق شارع معلوم يختلف عن الاسواق الاخرى، وهذه الصورة لمسناها واضحة جدا في ترتيب اسواق مدينة فاس من خلال وصف التوزان لها.

كما عرفت المدن المغربية الاسواق المؤقتة التي كانت تعقد لفترات محدودة من الاسبوع او الشهر او السنة. وكانوا يجتمع الناس فائدة من عقد هذه الاسواق هم اهل القرى والارياف، فكانوا غالباً ما يقدّمون مثل هذه الاسواق التي كانت تعقد قريبة من مناطق سكنهم، فيبيعون ما يحملونه من حاجيات ويتبضعون ما يحتاجونه منها، لان الذهاب المستمر لهؤلاء الى اسواق المدن قد يكلفهم كثيراً من الجهد والمال.

واتضح لنا، ان هناك بعض الاسواق كانت ترافق الحملات العسكرية، فكانت تعقد في ظل الظروف الصعبة التي يفقد فيها الجند ارزاقهم نظراً لطول فترة مكوثهم، كما ان اغلب قوافل الحج المغربية كانت تصحبها اسواق متنقلة، حيث يفتش اصحابها الارض عند كل محطة استراحة لهم.

وبجانب هذه الانواع من الاسواق شهدت بلاد المغرب عدداً اخر من المنشآت الاقتصادية والتي كانت تقوم بوظيفة الاسواق مثل الفنادق التي امتلأت فيها بعض المدن المغربية حيث ان كثرة هذه الفنادق في أي مدينة مغربية دلالة اكدية على مدى ازدهار النشاط التجاري فيها،

وبالتالي زيادة الاقبال عليها من التجار الاجانب حيث ان هذه الفنادق كانت عبارة عن مخازن كبيرة للعديد من البضائع والسلع المستوردة والمحنية، كما انها كانت مكانا مهما لابرار الصفقات التجارية بين التجار الاجانب والتجار المغاربة، كما انتشرت القيصريات داخل المدن المغربية والتي كانت بمثابة مكانا مربعا او مستطيلا تقفل بواسطة بابين كبيرين وتحتوي داخلها على مجموعة من الاسواق المهنية والحرفية وكانت في بدايتها ملك للدولة. ثم اصبحت فيما بعد ملكا للأفراد.

واتضح لنا من خلال تتبع اماكن وخصائص الاسواق المهنية والحرفية بانها تكاد تكون متشابهة في اغلب المدن المغربية في تواجدها قرب المسجد الجامع لارتباطه به وظيفيا من جهة ولشد ازدحام الناس في مثل هذه الاماكن الدينية والتي تمثل المركز الحيوي للمدينة من جهة اخرى. وخاصة الاسواق المهنية بينما نرى ان بعض الاسواق الحرفية قد ابعدت خارج الاسوار الداخلية للمدينة خوفا من انبعاث الروائح الكريهة منها. كما وجدنا ان اغلب اسواق المدن المغربية كانت تقع على الجادة الرئيسية وسط المدينة على شكل صفين متقابلين تفصل بينهما جادة صغيرة ومسقفة بواسطة الاخشاف او سقف النخيل وذلك لاحداث تيارات هوائية في داخلها اثناء الازدحام.

وتبين لنا من خلال استقراء النصوص التاريخية ان النشاط الاقتصادي داخل هذه الاسواق بلغ ذروته في فترة هذه الدراسة، وان هناك عوامل جوهرية عديدة ادت الى زيادة رواج وانتقال السلع والبضائع داخل الاسواق المغربية، ونأتي في مقدمة هذه العوامل الاستقرار السياسي الذي عم فترات كثيرة معظم اقاليم البلاد وكذلك توفير الامن والمحافظة على طرق القوافل التجارية ومراقبتها، فضلا عن تشجيع الحكومات المغربية الانشطة الاقتصادية من خلال الغاء

العديد من الضرائب على السلع والبضائع داخل الاسواق، واهتم بعضهم في بناء اسواق جديدة وعقدوا عدة اتفاقيات تجارية مع الدول الاجنبية ومنها على وجه الخصوص المدن الايطالية كبيزة وجنود والبنديقية حيث سهلت هذه الاتفاقيات عملية تبادل عديدة من المواد الضرورية بينهما، وتضمنت على اساسها الرسوم الكمركية حيث اصبحت اكثر تنظيما ودقة وخاصة في عهد المرينيين والحفصيين.

ونتيجة لهذه العوامل مجتمعة اخذت البضائع والسلع تتدفق على اسواق المدن المغربية من كل الجهات، وكان التكامل الاقتصادي بين بيئات المغرب سمة مميزة من سمات ذلك العصر.

ومن خلال واقع صادرات وواردات الاسواق المغربية تبين لنا ان هذه الاسواق كانت تصدر المواد الغذائية في كثير من الاحيان الى الدول المرتبطة معها بعلاقات تجارية كالبلاط المشرقية والبلاد الاوربية، بينما كانت واردات هذه الاسواق بعض المواد المصنعة والمواد الأولية التي تدخل في العديد من الصناعات داخل البلاد، وكان ميزان الصادرات في كل الاحوال اقل من ميزان الواردات وخاصة في عهد المرينيين والحفصيين.

وفي الجانب الآخر كانت علاقة الحكومات المغربية مع بلاد السودان قائمة حيث استمر تدفق الذهب السوداني الى بلاد المغرب مقابل ما يحمله التجار من السلع وفي مقدمتها الملح الى المدن السودانية على الرغم من ان مادة الملح ليست بضاعة مغربية بحتة بل ان التجار المغاربة يبادلونها ببضائعهم في مناطق الصحراء ومن ثم يحملونها الى بلاد السودان.

اما العاملون في الاسواق فكانوا خليطا من المغاربة وغير المغاربة، يختلفون في قدراتهم المالية ومكانتهم الاجتماعية وكان

العاملون المغاربة هم انشط الفئات العاملة في الاسواق، سواء كان منهم الحرفيون ام التجار، حيث تعددت اصنافهم بحسب المهن والحرف التي يمارسونها، فالحرفيون كانوا حدادون ونجارون وفحامون وصباغون كما نجد الاسكافيين والدلايين والدباغين والحناكة وغيرهم الكثير منتشرون داخل الاسواق الحرفية المتخصصة بحسب اصنافهم، فهناك الصانع الخاص والصانع المشترك والصانع المتجول.

وكان لوجود كل صناعة في سوق معين جعل امر تنظيم الصانع على اساس المهن امرا ميسورا، فنجد على رأس كل مهنة رئيسا او عريفا او امينا ويكون تعيينه من قبل المحتسب وكانت مهمته حل المشكلات المتعلقة بين اهل صنعه وكشف اساليب بعض الحرفيين في الغش والتدليس.

اما التجار فبرزت منهم فئة الدالين والسماسرة واتبعوا تنظيمات خاصة في العمل سواء كان المناصفة في الربح او الشركة في التجارة وأغدقوا الاسواق بمختلف البضائع والسلع المحلية والمستوردة.

كما اشتغل في الاسواق المغربية وفي المجال الحرفي والمهني اليهود فضلا عن الأندلسيين المهاجرين وفئات اخرى من التجار الاجانب الايطاليين والاسبانيين، وبعض التجار من السودان والمشرق الاسلامي من مصر والشام والعراق.

وكان لابد ان يصاحب هذا النشاط الاقتصادي داخل الاسواق وجود معاملات وطرق عديدة لتسهيل عملية البيع والشراء داخل الاسواق واتبعت بعض المعاملات والبيوع كالمعاملة بالنقد والمقايضة والسلف والحوالة على الصرافين والبيع الاجل والمزايدة في السوق، وهي بلا شك معاملات تدل على اعظم ما وصلت اليه النظم الاقتصادية آنذاك.

وكان النقدان الاساسيان المستخدمان في عملية البيع والشراء داخل الاسواق هما الدينار الذهبي والدرهم الفضي وخاصة في عهد المرابطين والموحدين، بينما ظهرت عملات اخرى في عهد المرينيين والحفصيين هما الدينار الذهبي والدينار الفضي، والدرهم الكبير والدرهم الصغير وبعض العملات الصغيرة كالحندوس، وتبين لنا ان العملة المغربية كانت تختلف في قيمتها من فترة الى اخرى تبعا لما تمليه طبيعة النظام الاقتصادي والسياسي معا، كما راجت عملات اجنبية داخل الاسواق المغربية، وكان بعض الحكام ينهي التعامل بها الا اذا كانت مساوية في قيمتها للعملة المحلية.

ولم تتبع الاسواق المغربية نظاما موحدا في الموازين والمكاييل، بل كانت تختلف من منطقة الى اخرى. وكان لهذا الاختلاف تأثيرا كبيرا في معاملات البيع والشراء فاستغل بعض العاملين في السوق هذه الفوضى في الاختلاف استغلالا اضر بمصلحة المستهلك فكانوا يفضون في مقاديرها او يستعملون الحجارة بدلا من الصنح الحديدي. وهذا اتضح بصورة خاصة خلال عصر المرابطين والموحدين، بينما لمسنا بعض التوحيد لهذه الموازين والمكاييل خلال العصر المريني.

وعند تتبع نظام الاسعار السائدة آنذاك والمعروفة في الاسواق، يبدو ان هناك عوامل تؤدي في كثير من الاحيان الى ان تجنح الاسعار للصعود بشكل كبير، وخاصة في ظل الظروف السياسية التي تمر بها البلاد، او الظواهر الطبيعية، وتبين لنا ان بلاد المغرب في الظروف الاعتيادية تعتبر من ارخص البلدان اسعارا واكثرها خيرات، وهذا ما اكده بعض الرحالة العرب الذين زاروا بلاد المغرب وقارنوا اسعاره في الحالات الاعتيادية مع بلدان اخرى كمصر والشام والعراق.

واهتمت الانظمة الحاكمة في بلاد المغرب بمراقبة الاسواق وتنظيمها والاشراف عليها وفق مصالح اهل السوق بل ان الدولة اقدمت بكل ثقلها الى ان توكل مهمة الاشراف على الاسواق الى رجل يعرف بالمحتسب. بل والاكثر من هذا ان بعض الحكام انفسهم مارسوا مهمة الاشراف على الاسواق ومراقبتها، ولكن قلة المعلومات عن هذه الوظيفة في بلاد المغرب جعلتنا نفتقد الى الكثير من المعايير والاعتبارات التي كان يتصف بها متوليها في الاسواق المغربية خاصة وان هذه الوظيفة فقدت اهميتها بمرور الزمن بعد ان انتشر الفساد والفوضى عند متوليها.

كما شمل اشراف الدولة على الاسواق في فرضهم العديد من الضرائب التجارية والصناعية على السنع والبضائع المستوردة والمحلية داخل الاسواق المغربية، وذلك تبعا لما تمليه عليهم طبيعة مصالحتهم السياسية والاقتصادية. ي حين اقدم بعض انحكام في الغاء بعض الضرائب على الاسواق لغرض تشجيع عملية التبادل بينها.

واخيرا نقول ان العمل الذي انجزناه ما هو الا محاولة لمعرفة مراكز النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب في عصور الازدهار الاسلامي، وارجوا ان اكون بعون الله قد طرقت بابا من الابواب التي تساهم ليس في ثراء البحث التاريخي لبلاد المغرب فحسب، وانما تحفز الباحثين الى مزيد من البحث والتنقيب والكشف عن جوانب من حضارتنا العربية الاسلامية الاخرى في تلك البلاد.. والله من وراء القصد.

الملاحق

جدول توضيحي يبين لنا الاسواق الدائمة في بلاد المغرب

المدينة	السوق
تونس	سوق القشاشين
	سوق النحاسين
	سوق الملايين
	سوق القطانين
	سوق الندافين
	سوق السراجين
	سوق البرادعة
	سوق الشكازين
	سوق الخراطين
	سوق العطارين
	سوق الفلقة
	سوق الكتبيين
	سوق الشعاعين
	سوق القزانيين
	سوق الملح
	سوق الفحم
	سوق الرهانة
	سوق القماش
	سوق الحرير
	سوق القطن

سوق الخياطين	
سوق الفاكهيين	
سوق الخبازين	
سوق القصابين	
اسواق كثيرة (لا نعرف عددها)	القيروان
اسواق كثيرة (لا نعرف عددها)	سوسة
سوق الحرير	قابس
سوق القصارون (واسواق اخرى كثيرة لا نعرف عددها)	توزور
اسواق متخصصة كثيرة لا نعرف اسمائها	طرابلس
سوق الحمزة (واسواق اخرى كثيرة لا نعرف عددها)	الغدير
سوق الاسكافيين	تلمسان
سوق الكتب	
اسواق حافلة متخصصة لبيع الخبز والاديم	
اسواق حافلة متخصصة لبيع الخبز والاديم	نفس
سوق انصوافين	بجاية
سوق الدخان	مراكش
سوق الصابون	
سوق المغازل	
سوق انصفر	
سوق الحنطة	
سوق البهائم	
سوق الكتب	
سوق الجبس وسوق الدباغين وسوق الاسكافيين	

فاس	سوق بني فذه
استثنينا ذكر	سوق الرصيف
الاسواق التي	سوق الزبيب
وردت في	سوق الجزارين
رواية الحسن	سوق
الوزان لمدينة	سوق القصارين
فاس والتي	سوق السلسلة
اشرنا اليها	سوق الصاغة
بجدول في	سوق الزيت
الفصل	سوق الفخار
الاول	سوق الغدول
	سوق الكتبيين
	سوق العطارين
سبته	١٧٤ سوقا (لا نعرف اسمائها
	(لا نعرف اسمائها، الا اربعة اسواق فقط)
	سوق العطارين
	سوق العدول
	سوق الاتية الصفرية
	سوق السقاطين
سجلماصة	اسواق كثيرة متخصصة حافلة (لا نعرف عددها)
رباط الفتح	سوق الفاكهة
	سوق الخضروات
	سوق الاسماك

سوق الغزل	
سوق السباط	
اسواق واسعة عجيبة (لا نعرف عددها)	طنجة
سوق القملش	تدنست
سوق الاسكافيين	
سوق الحدادين	
سوق الخياطين	
سوق الصاغة	
اسواق كثيرة (لا نعرف عددها)	مكناسة
اسواق ثابتة نافقه (لا نعرف عددها)	سلا
	مكول

جدول توضيحي يبين لنا الاسواق المؤقتة في بلاد المغرب

المدينة	السوق
تونس	سوق الاربعاء
	سوق القشاشين (او سوق العصر)
صفاقس	سوق الجمعة
القصر القديم	سوق الجمعة
قسنطينة	سوق اسبوعي
عنابه	سوق الجمعة
حصن تدوى	سوق الجمعة
حصن مازونه	سوق اسبوعي
حصن الخميس	سوق الخميس
حصن الجمعة	سوق الجمعة
حصن الاثنين	سوق الاثنين
حصن كزنابه	سوق اسبوعي
فاس	سوق الخميس
	سوق الغبار (سوق اسبوعي)
قصر ابي موسى	سوق الخميس
درعه	سوق الجمعة
رباط الفتاح	سوق الفزل (كان يعقد مرتين في الاسبوع)
تاكاويت	سوق تاكاويت (سوق اسبوعي)
دكالة	سوق موسى (سوق اسبوعي)
	سوق المساتس (يعقد يوم السبت من كل اسبوع)
اصيلا	سوق اسبوعي

سوق السبت	تيدسي
سوق شاله (سوق موسى يعقد كل سنة مرة)	نشاله
سوق الاثنين	مكناسه
سوق الاثنين	جبل فزكار
سوق اسبوعي	جبل منصور
سوق السبت	جبل بني وردان
سوق اسبوعي	جبل زرويل
سوق هاوكس (سوق موسى يستمر انعقاده ١٥ يوما)	هاوكس
سوق اديكيس (سوق موسى يستمر انعقاده ١٥ يوما)	اديكيس
سوق جزولة (سوق موسمي يستمر انعقاده لمدة شهرين)	جزوله

جدول توضيحي يبين لنا عدد الفنادق في المدن المغربية

المدينة	الفندق
تونس	فنادق كثيرة (لا نعرف عددها الا القليل) فندق الملح فندق البياض فندق الزيتون فندق الخضرة فندق الاديم فندق القمح
بنزرت	فنادق كثيرة (لا نعرف عددها)
القيروان	فنادق كثيرة (لا نعرف عددها)
سوسة	فنادق كثيرة (لا نعرف عددها)
تلمسان	فنادق كثيرة (لا نعرف عددها)
قصر صنهاجه	فندقين عظيمين
سلا	فندق الزيت
فاس	١٦٧ فندقا (منها ٤٦٧ فندقا في عهد المرابطين الموحدين و ٢٠٠ فندق في عهد المرينيين) ولا نعرف اسماء الا بعض منها في العصر المريني فندق بني فذة فندق الشماعين
مراكش	فنادق ضخمة كثيرة (لا نعرف عددها الا بعض منها) فندق الارنجه فندق السكر

سبته	٣٦٠ فندقاً (عهد المرينيين) لا نعرف اسماءها الا
	القليل
	فندق غاتم
	فندق الرحبة
	فندق الوهراني
	فندق العرفي

جدول توضيحي يبين لنا عدد القيصريات في بلاد المغرب

وملحقات الاسواق الأخرى

المدينة	القيصرية	ملحقات اخرى
سوسة	قيصاريات كثيرة	
صفاقس	قيصاريات كثيرة	
مراكش	قيصاريات كثيرة	دار للإشراف واحدة (العهد الموحدي)
فاس	قيصارياتان	دار للإشراف واحدة (العهد الموحدي)
استثنينا ذكر المنشآت		
الحرفية في مدينة		
فاس والتي اشرنا		
اليها بجدول في		
(الفصل الثاني)		
سبته		اربعة دور للإشراف (العهد المريني)
		احدى وثلاثون تربيعة
		سبعة مضارب صغيرة

جدول توضيحي يبين أسعار البضائع في القرنين

السادس والسابع للهجرة

السعر وقت الغلاء	السعر وقت الرخص	المكان	السلع
المد الواحد سبع دراهم	اربعة اوسق بنصف مثقال	مراكش	القمح
السطل بثلاثة دنانير	خمسة وعشرون مدا بدرهم	مراكش	الشعير
الربع بمثقال ذهبي	الربع بدرهمين	مراكش	الدقيق
سبع باقلات بدرهم	رغيف وسمن بغيراط	مراكش	الخبز
		مراكش	البقول
	عشرة دراهم	مراكش	ثوب مستعمل
	ثلاثة دراهم	مراكش	كفن للميت
	ستة عشر ونصف درهما	مراكش	سرير مستعمل
	ثلاثون خبز بدرهم	فاس	الخبز
	ست اوقية بدرهم	فاس	اللحم
	عشرة دنانير	فاس	ثوب مستعمل
	خمسمائة دينار	اغصات	دار
	عشرة دنانير في العام	اغصات	كراء دار
	عشرون دينارا	درعة	كراء دار
المد بخمسة دنانير		تونس	القمح والشعير
	مفتا دينار	تونس	ثمن دار

جدول توضيحي يبين أسعار السلع والبضائع في القرنين

الثامن والتاسع للهجرة

السلع	المكان	السعر وقت الرخص	السعر وقت الغلاء
القمح	فاس	الصفحة بستة دراهم	المد بخمسة عشر درهما
الشعير	فاس	الصفحة بثلاثة دراهم	
العسل	فاس	ثلاثة ارطال بدرهم	
الزبيب	فاس	اربعون اوقية بدرهم	
التنبر	فاس	ثمانية ارطال بدرهم	
اللوز	فاس	الصاع بدرهم	
لحم بقر	فاس	مائة اوقية بدرهم	
لحم	فاس	سبعون اوقية بدرهم	
الضأن			
الكباش	فاس	الواحد بخمسة دراهم	
الفحم	فاس	الرطل بدرهمين	
ثوب	فاس	عشرة دنانير	
العنب	اسفي	قفه بدرهم	
القمح	تلمسان		المكيال بثلاثين دينار
الملح	تلمسان		المكيال بثلاثة مثاقيل ذهب
اللحم	تلمسان		الربع بمثقال ذهب
دجاجة	تلمسان		الواحدة بعشرة دنانير

ستون مثقالا	تلمسان	بقرة
سبعة مثاقيل ونصف	تلمسان	الظان
ستة دراهم	تلمسان	البيضة
الاوقية بلثني عشرة درهما	تلمسان	الزيت
الاوقية بثلاثة اثمان الدينار	تلمسان	الخيار
الاوقية بثلاثين درهما	تلمسان	البطيخ
الاوقية بدرهمين	تلمسان	الاجاص
القفيز باحد عشر دينارا	تونس	القمح
القفيز بخمسة عشر دينارا	تونس	الشعير
بدرهمين	تونس	الدجاجة
حمل بثلاثة دراهم	بلاد المغرب	السكر
ثمانية عشرة اوقية	بلاد المغرب	اللحم
بدرهمين		

**جدول توضيحي يبين أنواع العملات المستخدمة داخل الأسواق
المغربية في القرنين السادس والسابع للهجرة**

نوع العملة	الوزن
الدينار الذهبي	يتراوح وزن الدينار المرابطي ما بين ٤,٠٥ غم إلى ٤,٣٠ غم بينما كان وزن الدينار الموحدى ٢,٣٥ غم، ثم ضاعفه المنصور ليصل إلى ٤,٧٠ غم
الدرهم الفضي	يتراوح وزن الدرهم المرابطي ما بين ٣,٩٢ غم إلى ٦,٢٠ غم بينما كان وزن الدرهم الموحدى ثمانية وعشرون حبة من حبوب الشعير الوسط
القيراط	١٦/١ من الدرهم
الربع	١/٤ من الدرهم
الثلثية	٣/١ من الدرهم
الثلثية	٨/١ من الدرهم
الدانق	٦/١ من الدرهم

جدول توضيحي يبين لنا انواع العملات المستخدمة داخل

الاسواق المغربية في القرنين الثامن والتاسع للهجرة

نوع العملة	الوزن او المعيار
الدينار الذهبي	متوسط وزنه في عهد المرينيين ٤,٥٦ غم بينما بلغ وزن الدينار الحفصي ٤,٧٢ غم
الدينار الفضي	كان يساوي في عهد المرينيين عشرة دراهم صغار
الدرهم الفضي الكبير	كان يزن اربع وعشرون حبة من حبوب الشعير
الدرهم الفضي الصغير	كان يزن ثمانية حبات من حبوب الشعير
القيراط	وزنه ايام المرينيين ثلاث حبات من حبوب الشعير
	كان وزنه في عهد الحفصيين يساوي ٦/١ من الدرهم
الدرهم القطبي	في عهد المرينيين
الدرهم البجائي	=
الدرهم الجنوبي	=
الدرهم البصري	في عهد المرينيين
الدرهم الهودي	=
الدرهم المحمدي	=
الدرهم المؤمني	=
الدرهم الفضي	كان وزنه في عهد الحفصيين اGRAMا واحدا ونصف
الخمسي	وزنه على عهد الحفصيين خمسة اسداس الدرهم
خروبه	وزنه ايام الحفصيين اربعة اسداس الدرهم

نصف ناصري	وزنه أيام الحفصيين ٦/٣ من الدرهم
الهندوس	فلوس نحاسية حفصية صغيرة الحجم
الدوكة	عملة إسبانية كانت تعادل في عهد الحفصيين دينار حفصي
الكرونة	عملة إسبانية تعادل في عهد الحفصيين درهم حفصي

جدول توضيحي يبين الاوزان والمكاييل المستخدمة في الاسواق المغربية

الاسم	العار
القيراط	يساوي ٢٤/١ من المثقال، ويتألف من خمس حبات أي ٠.٤٤٦ غم
الاولقيه	تساوي ١٢ درهما، أي ٣٧.٥ غم
الرطل	يساوي ١٢ اوقية، ويساوي ١٢٠ درهما
القططار	يساوي ١٠٠ رطل أي ٤٤,٣٣ كغم من الذهب
الربع	يساوي ١/٤ من الدرهم

المكاييل

الاسم	العار
الوسق	يساوي ٦٠ صاعا بصاع النبي (صلى الله عليه وسلم)
المد	كان يساوي ١٨٠ اوقية
الفقيز	يساوي ٤٤,٨١٦ غم
الخروب	تساوي وزنا قيراطا أي ٢٤/١ من المثقال (١٩٥ غم)
القسط	وكان على نوعين، كبير يساوي ثلاثة ارطال، وصغير نصف ذلك
القادوس	يساوي ثلاثة امداد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم)
البرشاله	تساوي ١٢ رطلا ونصف (أي مثقالين ونصف)
الغرارة	تساوي ٢٠٤,٥ كغم من القمح (وهي تعني العدل)
الصفحة	تساوي ٤٨ قادوسا، والقادوس يساوي ثلاثة امداد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم)
الصاع	يساوي ٤ امداد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم)

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات

- البقني، مختصر الاحاطة، مخطوطة مصورة بالخزائنة العامة بالرباط تحت رقم (١٥٨٢) عن محمد المنوفي، ورقات من الحضارة المرينية.
- البزيوي، ابو عبد الله محمد بن احمد (كان حيا في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي).
- تاريخ دول الاسلام في المغرب الاقصى، مخطوطة بمكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم (١٣١٣).
- التيشافي، ابو العباس احمد (ت ٦٥١هـ / ١٢٥٣م)، نزهة الالباب فيما لا يوجد في كتاب، مخطوطة بالخزائنة العامة في مدينة الرباط المغربية تحت رقم (١٥٢٣ ك) عن عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي.
- ابن الرحال. ابو الحسن علي (ت ١١٤٠هـ / ١٧٢٥م)، كشف القناع عن مسائل الصنائع، مخطوطة بالخزائنة العامة في مدينة الرباط المغربية تحت رقم (١٠٧٩د) عن عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي.

المصادر

- * القرآن الكريم
- * ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م).
- التكملة لكتاب الصلة. تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٨٩).
- المقتضب من كتاب تحفه القادام، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب اللبنانية، والدار الإفريقية المصرية (مصر، ١٩٨٣).
- * ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م). الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر (بيروت، ١٩٦٧).
- * ابن الأحمر. أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م).
- بيوتات فاس الكبرى (الرباط. ١٩٧٢).
- روضة السريرين في دولة بني مرين، تحقيق جهيوتسل باول وجورج مركاس (باريس ١٩١٧).
- * أخوان الصفا، رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر (بيروت ١٩٥٧).
- * ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م).
- معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، وصديق أحمد عيسى المطبوعي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ١٩٧٦).

* الإدريسي، أبو عبد الله محمد المعروف بالشريف (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٨م).

- نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تحقيق دوزي ودي غويه (اليدن ١٨٦٦)

- وصف افريقية الشمالية الصحراوية، تصحيح هنري بيرس (الجزائر ١٩٥٧)

* الاتصاري، شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله محمد الدمشقي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م)

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (لايبزك ١٩٢٣).

* البادسي، عبد الحق بن اسماعيل (كان حيا سنة ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م).

-- المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بعماء الريف، تحقيق سعيد احمد اعراب، المطبعة الملكية (الرباط ١٩٨٢).

* ابن يسام، محمد بن احمد (عاش في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف (بغداد ١٩٦٨).

* ابن بطوطة، أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم (٧٧٩هـ - ١٣٧٨م)

-- تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة، تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٩٧٩).

* ابن بكرة، منصور (ت ١١٣٥هـ / ١٧٣٤م).

- كشف الاسرار العملية بدار الضرب المصرية، تحقيق عبد الرحمن فهمي (القاهرة ١٩٦٦).

* البكري، ابو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن الجوب بن عمرو
(ت ٤٨٧هـ - ١٩٤م)

- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مطبعة الحكومة (الجزائر
١٨٥٧)

* ابن بلقين، عبد الله بن باديس بن زيري (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م)
-- التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة (مذكرات
الامير عبد الله) تحقيق ليفي بروفنسال (القاهرة ١٩٥٥).
* انبلوى، خالد بن عيسى (ت ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م).

- تاريخ المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد
السائح، نشر اللجنة المشتركة لنشر القرآن (المحمدية، بلا).

* البيهقي. ابو بكر الصنهاجي (ت منتصف القرن السادس الهجري /
الثاني عشر الميلادي) اخبار المهدي بنى تومرت وابتداء دولة
الموحدين، اعتنى بتصحيحه ليفي بروفنسال (باريس ١٩٢٨).
(مطبعة الرباط ١٩٧١).

* بنامين بن يونه، (كانت رحلته ما بين سنة ٥٦٥هـ - ٥٦٩هـ /
١١٦٥م - ١١٧٣م)

- رحلة بنامين، ترجمها عن الاصل العبري عزرا حداد، المطبعة
الشرقية (بغداد ١٩٤٥).

* التنبكتي، ابو العباس احمد بن عبد الله بن عمر (ت ١٠٣٦هـ /
١٦٣٦م).

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ملتزوم طبعه عباس عبد السلام بن
شقرن، مطبعة المعاهد (القاهرة ١٣٥١هـ) موجود بهامش الديباج
لابن فرحون.

- * التنسي، محمد عبد الله (٨٩٩ هـ / ١٤٩٤ م).
 - نظم الدرر والعقبان في شرف بني زيان، تحقيق محمد بو عياد
 المكتبة الوطنية (الجزائر ١٩٧٥).
 * ابن تومرت، المهدي (٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م)
 - رسالة اعز ما يطلب، ضمن كتاب تعاليق ابن تومرت، تحقيق غولد
 تسهر (الجزائر ١٩٠٣).
 * التجاني، ابو محمد عبد الله بن محمد (٧١٧ هـ / ١٣١٧ م).
 - رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، المدونة
 التونسية، (تونس ١٩٥٨).
 * ابن تيمية، تقي الدين احمد بن عبد الحليم (٧٢٨ هـ / ١٣٢٦ م).
 - الحسبة في الاسلام (وظيفة الحكومة الاسلامية) (القاهرة ١٣١٨ هـ).
 * ابن جبير، ابو الحسن محمد بن احمد (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م).
 - رحلة ابن جبير ن دار صادر (بيروت ١٩٥٩).
 * الجرسقي، عمر بن عثمان بن العباس.
 - رسالة في انحسبة، ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة
 والمحتسب، نشرها ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي
 للآثار الشرقية (القاهرة ١٩٠٥).
 * الجزناني، ابو الحسن علي (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م).
 - جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، اعتناء الفرد بل، مطبعة
 باستيد (الجزائر ١٩٢٣).
 * ابن الحاج، ابو عبد الله محمد بن محمد.
 - المدخل الى تنمية الاعمال بتحسين النيات والثنية على بعض
 البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها، طبع على نفقة
 مصطفى الباجي الكتبي، المطبعة الشريفة (القاهرة ١٣٢٠ هـ).

- * الحكيم، ابو الحسن علي بن يوسف (ت بعد ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).
- الدوحة المشبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية (مدريد ١٩٦٠).
- * ابن حماد، ابو عبد الله محمد الصنهاجي (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م).
- اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول احمد البدوي، المؤسسة الوطنية (الجزائر ١٩٨٤).
- الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م).
الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة (الكويت ١٩٨١).
- * ابن متوفى، ابو القاسم محمد البغدادي (ت ٣٦٨هـ / ٩٧٨م).
مسورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، بلا).
ابن خافن، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله (ت ٥٢٩هـ / ١١٢٥م).
- فلاند العقيان في محاسن الاعيان، تقديم محمد الغناني (تونس ١٩٦٦).
- * الخشني، محمد بن الحارث بن اسد (ت ٣٦١هـ / ٩٧١م).
- طبقات علماء أفريقية، دار الكتاب اللبناني (بيروت، بلا).
* ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م).
- الاحاطة باخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان (القاهرة ١٩٧٣) وطبعة دار المعارف (القاهرة ١٩٧٥).

- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (وهو القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام، تحقيق احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني) (الدار البيضاء ١٩٦٤)

- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة (المحمدية، بلا).

- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق احمد مختار العبادي، (بغداد، بلا).

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م).

-- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار الكتاب اللبناني (بيروت ١٩٦٨) ودار صادر (بيروت ١٩٥٩).

- المقدمة، تحقيق حجر عاصي. دار مكتبة الهلال (بيروت ١٩٨٨)

* ابن خلدون، يحيى بن محمد (ت ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨م).

بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق الفرد بل، (الجزائر ١٩٠٣).

* الدباغ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٦٩٦ هـ / ١٣٩٦م).

- معالم الايمن في معرفة اهل القنبروان، اكمله وعلق عليه ابن ناجي، ابو الفضل بن عيسى التنوخي (ت ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥م)، تحقيق محمد الاحمدي، محمد ماضيور، مطابع الدجوى (القاهرة ١٩٧٢).

* ابن ابي دينار، ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم (كان حيا سنة ١١١٠ هـ / ١٦٩٨م).

- المونس في اخبار افريقية وتونس، تحقيق محمد شمام. المطبعة العتيقة (تونس ١٣٨٧هـ).

- * ابن رشد، محب الدين محمد بن عمر (٧٢١ هـ / ١٣٢١ م).
- ملء العيبه بما جمع بطول الغيبه في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبه، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، شركة النشر التونسية (تونس ١٩٨١).
- * ابن رشد، ابو الوليد (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٥ م).
- مسائل ابي الوليد بن رشد، تحقيق ودراسة محمد بن الحبيب التجكاني، دار الحديث الحسنية (الرباط ١٩٧٧).
- * ابن ابي زرع، ابو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م).
- الاتيس المطرب بروض القرطاس في تاريخ المغرب وملوك مدينة فاس، اعتناء كارل يوجن تورنبرغ (اوبسالة ١٨٤٣، ١٨٤٦) ومطبعة (فاس. بلا).
- الذخيرة العينية في اخبار الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، (الرباط ١٩٧٢).
- * الزركشي، محمد بن ابراهيم (ت ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م).
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (تونس ١٩٦٦).
- * الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت في حدود سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م).
- كتاب الجغرافية، تحقيق محمد الحاج صادق (دمشق ١٩٦٨).
- * ابن الزيات، ابو يعقوب يوسف التتالي (ت ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م).
- التشوف الى رجال التصوف، تحقيق ادولف فور (الرباط ١٩٠٨).
- * الزياتي، ابو القاسم احمد (ت ١٢٤٩ هـ / ١٨٠٩ م).
- الترجمات الكبرى في اخبار المعصورة برا وبحرا، جمعه وعلق عليه عبد الكريم الغيلالي (لبنان ١٩٦٩).

- * السبتي، محمد بن القاسم الانصاري (ت ٨٢٥ هـ / ١٤٤١ م).
- اختصار الاخبار عما كان بثغر سبته من الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية (الرباط ١٩٦٩). وطبعة (١٩٧٢).
- * السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي).
- الضوء اللامع، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان (بيروت، بلا)
* السراج، محمد بن عمر الاندلسي (ت ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م).
- الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر (تونس ١٩٧٠).
- * ابن سعيد، ابو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م).
... الجغرافية، تحقيق اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر (بيروت ١٩٧٠).
- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف (القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٥).
- * السقطي، ابو عبد الله محمد (عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي).
- رسالة في اداب الحسبة، تحقيق ح. س. كولان، وليفي بروفنسال (باريس ١٩٣١).
- * السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م).
- الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى (الدار البيضاء ١٩٥٤).

- * الشيرزي، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م).
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، دار الثقافة (بيروت، بلا)، وطبعة (القاهرة ١٩٤٦).
- * الشماخي، ابو العباس احمد بن سعيد (ت ٩٢٨ هـ / ١٥٢٦ م).
- كتاب السير، الجزائر (قسنطينية ١٣٠١ هـ).
- * ابن صاحب الصلاة، ابو مروان عبد الملك (ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م).
- المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم ثوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الاندلس (بيروت ١٩٦٤).
- * ابن الصغير المالكي (ت ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م).
- اخبار الائمة التستمين وسيرهم، تحقيق احمد بكير وفخار ابراهيم، دار المغرب الاسلامي (تونس ١٩٨٨).
- * ابن ابي الذبياف، احمد (ت ١٢٩١ هـ / ١٨٥١ م).
- انحاف اخل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان، تحقيق لجنة من كتاب الشؤون الثقافية، الدار التونسية (تونس ١٩٧٦).
- * العبدري، محمد بن محمد بن علي (كان حيا ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م).
- رحلة العبدري، تحقيق محمد الفاسي (الرباط ١٩٦٨).
- * ابن عبد الرؤوف، احمد.
- رسالة في اداب الحسبة والمحتسب، نشرها ليفي بروفنسال ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب، المعهد العلمي الفرنسي، (القاهرة ١٩٥٥).

- * ابن عبلون، محمد بن احمد (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م).
- رسالة في القضاء والحسبة، نشرها ليفي بروفنسال ضمن ثلاث رسائل اندسية في اداب الحسبة والمحتسب، المعهد العلمي الفرنسي، (القاهرة ١٩٥٥).
- * ابن عذاري، ابو العباس، محمد ابو عبد الله (كان حيا ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م).
- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ج ١، تحقيق ج.س. كولان وليفي بروفنسال، (لیدن ١٩٤٨) ج ٣، تحقيق هويتي ميرندا ومحمد بن تاويت الطنجي ومحمد ابراهيم الكتاني، سلسلة معهد مولاي الحسن (تطوان ١٩٦٠)، ج ٤، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة (بيروت ١٩٧٧)، وطبعة (الدار البيضاء ١٩٨٥)، تحقيق ابراهيم الكتاني ومجموعة محققين.
- * ابو العرب، محمد بن احمد بن تميم (ت ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م).
- طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق علي الشابي، وفهيم حسن، دار الكتاب اللبناني (بيروت، بلا).
- * العقباني، ابو عبد الله محمد بن احمد (٨٧١ هـ / ١٤٦٧ م).
- تحفه الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشريعة وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوني (فرنسا ١٩٦٧).
- * العمري، احمد بن علي بن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م).
- مسائل الابصار في ممالك الامصار (القسم الخاص بالمغرب)، تحقيق مصطفى ابو ضيف احمد، مطبعة الدار البيضاء (الدار البيضاء ١٩٨٨).

* الغبريني، ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الله (ت ٧١٤هـ / ١٣١٥م).

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق وتطبيق عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والنشر والترجمة (بيروت ١٩٦٩).

* ابن القاضي، احمد بن محمد (ت ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م).

- جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس (فاس، بلا)، وطبعة (الرباط ١٩٧٣).

- درة الاحجال في غرة اسماء الرجال، تحقيق محمد علوش (الرباط ١٩٣٤).

المدنقى المقصور على نائير الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق محمد مرزوق مكتبة المعارف (الرباط ١٩٨٦).

* ابن قاضي شهبه. بدر الدين محمد بن تقي آندين الاسدي (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٨م).

- تاريخ ابن قاضي شهبه، تحقيق عدنان درويش (دمشق ١٩٧٧).

* القرماتي، احمد بن يوسف بن احمد (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م).

- اخبار الدول واثار الاول في التاريخ، عالم الكتب (بيروت ١٩٧٨).

* القزويني، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).

- اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر (بيروت ١٩٦٠).

* ابن القطان، ابو علي بن محمد بن عبد الملك (ت منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)

- نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من اخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، منشورات كلية الاداب والعلوم الاسلامية، جامع محمد الخامس، المغرب (تطوان، بلا).
- * انقلشندي، احمد بن عبد الله (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م).
- صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، درا الكتب (بيروت ١٩٨٧).
- * ابن قنفذ، ابو العباس احمد حسين القسنطيني (ت ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م).
- اتس الفقير وعز الحقيير، تحقيق محمد الفاسي وادولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي (الرباط ١٩٦٥).
- * الكانوني، ابو عبد الله بن محمد. (مجهول الوفاة)
- جواهر الكمال في تراجم الرجال، القسم الثاني من تاريخ اسفي وما اليه (المغرب ١٣٠٦ هـ).
- المالكي. ابو بكر عبد الله بن محمد (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م).
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وعبادهم ونساکهم وسير من اخبارهم وفضلانهم. تحقيق حسين مؤنس. مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ١٩٥١).
- * مجهول، عاش سنة (٥٨٧ هـ / ١١٩١ م) ..
- الاستبصار في عجائب الامصار، نشره سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة الجامعة (الاسكندرية ١٩٥٨).
- * مجهول، (من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي).
- الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمانه (الدار البيضاء ١٩٧٩) وطبعة (تونس ١٤٢٩ هـ).

* مجهول، رسائل موحدية من انشاء الدولة الموحدية، تحقيق ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية (الرباط ١٩٤١).

* المراكشي، عبد الله بن علي التميمي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م).
- المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان
مطبعة الاستقامة (القاهرة ١٩٤٩).

* المراكشي، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت ٧٠٣ هـ / ١٤٠٣ م).

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. تحقيق احسان عباس،
دار الثقافة (بيروت ١٩٦٤).

* ابن مرزوق، شمس الدين بن احمد التلمساني (ت ٧٨٢ هـ / ١٣٧٩ م).

المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن. تحقيق.
ماريا خيسوس بتغيرا، مراجعة واعداد اشركة الوطنية للنشر
والاعلان، (الجزائر ١٩٨١).

* المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد المعروف بالبشاري (ت ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م)

- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، تحقيق ج. دي غويه، مطبعة
ابريل (لندن ١٩٠٦).

* المقرئ، احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م).
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين
بن الخطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر (بيروت ١٩٦٨).
- ازهار الرياض في اخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون،
لجنة التأليف والنشر (القاهرة ١٩٣٩).

- * المقرزي، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١ م).
- اتعاط الحنفا باخبار الامة الفاطميين الخلفا، تطبيق وتحقيق جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي (القاهرة ١٩٤٨).
- النقود الاسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود، تحقيق محمد بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية (النجف ١٩٦٧).
- * ناصر خسرو، ابو معين الدين ناصر (ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٦ م).
- سفرنامه، نقله يحيى الخشاب، دار الكتب الجديد (بيروت ١٩٧٠).
- * النميري، ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الله (ت ٧٧٤هـ / ١٣٨٢ م).
- فيض العباب وافاضة قداح الاداب في الحركة السعيدة الى قسطنطينية والزاب، دراسة واعداد محمد شقرون (الرباط ١٩٨٤).
- * النويري الاسكندراني، محمد بن القاسم بن محمد (٧٧٥هـ / ١٣٨٢ م).
- الامان بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في موقعة الاسكندرية، تحقيق اوتين كومت، واثمه سوريان عطية، مطبعة لجنة دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد - الدكن، بلا).
- * ابن وردان، (عاش في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي).
- تاريخ مملكة الاغالبية، تحقيق وتقديم محمد زينهم. محمد عزب. مكتبة مدبولي (القاهرة ١٩٨٨).
- * الوزان، الحسن بن محمد الزياتي المعروف بليو الافريقي (ت ٩٦٠ هـ / ١٠٠٢ م).
- وصف افريقيا، ترجمة محمد الحجى، محد الاخضر، ط ١، (الرباط ١٩٨٠). ج ٢، (الرباط ١٩٨٢).

- * الونشريشي، ابو العباس احمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ / ١٥١٢م).
 - المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية
 والاتدنس والمغرب، (فاس، ١٩٨١).
 * ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الرحمن الحموي (ت
 ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).
 - معجم البلدان، دار صادر (بيروت ١٩٥٧).
 * اليعقوبي. احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م).
 - البلدان، منشورات المطبعة الحيدرية (النجف ١٩٥٧).

المراجع الحديثة

- * ابراهيم حركان، المغرب عبر التاريخ، تقديم محمد الفاسي، مطبعة
 السلمي، (الدر البيضاء ١٩٦٥).
 * ابراهيم طرخان، مصر في عهد السمانيك الجراكسة، مكتبة النهضة
 المصرية، (القاهرة ١٩٦٠).
 * ابراهيم العدوي، تاريخ العالم الاسلامي، عصر التنمية والعطاء، مطبعة
 القاهرة (مصر ١٩٨٤).
 * اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي الاسلامي لها، حتى سنة ١٩١١
 تعريب وتقديم خليفة محمد، دار الثقافة والنشر (بيروت ١٩٧٤).
 * احمد حسن محمود، قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية
 (القاهرة ١٩٥٧).
 * ادم متر، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد
 عبد الهادي ابو ريدة (القاهرة ١٩٤٧).
 * اشتور، أ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط، دار فتيبة
 (دمشق ١٩٨٥).

- * الافغاني، سعيد، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام (دمشق ١٩٣٧).
- * البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين (القاهرة ١٩٦٩).
- * برونشفيك، روبار، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر الى نهاية القرن الخامس عشر (بيروت ١٩٨٨).
- * بريت، ج.د. النقود والوسمة المغربية (الدار البيضاء ١٩٣٩).
- * بوفيل، أي دبنو، الممالك الاسلامية في غرب افريقيا واثرها في تجارة الذهب عبر انصحراء الكبرى، ترجمة زاهر رياض (القاهرة ١٩٦٨).
- * التازي، عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ اقدم العصور الى اليوم (المحمدية، بلا).
- * التوزاني، نعيمة هراج، الامناء بالمغرب في عهد مولاي الحسن، مطبعة فضالة (المحمدية ١٩٧٩).
- * الجنحاني، الحبيب، المغرب الاسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، الدار التونسية (تونس ١٩٧٨).
- * الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية (الجزائر ١٩٥٣).
- * جوليان، شارل اندريه، تاريخ افريقية الشمالية، تعريب محمد المزالى والبشير بن سلامة، الدار التونسية (تونس ١٩٥٨).
- * الحجوي، محمد المهدي، حياة الوزان واثار (الرباط ١٩٣٥).
- * حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ١٩٥٨).
- * حسن حسني عبد الوهاب، ورقات من الحضارة العربية بافريقية التونسية، مكتبة المنار (تونس ١٩٦٤، ١٩٦٦، ١٩٧٢).

* حسن علي، تاريخ المغرب في عصر الولاة، مطبعة المختار (القاهرة ١٩٧٧).

* الخربوطلي، علي حسن، الاسلام في حوض البحر المتوسط، دار الملايين (بيروت ١٩٧٠).

* الدراحي، ابو زيان، نظم الحكم في دولة بني عبدالواد الزيانية، ديوان المطبوعات (الجزائر ١٩٦٣).

* روجيه، لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مكتبة لبنان، (بيروت ١٩٦٧).

* السناح، الحسن، الحضارة المغربية عبر التاريخ، مطبعة النجاح (الدار البيضاء ١٩٧٥).

* سعد زغول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح حتى قيام دولة الاغالبة والرسطين والادارسة، دار المعارف (مصر، بلا).

* سليمان مصطفى، المنستير ماضيها ومعالمها اثرية، الدار التونسية للنشر، (تونس، بلا).

* الموسى، عبد الله، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب الاسلامي (الرباط ١٩٧٩).

* الشرباصي، احمد، المعجم الاقتصادي الاسلامي، دار الجيل (بيروت ١٩٨١).

* الشرفاوي، عبد الحميد، الملاحة البحرية الاندلسية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، درا صادر (بيروت، بلا).

* الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، دار النشر التونسية (تونس ١٩٨٠).

* العامري، عبد الهادي، تاريخ المغرب في سبعة قرون بين الازدهار والذبول من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، الشركة التونسية للنشر (تونس ١٩٧٤).

* عبد العزيز بن عبد الله، مظاهر الحياة المغربية (الدار البيضاء، بلا).

* عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة الاسطول الاندلسي، دار النهضة (بيروت ١٩٧٤).

- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، (الاسكندرية ١٩٨٢).

* عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية (الرباط ١٩٦٨).

* عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق (بيروت ١٩٨٣).

-- تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب (بيروت ١٩٦٩).

* العلي، صالح احمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، مطبعة المعارف (بغداد ١٩٥٣).

* الفاسي، عبد الرحمن، خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين، الدار البيضاء (المغرب ١٩٨٦).

* فيليب حتى، تاريخ العرب المطول، دار الكشف للنشر والطباعة والتوزيع مطابع الغندور (القاهرة ١٩٦٥).

لبنان في التاريخ، ترجمة انيس فريحة، دار النشر للطباعة (بيروت ١٩٥٩).

* كالتون كون، القافلة قصة الشرق الاوسط، ترجمة برهان دجاتي، مراجعة احسان عباس، نشر مؤسسة فرانكلين (بيروت، نيويورك ١٩٥٩).

*الكافي، ابو بكر، تاريخ صفاقس، منشورات التعاضدية العمالية للطباعة والنشر (صفاقس ١٩٦٦).

*الكبيسي، حمدان، أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، دار الحرية (بغداد ١٩٧٩).

*الكتاني، الشيخ عبد الحي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الاسلامية في المدينة المنورة (بيروت ١٣٤٦هـ).

*الكمالك، عثمان، الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، مطبعة لجنة البيان العربي (القاهرة ١٩٦٥).

- العلاقات التونسية الايرانية عبر التاريخ، الشركة التونسية (تونس ١٩٧٢).

تقديم النوصي، سراكش بين التأسيس والتمدين في العصرين المرابطي والموحدي ضمن كتاب مرات من التأسيس الى اخر العصر الموحدي (الرباط ١٩٨٩).

*لقبال، موسى، الحسبة المذهبية في المغرب الاسلامي، نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر ١٩٧١).

*مارك بلوك، مشكلة الذهب في العصر الوسيط ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة توفيق اسكندر، مطابع دار النشر للجامعات المصرية (القاهرة ١٩٦٦).

*المجدوبي، عبد العزيز، من وسائل التعمير واستعمال المجال في العصرين المرابطي والموحدي، ضمن كتاب مراكش من التأسيس الى اخر العصر الموحدي (الدار البيضاء ١٩٨٩).

* محمد بن تاويت الطنجي، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا (القاهرة ١٩٧١).

* محمود اسماعيل عبد الرزاق، الادارسة في المغرب الأقصى، حقائق جديدة، مكتبة الفلاح للنشر (انكويت ١٩٨٩).

- مقالات في الفكر والتاريخ (الدار البيضاء ١٩٧٩).

* المراكشي، عباس بن إبراهيم، الاعلام بمن حل بمراكش من الاعلام، (فاس ١٩٣٦).

* المرزوقي، محمد، قايس جنة الدنيا، مكتبة الخانجي مصر، ومكتبة المثني، (بغداد ١٩٦٢).

* المشرفي، محمد محي الدين، تاريخ افريقية الشمالية (المغرب، بلا).

* المنوني، محمد، العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين (تطوان ١٩٥٠).

- ورفات من الحضارة المغربية في عهد بني مرين (الرباط ١٩٧٩).

* موريس لمبارد، الاسلام في عظمته الاولى (من القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر، ترجمة ياسين حافظ، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت ١٩٧٧).

* ابن الموقت، محمد، السعادة الابدن في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، (فاس ١٣٣٦هـ).

* نجاة باشا، التجارة في بلاد المغرب الاسلامي من القرن الرابع الهجري الى القرن الثامن الهجري، منشورات الجامعة التونسية (تونس ١٩٧٦).

* النجفي، حسن، القاموس الاقتصادي (بغداد ١٩٧٧).

* نعيم فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (القاهرة ١٩٧٣).

* نيقولا زيادة، الحسبة والمحاسب في الاسلام، المطبعة الكاثوليكية (بيروت ١٩٦٣).

* الهرفي، محمد سليمان سلامة، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة (بيروت ١٩٨٠).

* هنتس، فالتر، المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل الصلي (عمان ١٩٧٠).

* هوبكنز، ج. ف. ب، النظم الاسلامية في المغرب في العصور الوسطى، نقله الى العربية امين توفيق المطلبم. اصدار العربية للكتاب (تونس ١٩٨٠).

المصادر

بجاية، نشرة اصدرتها وزارة الخبار (الجزائر ١٩٧٠).

* الحسنى، عبد الرزاق، الكنى والاتقاب على نقود دولة المرابطين والموحدين في شمال افريقية والاندلس، مجلة سومر، العدد ٣، السنة ١٩٧٤، وزارة الاعلام، العراق - بغداد.

* زنبير محمد، الحكم والاقتصاد عند ابن خلدون، مجلة الحياة الثقافية، العدد التاسع (تونس ١٩٨٠).

* الشبخلي، صباح، تطور الوجود العربي في كاتم، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٣٥، السنة السادسة عشر ١٩٩٠.

* صابر ذياب، دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، السنة ١٩٧٧.

* عثمان اسماعيل، المد النبوي العلوي، مدلة دعوة الحق، العدد ٢٢٦ (المحمدية ١٩٧٩).

* فيصل السامر، ملاحظات في الاوزان والمكاييل، مجلة كلية الاداب، العدد ١٤، المجلد الثاني (بغداد ١٩٧٠، ١٩٧١).

* المطليبي، توفيق، النقود العربية غزت اوربا في العصور الوسطى، مجلة العربي العدد ٢٧٦ السنة ١٩٨١.

* المنون، محمد، خطة الحسبة في المغرب، مجلة المناهل، العدد ١٤ (الرباط ١٩٧٩).

- علاقة المغرب بالشرق، مجلة تطوان، العدد ١، السنة الاولى ١٩٥٦.

- نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي، العدد ٢، السنة الاولى (الرباط ١٩٨٤).

- وصف المغرب ايام ابي الحسن المريني، مجلة البحث العلمي، العدد الاول. السنة الاولى (الرباط ١٩٨٤).

الرسائل الجامعية

* بحاز ابراهيم، الدولة التونسية (١٦٠-٢٩٦ هـ / ٧٧٧-٩٠٩ م) دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، رسالة ماجستير، على الالة الطابعة، جامعة بغداد - كلية الاداب، ١٩٨٣.

* الخزاعي، كريم عاتي. النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، رسالة ماجستير، على الالة الطابعة، جامعة بغداد - كلية الاداب، ١٩٩٣.

* مزاحم علاوي شاهر، الاوضاع الاقتصادية على عهد المرينين (٦٦٨-٧٥٩ هـ / ١٢٦٨-١٣٥٨ م) رسالة دكتوراه، على الالة الطابعة، جامعة الموصل، ١٩٩٤.

* نشاط مصطفى، التجارة في المغرب الأقصى خلال العصر المريني الاول (٦٦٨-٧٥٩ هـ / ١٢٦٩-١٣٥٨ م) رسالة ماجستير على الالة

الطبعة من جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم
الإنسانية، فاس ١٩٨٦.

* يوسف جرجيس جبو، التنظيمات التجارية في بلاد الشام بين الفزوين
المغولي والتموري (٦٥٨-٨٠٣ هـ / ١٢٦٠-١٤٠٠ م)، رسالة
ماجستير على الإله الطبعة جامعة بغداد - كلية الآداب، ١٩٨٢.

المراجع الأجنبية

- 1- Amario. M. Idiplomi arabi del architio
fiorentio.V.I.Firenze. Le monnier. 1983.
- 2- Bel, Al Fred, in seritions, Arabes, de, fes. Journal,
Siatique, march Abril, 1917.
- 3- Channu- P., L'expansion, Buropeen. du I^{er}, nul, siecle P.
4. F. Paris. Paris. 1966.
- 4- Gisele chovin, Lesrelations delafrance avec lemarocdes
origines ala fin du moyen age Hesperis, Rabat, 1957.
- 5- Krueger, H.C. The wares of Exchange in the Genoese
African Trafic of the Twelfth century, Epeculum, 1937,
XII,N.I.
- 6- Krueger, H.C. Genoese Trade with North Africa in the
Twelfth century speculum, 1933. VIII. N.3.
- 7- Mas-Latrie L. Traite de Paix et de commerce et do
cuments divers concernant les relations, des chretiens
avecles arabes de l'Afrique, septentrionale au moyen-
age, Paris,1965.
- 8- Raubert (G), Histori du comerce marsscoill clemayen
ege • I Z. Paris, 1951.
- 9- Streck, M, S.V. (Kaisariya). I.I. 1977 Voll, II.
- 10- Tourne, au, rie, S.V. (Punduk) E.I. Vol.11 Newdition,
1965.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٦-١	المقدمة
١٩-٧	نقد وتحليل المصادر والمراجع
٧٨-٢٠	الفصل الأول / أنواع الأسواق في بلاد المغرب وتنظيمها
٢٧-٢٠	أولاً : الأسواق المبكرة في بلاد المغرب العربي
	أنواع الأسواق :
٤٩-٢٧	١- الأسواق الدائمة .
٥٦-٤٩	٢- الأسواق المؤقتة .
٥٨-٥٧	٣- الأسواق المتنقلة .
٦٥-٥٩	٤- الفنادق .
٦٧-٦٥	٥- القيصريات .
	ثانياً : أماكن الأسواق وتنظيمها وطرز بناءها
٧٦-٦٨	١- أماكن الأسواق وتنظيمها .
٧٨-٧٧	٢- طرز بناء الأسواق .
١٤٨-٧٩	الفصل الثاني / النشاط الاقتصادي في أسواق بلاد المغرب
	أولاً : العوامل المؤثرة في حركة الأسواق .
٨٦-٧٩	١- العوامل السياسية .
٨٩-٨٦	٢- العوامل الجغرافية .
٩١-٨٩	٣- ثراء الدولة .
	ثانياً: الطرق التي تنتقل عبرها السلع والبضائع الى الأسواق المغربية.
٩٥-٩١	١- الطرق الداخلية .
٩٨-٩٥	٢- الطرق الخارجية .

الصفحة	الموضوع
	ثالثاً : صادرات و واردات الأسواق المغربية .
١٠٢-٩٩	١- انتقال السلع والبضائع بين أسواق المدن المغربية
١٠٢	٢- صادرات أسواق بلاد المغرب الخارجية و وارداتها .
١٠٥ - ١٠٢	أ- صادرات أسواق المغرب الى الأندلس و وارداتها .
١١٠ - ١٠٦	ب- صادرات أسواق المغرب الى المشرق و وارداتها .
١١٣- ١١٠	ج- صادرات أسواق المغرب الى السودان و وارداتها
١١٣	٣- صادرات أسواق بلاد المغرب الى أوروبا و وارداتها .
١٢١- ١١٣	أ- صادرات أسواق المغرب الى إيطاليا و وارداتها .
١٢٣- ١٢١	ب- صادرات أسواق المغرب الى فرنسا و وارداتها .
١٢٥- ١٢٣	ج- صادرات أسواق المغرب الى إسبانيا و وارداتها .
١٢٥	رابعاً : النشاط الحرفي والمهني في الأسواق والتعاملون فيه
١٣٣ - ١٢٥	١- أهل الصنائع والحرف ونشاطهم داخل الأسواق .
١٣٤	٢- التجار العاملون في الأسواق وأصنافهم .
١٣٨- ١٣٤	أ- التجار المغاربة وأصنافهم .
١٤٠- ١٣٨	الوسطاء
١٤٣- ١٤١	ب- التجار (الهلاليون)
١٤٨ - ١٤٣	ج- التجار من غير المغاربة .
١٩٥- ١٤٩	الفصل الثالث/وسائل التعامل وطرق البيع والشراء داخل الأسواق المغربية
	أولاً : النظام النقدي .
١٥٠ - ١٤٩	١- العملة المستخدمة في الأسواق .
١٥٤ - ١٥٠	أ- العملة المرابطية .
١٥٥- ١٥٤	ب- العملة الموحدية .

١٥٩-١٥٥	ج- العملة المرينية .
١٦٥-١٥٩	د- العملة الحفصية والزيانية .
١٧٢-١٦٦	٢- أوزان المكايل .
١٧٤-١٧٣	٣- ائمقاييس .
١٧٥	ثانياً : طرق البيع والشراء في الأسواق .
١٧٦-١٧٥	١- البيع النقد .
١٧٧-١٧٦	٢- البيع بالسلف .
١٧٨-١٧٧	٣- البيع بالمقايضة .
١٧٨	٤- الحوالة على الصرافين .
١٨١-١٧٩	٥- البيع بالمزايدة .
١٨٢-١٨١	٦- بيوع أخرى .
١٨٢	ثالثاً : الأسعار وعوامل ارتفاعها .
١٨٦-١٨٣	١- الظروف السياسية .
١٩٢-١٨٦	٢- الظروف الطبيعية .
١٩٥-١٩٢	٣- الأسعار السائدة وقت الرخص .
-١٩٦	الفصل الرابع : أشراف الدولة على الأسواق .
١٩٧-١٩٦	بداية أشراف الدولة على الأسواق .
٢٠٨-١٩٧	أولاً : ظهور وظيفة الحسبة في بلاد المغرب وتطورها حتى القرن الخامس الهجري الى الحادي عشر الميلادي .
٢٠٨	ثانياً : الحسبة في أسواق المغرب ما بين القرن ٥هـ / ١١م الى ٩هـ / ١٥م
٢١٢-٢٠٩	١- الحسبة في عهد المرابطين .
٢١٥-٢١٢	٢- الحسبة في عهد الموحدين .

٢٢١-٢٢١	٣- الحسبة في عهد بني مرين .
٢٢٢-٢٢١	٤- الحسبة في عهد الجفصيين والزيانيين .
٢٢٥-٢٢٣	أعوان المحتسب
٢٣٥-٢٢٥	ثالثاً : الضرائب على السلع والبضائع المتداولة في الأسواق
٢٤١-٢٣٦	الخاتمة
٢٥٦-٢٤٢	الملاحق
٢٨١-٢٥٧	قائمة المصادر والمراجع

